8030

الكاتب ٨٣

للثقافة الإنسانية والتقدم .

العـــدد
الثالث والثمانون
آذار ١٩٨٧

- اضواء على خلفية الحرب ضد المخيمات الفلسطينية .
- الشرق الاوسط لا بد من ايجاد حل لمشكلاته .
- الاتجاهات العامة في تطور الاقتصاد الاسرائيلي .
- التعاونيات الزراعية ومكانة المرأة ، التجربة الغيتنامية .
- اطروحات حول الغيبية في الفكر الصهيوني .
- شكل خاص لدولة بونابرتية في شمال اليمن تعبيرا عن مرحلة انتقالية خطيرة .
- الاعلام الامبريالي ومضمونه الطبقي
- د. حسين مروّة، شهيد الفكر التقدمي والانساني .
- حول وضع القراءة في الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة .
- كم يكلف الطفل .
- اتحاد الكتاب الفلسطينيين يستضيف الكاتب اميل حبيبي

بعض السمات الاستثنائية لحركة التحرر العربية

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز ـ المحرر المسؤول

أسعد الأسعد

القدس

AL-KATEB

For human culture and progress

Editor -

Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489

Jerusalem

Tel:856931

رئيس التحرير

أسعد الأسعد

مدير التحرير : نظام عطايا

مجلس التحرير

بسّام الصالحي — تيسير العاروري

جميل السلحوت — د. سمير عبدالله

فضل البورنو — محمد البطراوي

محمود الشيخ

صف ومونتاج : جبير أبو عوض

المراسلات :

الكاتب ـ ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس

تلفون ٨٥٦٩٣١

الاشتراكات :

بالعملة أو ما يعادلها لمدة سنة واحدة

محليًا ٢٠ دولار

بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

العدد (٨٣) السنة (٨) آذار ١٩٨٧ .

سياسة :

٣	بعض السمات الاستثنائية لحركة التحرر العربية	بشير البرغوثي
١٧	اضواء على خلفية الحرب ضد المخيمات الفلسطينية	تيسير العاروري
٢٢	الشرق الاوسط لا بد من ايجاد حل لمشكلاته	ترجمة : درويس فرحات

اقتصاد

٢٨	الاتجاهات العامة في تطور الاقتصاد الاسرائيلي	د. سمير عبدالله وسمير البرغوثي
٨٢	التعاونيات الزراعية ومكانة المرأة ، التجربة الفيتنامية	كريسين بيلزر وايت ترجمة : سامي خضر

Library BIRZEIT UNIVERSITY

مداخلات :

٤٢	اطروحات حول الغيبية في الفكر الصهيوني	د . عزمي بشارة
٥٢	شكل خاص لدولة بونابرتية في شمال اليمن تعبيرا عن مرحلة انتقالية خطيرة	
٧٠	الاعلام الامبريالي ومضمونه الطبقي	د . محمد الشهاري قسم الترجمة في الكاتب

مفترقات

٨٠	د. حسين مروّة ، شهيد الفكر التقدمي والانساني	اسعد الاسعد
٩١	حول وضع القراءة في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة	
١٠	كم يكلف الطفل	
١١٥	اتحاد الكتاب الفلسطينيين يستضيف الكاتب اميل حبيبي	

الاراء المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير .

Digitized by Birzeit University Library

ندوة العدد

٩٧	نظرة على مسرحنا المحلي	ادار الندوة خالد البطراوى

قصة:

١٠٧	من صفحات مخيم	منصور محمد عكارى

شعر

١١٠	دمي فدا خرائبك الباقية	أسعد الاسعد
١١٢	الى رجاء حسن ابو عماشة	شوقي البغدادى
١١٤	غرسنا على جماجم الطواغيت اعلامنا	نبيل الجولاني
١١٦	ساصير يا وطني ... قمر	محمد الحنيني
١١٨	خيال المزغرتات	صبحي زبيدى
١١٩	اطلقت موالي	عبد الحميد طقش
١٢٢	لولاك	مالك حسين صلاحة
١٢٣	رحيل القوافل	تيسير داغر
١٢٤	السجن والرحيل	باسم النادى

شهريات

١٢٦ الى المحرر

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

الكاتب، اصبح شاعراً، يعود

بعض السمات الاستثنائية لحركة التحرر العربية*

بقلم : بشير البرغوثي

لسنا بحاجة الى سرد التفاصيل عن الاوضاع الراهنة في حركة التحرر العربية بتعريفها المتفق عليه في العقود الاخيرة. لكن التراجعات التي حدثت في عددمن البلدان العربية عن مكتسبات هذه الحركة، وضعف رد الفعل الجماهيري عليها ابرزت ضعف هذه الحركة بالقياس لما كانت عليه في اواسط الخمسينات .

وقد شغلت هذه الظاهرة ولا تزال تشغل العديد من المفكرين العرب من ثوريين وتقليديين بالبحث عن اسباب نشوئها واستمراريتها ، وعن العوامل المؤثرة في التخلص من حالة الركود القائمة في هذا البلد او ذاك او تجاه هذه القضية او تلك .

ولكن قبل التعرض الى الاجوبة التي تقدم في هذا الصدد ،لابدمن التأكيد على اننا لا نأخذ التعريفات المقدمة لهذه الظاهرة كأمر مسلم به، ولا نتفق مع الرأي القائل بأن هذه الحركة في مجموعها تبدو وكأنها في حالة شلل او عجز . ان هناك مظاهر من هذا في حالات معينة وفي بعض المواقع المحددة وفي فترة زمنية معينة . غير ان وجود هذه المظاهر لا يعطي الحق في تعميمها على كل المواقع .

لقد مرت هذه الحركة وتمر بحالات من التراجع والنهوض، وحققت وتحقق في مواقع محددات بارزة ذات بعد يتجاوز حدود مواقعها لو احسن استثمارها . كما تشتد مقاومة الفصائل الاكثر جذرية بين فصائلها لسياسات التخاذل والارتداد. وتعطي هذه المقاومة

* هذه المقالة ترتكز على محاضرة القاها الكاتب في اجامعة ببرزيت في ١٩٨٧/٢/١٤

Digitized by Birzeit University Library

ثمارها في عرقلة تلك السياسات او في احباطها ويظهر ذلك بصورة محددة في رفض سوريا وليبيا لمشاريع الهيمنة الامبريالية وتصديهما للتهديدات والاعتداءات الامريكية، وفي اسقاط اتفاق ١٧ ايار في لبنان وبالتالي افشال هدف رئيسي للعدوان العسكري الاسرائيلي الامريكي على لبنان . وفي بروز المقاومة الوطنية اللبنانية والفلسطينية .

ومن جهة اخرى يبرز هذا الدور في استمرار الحصار لاتفاقات كامب ديفيد ومحاولة الموقعين عليها اخفاء طبيعتها الاستسلامية ونهجها الموالي للامبريالية تحت مشاريع جديدة لا تختلف عنها في الجوهر ، وزعم المتمسكين بها على انهم انما ورثوها عن اسلافهم ولا يستطيعون التخلص منها .

وعلى نفس النمط من المواقف الدفاعية والملتوية يتعرض اللاهثون وراء الحلول الاستسلامية للقضية الفلسطينية حيث لا يستطيعون الاعلان صراحة عن مواقفهم الحقيقية ، ويزعمون انهم بنهجهم الحالي القائم على الاعتماد على الامبريالية الامريكية وعلى تقديم التنازلات لها ولاسرائيل انما يسعون لتحقيق الاهداف المتفق عليها في قمة فاس . وكل ذلك يعكس بصورة غير مباشرة احساسهم بقوة المعارضة الشعبية لسياساتهم وخوفهم من هذه المعارضة ومحاولتهم بالتضليل والمال والارهاب نلم حدتها .

وقد شكل اسقاط الانتفاضة الشعبية في السودان للنميري علامة هامة على حيوية وطاقات الجماهير وقواها ، وضربة لنهج التبعية للامبريالية الامريكية في بلد عربي كان يقف حكامه مع نظام كامب ديفيد في مصر .

ان الاشارة العاجلة لبعض الامثلة والشواهد على الايجابيات التي حققتها حركة التحرر العربية رغم المصاعب التي تواجهها لا يعني بحال تجاهل العوامل السلبية التي اثرت على اندفاعها ، وافرزت حالات الارتداد والانتقال الى مواقع اليمين في بعض البلدان .

وقد اعطيت ، كما اشرنا سابقا ، تفسيرات متعددة لتلك الحالات . بعضها اتخذ طابعا "رومانسيا" اذا جاز التعبير ، وذلك بالاكتفاء بترديد عبارة " الزمن العربي الرديء " كوصف للحالة الراهنة ، وهو وصف لا يخلو من مسحة " قدرية" تلتقي مع الوصف الاخر الذي رددته بعض المفكرين واصبح شائعا بعد استخدام هيكل له وهو "الحقبة النفطية" ثم "الحقبة السعودية" تباعا مع تعاقب التطورات في الساحة العربية من تضخم الثروة النفطية السعودية الى العدوان الاسرائيلي الامريكي على لبنان ومنظمة التحرير .

ومن المفارقات الغريبة ان مطلقي هذه الاوصاف على الوضع العربي الراهن كانوا يلتقون ، في الواقع ، وبغض النظر عن نواياهم ، مع التقديرات الامريكية ، خصوصا ، التي ارتكزت لفترة محددة بعد تضخم القدرة المالية للسعودية على الدور السعودي بجر الدول العربية الى حظيرة السياسة الامريكية ، والى القبول بمشاريعها للهيمنة على المنطقة بما فيها مشروع تصفية القضية الفلسطينية ضد مصالح الشعب الفلسطيني والشعوب العربية .

وبالاضافة الى ذلك فان هذه الاوصاف تحمل معنى تعبويا سلبيا يدعو الجماهير العربية الى القعود بانتظار قدرها ، اى بانتظار تغير " الحقب" وتحسن" الزمن الرديء "!

Digitized by Birzeit University Library

ولا نستطيع ان نرى في هذه الاوصاف رغم انها كانت شائعة وتتجاوز في شيوعها الاوساط الطبقية التي اطلقتها الا تعبيرا عن رؤية الفئات الوسطى من البرجوازية المستريحة نسبيا لاوضاعها ،اوتلك التي تريد المحافظة على الاوضاع كما هي من الفئات الحاكمة من البرجوازية او على النطاق الاوسع انعكاسا لشعور الاحباط والعجز البرجوازي الصغير .

لكن بين هؤلاء من يحاول ان يطرح حلولا ،وعن هذه الحلول العودة الى التطبيق الناصري كما كان في عهد عبد الناصر دون زيادة او نقصان .

واذا كان هذا الطرح مفهوما من زاوية التعريض ضد نظام كامب ديفيد في مصر ، والاظهار نواحي ارتداده الضاره بمصالح الجماهير على المستويين السياسي والاقتصادي. فان تجنب الاوساط التي تتبنى هذا الطرح لاي تحليل انتقادي لتلك التجربة لايساعد على ان يكون هذا الطرح له قيمة كبيرة لدى الجماهير التي لا تزال بعض الجوانب السلبية في تلك التجربة عالقة بذاكرتها ، وتقديسها ، باستمرار، الاوساط اليمينية والموتدة داخل مصر وخارجها .

ان هذه الاوساط تعرف ما تريد . وهي تسعى لاستعادة مواقعها السابقة التي كانت لها في العهد الناصري. وتحاول تصوير ذلك العهد وكأنه الصيغة النهائية لحل قضايا التحرر والاشتراكية والوحدة، كما تصر على تبني صيغة "التحالف" التي كانت قائمة انذاك وعلى الاحتفاظ بنفس المواقع التي كانت تشغلها قوى ذلك التحالف دون اعتبار للمتغيرات التي طرأت على علاقات القوى منذ ذلك الوقت ، بل وخلاله، حيث ، اصبح واضحا في مجرى تطور التجربة الناصرية وجود هذه المتغيرات وخاصة في نمو الطبقة العاملة. ولكن هذه المتغيرات لم تنعكس على صيغة التحالف بفعل سيطرة الاجهزة الحكومية والاجراءات الكيفيـــة .

ان هذه الدعوة تتردد ،اساسا، في مصر، والذين يتبنونها من خارجها يطالبون بتطبيقها هناك وليس في بلدانهم ، اما في تلك البلدان التي يعلن حكامها واحزابهم السياسية انتماءهم لنفس التيار السياسي والمواقف الايديولوجية، فان تصويرهم لانظمتهم وممارساتهم السياسية يقوم على اعتبار ان هذه الانظمة والممارسات تطوير للتجربة الناصرية، او شيء مستقل عنها وارقى منها وينتسب لشخصية الحاكم والهامه السياســـي .

ومع ان في هذا التأكيد على " اصالة " تجربة كل نظام من تلك الانظمة التي تتخذ مواقف معادية للامبريالية، ما يشير الى تعمق العامل الخاص على حساب العامل العام في ممارسة تلك البلدان وتوجهها السياسي، اي ، بعبارة اخرى غلبة " العامل الاقليمي" على " العامل القومي"، الا ان هناك كثيرا من القسمات المشتركة مع التجربة الناصرية في النظر الى موضوع " الصراع الطبقي" و" تعدد الاحزاب"، و" الديموقراطية" ودور الجماهير ،ودور " الشخصية" القائدة والاجهزة الحكومية وخاصة في المجال الامني .وكل هذه القسمات تعكس الارضية الطبقية المشتركة بين القوى الحاكمة في كل من سوريا وليبيا والجزائر والقوى التي كانت تحكم مصر في عهد عبد الناصر. والفروق في طريقة الاداء ،

Digitized by Birzeit University Library

او من حيث مشاركة اوساط اخرى في الحكم ، او وجود " جبهات وطنية "أو " لجان شعبيـة" لا تغير المضمون الطبقي لنظام الحكم في تلك البلدان اوعلى الاقل ، اهم سماته الجوهرية.

وتبرز في هذه البلدان ، وبصورة اكثر وضوحا مما كانت عليه في العهد الناصري تحت تأثير الطفرة النفطية الملامح السلبية للتطورات الاقتصادية ـ الاجتماعية على علاقات القوى الطبقية في داخل النظام الحاكم . حيث يزداد دور البرجوازية البيروقراطية، وتتعاظم قوتها، وتظهر، نتيجة ذلك، مظاهر ارتباط اكبر بالسوق الرأسمالي العالمي تحت شعارات" تنويع مصادر السلاح" و" العلاقات المتوازنة بين الشرق والغرب"، و" النزعة الاستهلاكية" وما تمثله هذه الظواهر من تنامي قوة " البرجوازية الطفيلية" وتحالفها مع البرجوازية البيروقراطية والفئات العليا من البرجوازية الكبيرة في الفروع الاساسية للاقتصاد الوطني. كما يتجلى ، اكثر مما كان في العهد الناصري، غياب مقاومة نشاط الاستعمار الجديد ومؤثراته وخصوصا في المجالات الثقافية المختلفة .

واذا كان صحيحا القول بأن كافة تلك المؤثرات والمظاهر السلبية لم تغير جذريا التوجه المعادى للامبريالية، والمتمسك بالقطاع العام، الا ان ارتكاز هذا التوجه، على المستوى الحكومي، بصورة كبيرة، على " الشخصية القائدة" اكثر مما هو على المؤسسات السياسية الشعبية والحكومية ، يجعل احتمالات الارتداد عن هذا التوجه والسياسات التي تعكسه امرا واردا مثلما حدث بعد وفاة عبد الناصر .

وليس بالامكان قبول ما تذهب اليه الاوساط الناصرية من ان مجيء السادات كان حالة "شاذة" وان ارتداده يمثل حالة استثنائية تعود الى شخصيته المعقدة كما رسمها محمد حسنين هيكل في كتابه " خريف الغضب "!.

لقد قبل البعض في مصر وخارجها بهذا التفسير، وعلى اساسه انتظروا ان يغير مبارك نهج السادات، ولكن شيئا جوهريا لم يتغير في هذا النهج رغم تعاقب الوزارات المختلفة في مصر، ورغم مرور اكثر من ست سنوات على رئاسةمبارك،بل ان كافة ممارسات النظام الحالي توحي بأنه يوغل اكثر فاكثر في تطبيق النهج الساداتي حتى وان كان يستخدم بين الحين والاخر اساليب مغايرة في الشكل وطريقة الاداء .

وقد اكدت هذه الواقعة، دون انكار لدور الشخصية ،اى شخصية السادات، فيما الت اليه الامور في مصر، ان هناك قوى طبقية نشأت وتطورت في داخل النظام الناصري، وأن شخصية عبدالناصر كانت ترجّح ميـزان القوى بين فئات النظام المختلفة لغير صالح تلك القوى ، وبعد وفاته تعدّل هذا الميزان لصالحها .

لقد كانت البرجوازية البيروقراطية والطفيلية مكبوتة نسبيا في عهد عبدالناصر ،كما نمت البرجوازيةالريفية دون قيود.وبعد وفاة عبدالناصر عبرتالبرجوازية البيروقراطية والطفيلية عن كبتها باطلاق شعار " الانفتاح" بما ترتب عليهمن اعادة التجارة الخارجية والداخلية الى القطاع الخاص، والسماح للبنوك الاجنبية بفتح فروع لها في مصر وكذلك للشركات الاجنبية الاحتكارية وللرأسمال الاجنبي بوجه عام .

Digitized by Birzeit University Library

وقد وجدت هذه الفئات البرجوازية قاسما مشتركا مع البرجوازية الصناعية الكبيرة التي كانت هي الاخرى مقيدة نسبيا في تطلعاتها بحكم وجود القطاع العام كقوة رئيسية في الاقتصاد الوطني، وببقايا الاقطاع، واصبحت جميعها تشكل حلفا واسعا يشكل القاعدة الاجتماعية للنظام الحالي في مصر .

وان لم يكن هذا مجال تفصيل مظاهر سيطرة هذه الفئات، فان ما اوردناه يكفي للاشارة الى ان مثل هذه الفئات موجود في الانظمة العربية المعادية للامبريالية، وان استمرار غياب الديموقراطية السياسية، ومشاركة الطبقة العاملة والجماهير الكادحة في ادارة الحياة السياسية والاقتصادية في البلاد من شأنه ان يشكل خطرا كبيرا على الاصلاحات التي تمت وعلى مجمل النهج المعادي للامبريالية الذي تسير عليه البلاد قبل او بعد زوال " الشخصية القائدة " لكل نظام من هذه الانظمة . بل ان مظاهر التأرجح والتقلب وعدم الاستقرار التي تظهر في سياسات وممارسات هذه الانظمة تشير الى تأثير تلك الفئات البرجوازية ودورها المتعاظم في تلك الانظمة .

لكن ابرز ما يميز تأثير هذه الفئات وطبقته على مستقبل هذه الانظمة هو تجميد الثورة الوطنية الديموقراطية، وما عكسه هذا التجميد من نتائج سلبية على الاصلاحات التقدمية التي كانت قد تحققت في العقود الماضية ومنها محاصرة القطاع العام واضعافه، وتقييد دوره ومكانته بين الجماهير بالادارة الديموقراطية له، وتفشي الفساد وتدني الانتاجية في عدد كبير من مؤسساته .

واذا كانت الغالبية العظمى من التيارات السياسية القومية تعتبر النظام الذي تؤيده هو سقف تطلعاتها نحو الحرية والاشتراكية والوحدة، وترتيب الكلمات يختلف من تيار لاخر ، فان هذه التيارات لا تحاول تفسير الهوّة بين هذا الشعار والممارسة العملية، وتعمل على القاء مسؤولية عدم تطبيقه اما على عاتق قوى خارجية، رغم انها جميعا تنفي وجود أي تدخلات في شؤونها الداخلية ، او على عاتق الانظمة العربية الاخرى . وهذا ، طبعا ، لا يعني عدم وجود تأثير سلبي كبير على هذه العملية من قبل الامبريالية واسرائيل

لقد اوجدت هذه الهوّة بين الشعارات والممارسة حالة من فقدان الثقة بين الجماهير وتلك الانظمة، او حالة من اللامبالاة وعدم التفاعل في احسن الاحوال. الامر الذي يجد تجسيده العملي في تضخم وتعدد اجهزة القمع على المستويات السياسية والاعلامية والثقافية والاقتصادية .

ومن المؤكد نتيجة كل هذا انه لا تكون هذه الانظمة قادرة على تحقيق تطلعات الجماهير العربية للحرّية والوحدة والاشتراكية والمنعطف الحالي الذي تمر به قضية الثورة في البلاد العربية هو تعبير عن هذا العجز .

غير ان اصحاب الاجوبة السابقة للخروج من هذا العجز يتجنبون ، بحكم مصالحهم الطبقية وضيق افاقها ،التحليل الطبقي للظواهر السلبية الحالية، وهذا ما يجعلهم يبحثون عن الاسباب في عوامل خارجية او غيبية او شخصية، وليس في الطبيعة الطبقية للفئات الحاكمة في الانظمة العربية المعادية للامبريالية .

Digitized by Birzeit University Library

لقد اتجهت بعض الاوساط الاكثر جذرية من التيارات السياسيةالقومية الى الماركسية تحت تأثير عوامل عديدة منها ادراكها لقصور ادوات التحليل التي تتكر الصراع الطبقي عن تفسير الحالة الراهنة في حركة التحرر العربية ضمن اطارها التقليدي، لكن استخدامها لمنهج التحليل الطبقي على اسس ماركسية لم يكن مثابرا ولا شاملا لمختلف الظواهر والقوى ضمن هذه الحركة .

ففيما يتعلق بمنظمة التحرير ظلت النظرة لقواها المختلفة غير طبقية حتى الى ما بعد عام ١٩٨٢، كما بقيت النظرة الطبقية تغيب وتحضر باتجاه هذا النظام العربي او ذاك وفقا لعلاقاته السياسية وتسهيلاته الادارية لهذه الفئة او تلك ، وظل المعيار لثوريّة هذا النظام او ذاك او هذه الفئة او تلك ما يعلنه او تعلنه من شعارات حول القضية الفلسطينية والنضال الفلسطيني دون تقييم واقعي لطبيعة القوى الطبقية التي ترفع هذه الشعارات ، وبالتالي دون النفاذ الى ماتحت السطح الخارجي لهذه القوى، والتعرف على حقيقة موقفها المرتبط بمصالحها والمعبّر عنه في ممارساتها على كافة الاصعدة السياسية والعسكرية، ودون الكشف عن جوهر بعضها البيروقراطي وما يفرزه من استعداد للمساومة، وتغليب لمصلحة " المكانة و " المكان " .

ولا بد من الاشارة، ولو على صعيد آخر ، الى الخلط الذى وقع فيه بعض الماركسيين حينما اعتبروا ان الانظمة العربية المعادية للامبريالية هي انظمة البرجوازية الصغيرة. وان عجزها الراهن يعني عجز الفئة الاجتماعية التي تمثلها ، اى البرجوازية الصغيرة، عن الاضطلاع بدور رئيسي او قيادى في التحالف الثورى .

ان من الصعب القبول بهذا التعميم على المستوى العربي العام. فهناك مستويات مختلفة للتطور الاقتصادى ـ الاجتماعي في البلدان العربية، مثلما هناك اختلاف درجة نضوج وتجربة القوى السياسية في هذا البلد العربي او ذاك. ومن الممكن ان يصح الاستنتاج بأن الدور القيادى في التحالف الثورى، في المرحلة الراهنة، استنادا الى استنتاج ان البرجوازية الصغيرة عاجزة وفاقدة لثوريتها ، استنتاجا يقود الى الانعزالية في بعض البلدان العربية .

هذا اذا ما نظر الى الحالة الراهنة نظرة جامدة (ستاتيكية). ولكن مجمل معطيات الوضع الاقتصادى ـ الاجتماعي في البلدان العربية المعادية للامبريالية لا يشير الى ان هذه المعطيات تعكس مصالح البرجوازية الصغيرة ، صحيح ان انظمة هذه البلدان كانت تعكس، في البداية، تطلعات هذه الفئة الاجتماعية الواسعة، ومن بين صفوفها خرج معظم قادة تلك الانظمة، كما كانت " ايديولوجية" هذه الانظمة بصورة عامة، برجوازية صغيرة في جوهرها وخطوطها العامة. لكن " اليه " النظام نفسه، وازدواجية البرجوازية الصغيرة كفئة مستغلّة (بفتح الغين) ومالكة في نفس الوقت، جعلت بعض اقسامها المشاركة، مباشرة، في السلطة او القريبة منها تنزع، من خلال استخدام السلطة، الى التخلص من هذه الازدواجية لتصبح فئة مالكة اما من خلال وجودها في اجهزة الدولة وما يتيح لها ذلك من التحكم في اعادة توزيع الدخل الوطني عن طريق موازنة الدولة، واما من خلال " العمولات "و" التسهيلات" الاخرى التي تقدمها للبرجوازية الكبيرة ومختلف الفئات المالكة على حساب الكادحين .

Digitized by Birzeit University Library

لقد تحولت هذه الفئة الى برجوازية بيروقراطية وطفيلية وبات بينها وبين اصلها الاجتماعي القديم اغتراب عميق، وتناقض في المصالح.

ولكن هذا الاغتراب او الانسلاخ لم ينسحب على الصعيد الايديولوجي. وظلت اقسام واسعة من البرجوازية الصغيرة متعلقة بالاوهام في قادتها وتطلعاتها. واصبحت نتيجة هذا التعلق فريسة الفكر التبريري الذي يحاول ردم الهوة بين الشعارات والممارسات لمثليها القدماء الذين ابتعدوا عنها بالبحث عن اسباب خارج الظاهرة الاجتماعية، او على الاقل بعيدا عن او لئك الممثلين السياسيين. وهذا ما انعكس في الاجوبة التي تقدم ذكرها لاسباب الوضع الراهن في حركة التحرر العربية ولوسائل الخروج منه.

وكان لذلك اثره الكبير في انخفاض مستوى ثوريتها وفاعليتها النضالية. واذا كان هذا "المزاج" قد استمر طويلا لدى هذه الاقسام الكبيرة من البرجوازية الصغيرة في العالم العربي قياسا الى بلدان ومناطق اخرى فان ذلك يعود الى اسباب وخصائص استثنائية مر بها هذا الجزء من العالم وتركت بصماتها على تجربته السياسية.

واذا كانت هذه الاسباب والخصائص تتطلب بحثا مستفيضا لا يتسع له هذا المجال أو تتوفر له الامكانيات المتاحة حاليا، الا ان الاشارة اليها مسألة لا بد ان تساعد في القاء بعض الضوء على المشكلة القائمة.

لكنا قبل تناول هذه الاسباب والخصائص لا بد لنا من التأكيد على حقيقة اساسية وهي ان الطبقة العاملة في البلدان العربية، وخاصة تلك البلدان الاكثر تطورا قد برهنت على اصالة وثبات كفاحيتها، وصدق منظماتها السياسية الثورية في التعامل مع الجماهير. وقد زاد وزنها العددي والنوعي في الحياة الاجتماعية، وهي مؤهلة لتشغل موقعا متزايد الاهمية والنفوذ داخل التحالف الثوري.

غير ان تحديد هذا الموقع يعود للتطورات الموضوعية والذاتية في كل بلد عربي على حدة، ومن غير الواقعي وضع صيغة شاملة بهذا الخصوص، ولكن ينبغي القول ان الطبقة العاملة بفكرها الطليعي، وموقعها التقدمي في نظام الانتاج الاجتماعي، وفعالية احزابها السياسية الثورية وصحة وشمولية برامجها السياسية، والدور الطليعي الذي تلعبه الطبقة العاملة وانظمتها السياسية على الصعيد الدولي، وعلى مجرى العملية الثورية العالمية مؤهلة اكثر من اية طبقة في المجتمعات العربية لتضطلع بالدور القيادي في عملية التغييرالثوري قدما نحو الاشتراكية ويزيد من تأكيد هذه الحقيقة واقع ان الطبقات والفئات الاجتماعية الاخرى في العديد من البلدان العربية قد وضعت برامجها حيز التطبيق وكانت النتيجة نكوصها عند نقطة معينة تحددها مصالحها الطبقية عن الاستمرار في استكمال مهمات الثورة الوطنية الديموقراطية ناهيك عن الثورة الاشتراكية.

ان هناك نقصا ملحوظا في دراسة وضع حركة التحرر العربية دراسة تاريخية، وتحديد سماتها الخاصة، وكثيرا ما يصادف المرء في التحليلات الموضوعية عن احوال هذه الحركة استخداما يكاد يكون حرفيا، لمناهج ووسائل تخص فصائل وطنية تقدمية في مناطق اخرى من العالم، تختلف من حيث واقعها وتطورها

Digitized by Birzeit University Library

التاريخي، ودرجة تكدس تجربتها النضالية، ونضوج قياداتها السياسية، ومستوى تبلور قواها الطبقية وعلاقاتها المتبادلة، وطبيعة الظروف الموضوعية التي تعمل في اطارها، ولكن اذا كانت الاستفادة من تجارب تلك الحركات والفصائل مسألة ضرورية ولا غنى عنها، فان نوعية هذه الاستفادة وطريقة استخدامها يجب ان تأخذ في الاعتبار الظروف الحسية، والمعطيات الواقعية في ساحة النضال المعيّنة.

وفي هذا الصدد يمكن القول ان بعض السمات الخاصة التي رافقت نشوء وتطور حركة التحرر العربية منذ مطلع هذا القرن لم تحظ بدراسة تحليلية كافية تساعد على فهم جذور المواقف والممارسات الحالية لقيادات بعض فصائل هذه الحركة، ولفئات البرجوازية الوطنية من كبيرها حتى صغيرها بوجه عام.

ومع الادراك التام الى ان هذه السمات الخاصة تتطلب دراسة واسعة ومعمّقة الا ان الاشارة اليها في هذا المقال تقتصر على محاولة تفسير بعض الظواهر في علاقات القوى الطبقية، وقضايا الصراع الطبقي مما تختلف، بصورة او بأخرى، عن الطابع الكلاسيكي الذي تتسم به تلك القضايا في مجتمعات اخرى، وليس شرطا ان تكون مجتمعات رأسمالية متطورة.

ان اهمال تأثير هذه السمات قد قاد الى تفسيرات ذاتية لتلك الظواهر الاستثنائية، كان من بينها القاء التبعية على الاحزاب الشيوعية في البلدان العربية، وتجاهل عدة عوامل موضوعية بما لها من تأثير على مسيرة حركة التحرر العربية وعلى علاقات القوى المكوّنة لهـا.

واذا ما تركنا جانبا الطريقة التي تشكلت بها الدول العربية القائمة فاننا نجد وضعا استثنائيا في المسار الذي اتخذه نشوء وتطور البرجوازية العربية، وخاصة في بلدان الشرق العربي، والتي قادت النضال الوطني من اجل الاستقلال، ثم تولّت فئاتها الصغيرة والمتوسطة قيادة هذا النضال من اجل استكمال الاستقلال والتخلص من مظاهر النفوذ الاجنبي السياسي، والى حد ما، الاقتصادي.

لقد تشكلت هذه البرجوازية، في الاساس، من فئة التجار، وهي لم تنشأ، كما حدث في اوروبا، في مجرى الصراع ضد الاقطاع، بل كانت لها مصالح متداخلة مع الاقطاع بحكم دورها الوسيط مع الشركات والمصالح الخارجية وخاصة في فرنسا وبريطانيا. وكانت هذه البرجوازية التجارية تسعى لتوظيف ارباحها في شراء الاراضي والعقارات، دون ان يكون لديها الحافز الكافي لتوظيفها في الصناعة، اولا بسبب الهيمنة الاقطاعية وعدم استعدادها لمقاومة هذه الهيمنة بحكم تداخل المصالح، وثانيا بحكم تدفق البضائع الخارجية دون قيود، وبرعاية السلطة الاستعمارية، وواقع كونها، او على الاقل الفئة العليا منها، الوسيط لعملية التدفق تلك.

هذا الواقع للبرجوازية الناشئة في المشرق العربي خاصة جعل تناقضاتها مع الاقطاع من جهة، والسيطرة الاستعمارية من جهة اخرى ليست عميقة بالقدر الذي يسمح بخوض صراع حاد وعميق يستقطب ويشرك الاوساط الشعبية الكادحة في حل تلك التناقضات. وقد ساعد على ذلك التخلف الاقتصادي والسيطرة الاستعمارية، وخاصة في العهد العثماني،

Digitized by Birzeit University Library

التي كانت عاملا رئيسيا في هذا التخلف، وما ترتب عليه من ابطاء في التحولات الاجتماعية، والتمايز داخل الطبقات الاساسية في المجتمع، بل وتبلور هذه الطبقات نفسها. وبنتيجة هذا الوضع لم يكن من المتوقع نشوب صراع حاد وعميق بين الفئات الاجتماعية المختلفة حول الموقف من السيطرة الاجنبية ووسائل التخلص منها، ولا في مجال النضال العملي المباشر ضد هذه السيطرة.

وقد ساعد هذا الوضع على ان تكون مواقف واساليب البرجوازية سائدة في الممارسة وفي عملية تشكيل الوعي السياسي الوطني. وبنيا الاعتماد على التناقضات بين الدول الاستعمارية، وتجاهل الصراع الطبقي، والركون الى دور " الشخصية(والتحفظ تجاه دور الجماهير والاستهانة باهمية تعبئتها وتنظيمها، والنظر اليها كطرف متأثر بدور "الشخص القائد".

واذا كانت هذه المواقف والاساليب قد عُرّت بسبب بطء التحولات الاجتماعية فان الاستقلالية النسبية للايديولوجية التي تحملها ابطأ تحولا من التحول في البناء التحتي عززت استمرارية هذه المواقف والأساليب حتى بعد انتقال قيادة النضال الوطني من يد التجار الى يد فئات اخرى من البرجوازية المتوسطة والصغيرة.

وليس لهذا السبب فحسب. فمن الطبيعي الى حد ما ان تشهد فترة الانبعاث الوطني ان يجرى اللجوء الى نشر امجاد الماضي، وبطولات الاجداد كحوافز لتشكيل الوعي بالشخصية القومية، والنضال من اجل التحرر والخلاص من السيطرة الاجنبية.

لكن عملية التعبئة بامجاد الماضي التي قادتها البرجوازية كانت لصالح التأكيد على مواقفها واساليبها، من حيث تجاهلها لدور الجماهير والتركيز على دور" الابطال" وطمسها لاية مظاهر للتناقضات الاجتماعية، وتفريغها للصراعات التي حفل بها التاريخ العربي من اى مضمون اجتماعي ونعت حركاتها التقدمية اما بالشعوبية او الالحاد او الصعلكة وما الى ذلك من تعابير يقصد بها الانتقاص والاساءة لممثلي تلك الحركات.

ان الفئات الوسطى والصغيرة من البرجوازية التي تسلمت زمام القيادة في العقود الاخيرة كانت اكثر حزما في نضالها ضد الامبريالية والاقطاع، وحققت اصلاحات ذات مضمون اجتماعي استهدفت تعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادى لبلدانها،لكنها ،على الرغم من ذلك، بسبب الطريقة التي وصلت بها الى السلطة، وهي الجيش، وبسبب ضعف قاعدتها الاجتماعية، وطبيعتها الطبقية التي تجعلها في خوف من حركة الجماهير الكادحة ودورها ،وبسبب ضآلة تجربتها الثورية، لم تدخل تعديلات كبيرة على ايديولوجية اسلافها بل واصلت تبنّي الكثير من المواقف والاساليب التي كانت لسلفها البرجوازى. وفيما كانت تصور وجودها في السلطة واصلاحاتها على انها انتصار على الاستعمار والاقطاع الا انها نادرا ما كانت تتعرض للبرجوازية الكبيرة كطرف في الجهة المقابلة من ساحة الصراع. وفي الحالات القليلة التي كان يجرى التعرض لتلك البرجوازية كان يشار اليها بالبرجوازية المستغِلّة (بكسر العين) مقرونة بالاشارة الى وجود برجوازية غير مستغِلّة او برجوازية وطنية !!.

Digitized by Birzeit University Library

وبهذه الطريقةكان يجرى لجم الصراع الطبقي تحتشعار" اللاحزبية"، والشخصية القائدة، او الحزب القائد، وبمنع قيام التنظيمات الجماهيرية الديموقراطية، وتفبرك قيادة وحركة نقابية على اساس انكار وجود الصراع الطبقي ، وحتى حينما جرى الاعتراف بوجود طبقات، واقر مبدأ التمثيل بنسبة ٥٠ بالمئة للعمال والفلاحين. كما حصل في مصر. عين معظم نصيب العمال في هذا التمثيل من غير العمال ، ويورد الدكتور رفعتالسعيد عن هذه الواقعة في كتابه " تأملات في الناصرية" احصائية تشير الى ان بين ممثلي العمال والفلاحين الذين عينوا في المؤتمر القومي العام للاتحادالاشتراكي كان" وزير سابق ، لواء سابق بالجيش، ٤ رؤساء مجلس ادارات شركات، ٢٥ من مديرى الشركات وبنوك التسليف والادارات الحكومية المختلفة، مدير جامعة، وكيل جامعة، استاذ بمعهد عال، ١١٧ موظفين كتابيين ومحاسبين وصيادلة، ٢٩ رؤساء اقسام ووكلاء ادارات ورؤساء حسابات، صحفيان، مخرج اذاعي، ماذون، جـــزار ".

وحتى حينما اعترف الميثاق المصرى بوجود الصراع الطبقي وكان ذلك بعد الانفصال والتأميمات، ودخول الثورة المصرية مرحلة التحولات الاجتماعية العميقة، بعد نمو الطبقة العاملة المصرية عددا ونوعا، كان الحل طرح مقولة الخمسين بالمئة التي اوردنا عينته لتطبيقها العملي، وصيغة " تذويب الفوارق بين الطبقات" عن طريق جهاز الدولة وكأنه جهاز محايد فوق الطبقـــات !.

ومما لا شك فيه، رغم ذلك، ان تعديلات قد جرت في المواقف والاساليب والمضامين على مواقف الاسلاف البرجوازيين في عهد حكم الفئات الوسطى والصغرى من البرجوازية . ولكن هذه التعديلات لم تكن متناسبة مع التعديلات التي جرت منذ ذلك الوقت على تناسب القوى الطبقية في داخل المجتمع . ولهذا كان جهاز الدولة عاملا رئيسيا بيد البرجوازية بمختلف فئاتها لعرقلة تطور الصراع الطبقي حينما بات الامر لا يسمح بانكار وجوده كما كان الحال في السابق .

ومن هنا كان القول بأن البرجوازية الوسطى والصغرى ظلت تستلهم الذخيرة الايديولوجية لاسلافها ، وعلى هذا الاساس كان السادات يهدف الى كسب رصيد شعبي حين اعطى حزبه اسم " الحزب الوطني" الديموقراطي تيمنا بالحزب الوطني الذى اسسه مصطفـى كامـــل .

وانها لظاهرة جديرة بالتأمل ان يقـوم السادات لعدة سنوات بمنع اعادة تشكيل حزب الوفد بعد اكثر من عشرين عاما على الثورة المصرية، ثم يضطر ، تحت الضغط الشعبي ، للموافقة على ذلك وبقيادة نفس سكرتيره القديم في ايام النظام الملكي ، وان يحصل هذا الحزب ، رغم التزوير الفاضح في الانتخابات ، على اكثر من ستة وخمسين مقعدا في مجلس الشعب المصرى ، بينما الناصريون لم يستطيعوا تشكيل حزب خاص بهم حتى الان ، او ان يحصلوا على اى مقعد من ذلك المجلـــس .

ومهما كان تعدد العواملالتي ادت الى هذه النتيجة فان محاولات تغييب الصراع الطبقي من مواد التعبئة الشعبية في العهد الناصرى كان لها دورها في اظهار الوفديين بهذه الطهارة في نظر الجماهير بعد اكثر من

Digitized by Birzeit University Library

عشرين عاما على سقوطهم الرسمي بقرار حل الاحزاب، وكان لها دورها في وجود مظاهر اللامبالاة حيال التراجعات والانحرافات .

لقد ظلت تجربة الجماهير النضالية في ايام الوفد حيّة، لانهم شاركوا في النضالات، وذاقوا طعم الديموقراطية، والوفد الجديد ركز على تلك التجربة في اعادة احياء نفسه ، رغم ان برنامجه لا يخدم تطوير المكاسب التي حققتها الجماهير في ظل ثورة تموز بل يسعى لتصفيتها .

وهذا الواقع يرتبط بسمة استثنائية اخرى . وهي ان الجيش كان اداة التغيير الذي تحقق في معظم اقطار حركة التحرر الو طني العربية ولما كانت مصر في عهد عبد الناصرقد حققت انجازات بارزة الهبت حماس الجماهير العربية وحفزتها لتشديد نضالها ضد الاستعمار ومظاهر نفوذه، واعطت المثل الحي بتأميم قناة السويس ومقاومة العدوان الثلاثي والاحلاف العسكرية، ولما كان كل ذلك تحقق في ظل مصادرة قيام الاحزاب السياسية ،وفي غياب الديموقراطية السياسية بمعناها الواسع ، فقد ترسّخ في وعي اوساط واسعة من الجماهير الشعبية في البلاد العربية ان التغيير التقدمي ، على غرار ما جرى في مصر ، لا يتحقق الا من خلال الجيش والانقلاب العسكري ، وقد عكس هذا الاعتقاد نفسه في قبول عدد من الاحزاب السياسية لحل نفسها كما جرى ،اساسا في سوريا حيث اعلنت جميع الاحزاب حل نفسها ،باستثناء الحزب الشيوعي السوري ، عند اعلان الوحدة بين مصر وسوريـــا .

وبالفعل اصبح الشكل السائد في العمل من اجل الاطاحة بالنظم الرجعية خاصة، هو البحث عن ضباط يضطلعون بمهمة القيـــام بانقلاب عسكري، بغض النظر عن ظروف كل بلد. وقد ادّى هذا الى انحسارالحركة الجماهيرية، والى الانصراف، خاصة لدى البرجوازية الصغيرة وممثليها السياسيين عن خوض النضال الجماهيري وتعبئة وتنظيم الجماهير لتصعيد ذلكالنضال، ومع تكرر هذه الانقلابات اخذ دور الجماهير يتحوّل شيئـــا فشيئا الى ثانوي حتى في نظر اوساط واسعـــة من هذه الجماهير نفسها، وهذا الوضع لـــم يساعد على اغناء التجربة الثوريةللجماهير ولا على تعميق وعيها السياسي ، ولهذا لم تكن صدفة ان تواجه القوى السياسية الثورية ، مصاعب في التحوّل الى قوى جماهيرية.

لقد كان لتكريس دور الجيش كقوة وحيدة للتغيير في التعبئة السياسية والممارسة في عدد من بلدان حركة التحرر العربية اثره السلبي على حركة الجماهير، وعلى مبادراتها ،حيث قصرهذا التكريس المبادرة السياسية على رأس الدولة او على اجهزتها العليا، وحول الجماهير الى مستقبل للقرارات الفوقية واختصر العمل السياسي في اجهزة واجراءات بيروقراطية .

ولهذا لم تكن مصادفة ان لا يلاقي التراجع بل الارتداد عن الاصلاحات التقدمية ،والنهج اليميني المتّصف بالتقرب من الامبرياليين والدخول في مساومات معهم الردّ الجماهيري المطلوب .

وفي هذه الفترة بالذات كان للطفرة النفطيّة وما ترتب عليها من توفر اموال هائلة في يد اليمين العربي،والانظمة العربية الرجعية

Digitized by Birzeit University Library

،خاصة، تأثيراتها على فئات البرجوازية، ومنها البرجوازية الصغيرة، وعلى اوساط واسعة من العمال والكادحين، مثلما كان لها تأثيراتها على جهاز الدولة وعلاقات القوى الطبقية في معظم المجتمعات العربية .

لقد ساعدت هذه الاموال الضخمة التي جرى توزيع مبالغ كبيرة منها على الدول العربية غير النفطية في تقوية التيار اليميني داخل انظمة حركة التحرر العربية، وقوّى من نفوذ البرجوازية البيروقراطية، ومن الاعتماد على جهاز الدولة بدلا من الجماهير، ونشر التطلعات الرأسمالية عند البرجوازية الصغيرة والوسطى واوساط من الكادحين ، ونشر النزعة الاستهلاكية والفردية .

وعلى الرغم من تباين الظروف والمواقع فقد عوّضت هذه الاموال الطائلة عن نقص التراكم الرأسمالي الداخلي، وخلقت وضعا قريبا من وضع البرجوازية الاوروبية، من حيث توفر الاموال الكافية لرشوة قطاعات في اوساط العمال والبرجوازية الصغيرة والموظفين ، وتسخيرهم للدفاع عن النهج السياسي والاقتصادي للدولة، وكان هذا عاملا اضافيا في زيادة اضعاف الصراع الطبقي، ولو بصورة مؤقتة ، الذي كان من الممكن ان يقوى ويزداد حدة بعد التوقف عن مواصلة استكمال مهمات الثورة الديموقراطية الوطنية .

والى جانب ذلك صار بامكان الدولة، في ظل توفر الاموال الطائلة، توسيع اجهزتها وتحديثها بصورة تتجاوز بكثير المعطيات الاقتصادية ـ الاجتماعية في البلاد، وامكنها الانفاق الواسع على تجنيد وتدريب كوادر في اجهزة الامن والاعلام وغيرها من الاجهزة، ومنحها الخدمات الممتازة والرواتب العالية وجعلها اكثر فاكثر ، في حالة اغتراب عن الشعب ومصالحه . وبالارتباط بذلك جرى تجنيد مجموعات ضخمة للمحافظة على امن الانظمة على صورة اجهزة مستقلة عن بعضها البعض ومرتبطة، في نهاية المطاف، برأس النظام ، ومهيأة لتحييد بعضها البعض في حالة تفكير قادة أي من هذه الاجهزة لتغيير النظام ، ويلفت الانتباه، في هذا الصدد، ما اعلن في مصر اثناء انتفاضة جنود الامن المركزي، عن عدد هذا الجهاز البالغ ٣٥٠ الفاً ، وهناك اجهزة " امن" غير مركزية، وشرطة، وعدة اجهزة استخبارات، وجيش، وحرس جمهوري وما الى ذلك، كما لفت الانتباه مشاركة " فرقة مدرّعة" من الحرس الجمهوري العراقي في القتال في جنوب العراق ، ويطرح السؤال ضد من يحتاج رئيس الجمهورية الى فرق مدرّعة لحراسته الشخصية ؟!.

ان هذا التطور في اجهزة الدولة مكّنها من ممارسة القمع على نطاق اوسع والتضليل ونشر سياساتها الخاصة بالدفاع عن الرأسمالية ،وعلاقاتها الخارجية ،ومفاهيمها الايديولوجية وتغذية الروح السلبية لدى المواطنين بما توفر لها من قدرات على تعزيز اجهزتها الاعلامية والثقافية ، سواء على صعيد الاذاعة والتلفزيون والصحافة ، او في مجالات التعليم .

وفي هذا المناخ كانت اساليب الاستعمار الجديد في المجال الثقافي خصوصا ، لا تجد ادنى مقاومة من جانب الدولة بل ان الفروق بينها وبين اساليب اجهزة الدول المستفيدة من اموال النفط تلاشت بالتدريج .

واذا ما اخذنا وضع البرجوازية الصغيرة، في ظل هذه الاوضاع ،نجد ان جانب "المالك"

Digitized by Birzeit University Library

في خصيتها قد اخذ يزداد بروزا عن جانب المستقل" (بفتح الغين). وفيما دخلت الرساط منها الى اجهزة الدولة المتزايدة الاتساع، توفّرت، بسبب الانفاق الاستهلاكي الواسع، فرص التقدم النسبي من خلال عمليات النبع والشراء لدرجة ايقظت شهيّتها الرأسمالية، وتفاؤلها بجدوى التقدم على الطريق الرأسمالي، وبالتعامل مع الدول الرأسمالية بديلا عن التعاون مع البلدان الاشتراكية، الذي كانت تؤيده حينما كانت تسعى لتعويض النقص في التراكم الرأسمالي الداخلي بالمساعدات السخيّة والمنزّهة عن الغرض التي تقدمها تلك البلدان.

وفي هذا المجال، ومجالات اخرى، اخذت تخف وتزول تدريجيّا، ولو بصورة مؤقتة، حدّة التناقضات بينها وبين البرجوازية البيروقراطية والرأسمالية الطفيليّة تجاه استمرار وتوسيع الاعتماد على السوق الرأسمالي العالمي حيث تتوفر من خلال هذا الاعتماد "العمولات" والارباح للمضاربين والسماسرة والمستوردين وكبار مسؤولي الاجهزة الحكومية عن الاستيراد.

ولئن بقيت علاقات التعاون مع البلدان الاشتراكية قائمة، الا ان الامكانات التي وفّرتها الزيادة الهائلة في مداخيل الدولة في عدد من بلدان حركة التحرر العربية، والامكانات التي وفّرها تطور قدرات البلدان الاشتراكية لم تُستغل في تطوير تلك العلاقات بنفس نسبة الامكانات.

وجرى الانصراف الى السوق الرأسمالي العالمي تحت شعار "العلاقات المتوازنة" و"تنويع" مصادر السلاح، والبحث عن "النوعيّة" الافضل في ايحاء مباشر لعدم افضلية البضاعة من البلدان الاشتراكية، وهي التي كانوا، سابقا، يمدحونها وخاصة في مجالات التصنيع.

ان كل ذلك خلق مناخا ملائما لايديولوجيا البرجوازية وتعزيز مكانتها في المجتمع خصوصا مع نقص التجربة الثورية، وبهوت المضمون الطبقي لتلك التجربة.

ولهذا يكون من الافراط في التبسيط والسطحية عزو الوضع القائم وكأنه مسؤولية الاحزاب الشيوعية، وقصور دورها، لكنه لا يعني، في نفس الوقت، انتفاء وقوع اخطاء واشكالات.

ان هذا الوضع ليس دائميا، وظن بعض قادة هذه الانظمة ان بامكانهم اقامة دول رأسمالية على غرار دول اوروبا الغربية لن يتحقق بدليل المصاعب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي خلّفتها سياسات الانفتاح المعلن وغير المعلن في تلك البلدان

ومع انخفاض عائدات النفط اخذت الازمة تزداد وضوحا، واوهام البرجوازية الصغيرة والمتوسطة بامكانيات الصعود على الطريق الرأسمالي اخذت تتبدّد، وبات يظهر اكثر فاكثر ان هذا الطريق لا يحل مشاكل البرجوازية الصغيرة ناهيك عن الطبقة العاملة وجماهير الكادحين، وفشل في حل المشاكل الوطنية وقضية الشعب الفلسطيني، وقضية الوحدة العربية.

وعلى اساس هذا اصبحت التناقضات الطبقية اكثر بروزا، واستمرار النهج القائم في انظمة حركة التحرر العربية، نهج تجميد وحتى النكوص عن مواصلة الثورة الوطنية الديموقراطية، يزيد تلك التناقضات حدة ويوفر مزيدا من الامكانات لقيام تحالف بين

Digitized by Birzeit University Library

الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة وفئات اخرى حسب ظروف كل بلد .

اما تحديد موقع كل فئة في هذا التحالف فذلك يعود الى علاقات القوى الطبقية في كل بلد والى تناسبها ، ودور حزب الطبقة العاملة وفعاليته في النضال . ولكن مضمون هذا التحالف سيكون ، بالقطع ، ارقى من مضمون التحالف السابق واكثر ثورية وديموقراطية ، وهذا ما يجب ان يصر عليه حزب الطبقة العاملة .

ان ما اوردناه عن السمات السلبية لا يقصد به تبرير واقع بغيض والقبول به ، ولكن استنتاج ما يجب عمله ، وفي هذا الصدد يجب اغناء التجربة الطبقية للجماهير بالصراع ، وتعويض النقص في المعرفة السياسية عن الماضي والحاضر برفض المنهج البرجوازي الذي يقدم تاريخ النضال العربي وكأنه مجرد احداث متتابعة ، وابراز اوجهه المشرقة ، وسلبيات وتراجعات ومساومات قياداته البرجوازية منذ مطلع هذ القرن ، كما يجب وضع دور الجيش في حجمه الطبيعي كقوة يمكن ان تتعاطف وتشارك قطاعات فيها مع حركة الجماهير ولكنها ليست بديلا عنها حتى لو قامت بالدور الحاسم في عملية التغيير ، ومثل ذلك ينبغي عدم التهاون تجاه تغييب الديموقراطية وكبت الحريات ، ورفض مقولة الفصل بين الديموقراطية السياسية والاجتماعية وفضح اوهام التقدم على اساس رأسمالي ، واوهام حل المشاكل الوطنية ، وخاصة القضية القلسطينيّة على اساس الاعتماد على الامبريالية .

ان التحالف مع البرجوازية الصغيرة خاصة لا يجب ان يمنع حزب الطبقة العاملة من شن نضال مثابر ضد ايديولوجيتها بكل مظاهرها السلبية ، ودون انقاص من ايجابياتها حيثما وجـــدت .

لكن هذا النضال الايديولوجي الصريح على مختلف الجبهات التاريخية ، والسياسية ، والاقتصادية ، حتى يكون مؤثرا لا بد من ان يكون مقترنا بممارسات عملية تغني التجربة الثورية للجماهير وتوضّح امامها مختلف تضاريس ساحة الصراع ضد الاعداء الخارجيين والمحليين ، ومن اجل الحرية والديموقراطية والاشتراكية والوحدة العربية .

ان هذا ما يعطي المصداقيّة لأي نضال في نظر الجماهير الشعبية ، وما يقرر المواقع في ساحة النضـــال .

Digitized by Birzeit University Library

أضواء على خلفية الحرب ضد المخيمات الفلسطينية

بقلم : تيسير عاروري

الجولة الجديدة من الحرب التي تشنها حركة امل ضد الفلسطينيين في لبنان منذ عدة اشهر، تفرض نفسها على رأس قائمة اهتمامات الجماهير العربية بشكل عام والجماهير الفلسطينية بشكل خاص . وسبب ذلك يرجع من جهة للجوانب الانسانية في المسألة ومن جهة ثانية لابعادها السياسية . فما ذنب اطفال المخيمات ونسائها وشيوخها ؟ وما ذنب المدنيين ؟ هل في كونهم فلسطينيين مبرر كاف لارتكاب كل تلك المجازر الوحشية ضدهم وشن حرب ابادة ضدهم ؟ ثم ما هي البواعث الحقيقية وراء هذه الحرب القذرة ؟ لخدمة من تشن هذه الحرب ؟ ما هي القوى الحقيقية التي تحركها وتغذيها ؟ والى متى ستستمر؟ واسئلة عديدة اخرى على الالسن .

ولن ندعي باننا نملك الخبر اليقين في الاجابة عليها، بكل بساطة لان ذلك يتطلب معرفة خفايا امور السياسة الشرق اوسطية من طهران حتى تل ابيب ،ومن الرياض حتى انقرة ، ومن بغداد حتى القاهرة ومن دمشق حتى بيروت ، وهو امر لن يتأتى الا بعد ان يكشف للعلماء ، وهذا لن يتم قبل بداية الالف الثالثة ، هذا اذا ما قدر له ان يتم .

لكننا نستطيع الادعاء بان لدينا المنهج الذي يساعدنا في التوصل الى اجابات قريبة من الحقيقة، وهو ما سنحاول ان نقدمه . اى المنهج وليس الاجابات .

منهجنا يتطلب تحديد كافة القوى المحلية (لبنانيا) وعربيا ودوليا،المرتبطة بالصراع القائم ، ارتباطا مباشرا او غير مباشر، وتحديد مصالحها واهدافها في المنطقة وارتباط ذلك وعلاقته بما يجرى على ارض لبنان .

وتحديد المسائل الاساسية في سياسة كل الاطراف المعنية ، تجاه المنطقة ومدى ارتباطها بما يجرى في لبنان، كيف تتأثر

Digitized by Birzeit University Library

بذلك سلبا او ايجابا ، هل يخدمها ما يجرى ، ام لا ؟

ثم ما هي بؤر الصراع الاساسية في المنطقةوكيف تؤثر وتتأثر بما يجرى في لبنان وباى اتجـــاه ؟

ومنهجنا يتطلب ايضا رصد وملاحظة حركة وتغير جوهر القوى المرتبطة بالصراع ، بصفتها ظواهر متغيرة ومتحركة ومتطورة ، وبالتالي ضرورة ملاحظة طبيعة التغير في المصالح واتجاهات هذا التغير وبالتالي تغير المواقف واتجاهات ذلك .

وهكذا فان منهجنا المذكور اعلاه يقود الـى :

اولا : بالاضافة الى القوى المشتركة مباشرة في الصراع ، حركة امل والقوات الفلسطينية المدافعة عن المخيمات ، يجب البحث عن مواقف وادوار ومصالح القوى اللبنانية الاخرى ، القوى الوطنية اللبنانية ، الكتائب ، حزب الله ، حركة التوحيد الاسلامية وغيرها . ان حقيقة مواقف وادوار هذه القوى المختلفة ، قد لا تزيد الصورة وضوحا وذلك بسبب تأثيـــر العوامل الخارجية ، التي تبدو حاسمة في تحديد مواقفها في هذه المرحلة التاريخية ، ودلائل ذلك كثيرة وواضحة لعين المراقب .

ثانيا : على النطاق العربي ، يجب البحث في ادوار كل من : سوريا ، العراق ، مصر ، السعودية ، وعلى درجةاقل اهمية الاردن وليبيا ، وغيرها .

ثالثا : على النطاق الدولي فيجب البحث في ادوار كل من : اسرائيل ، الامبريالية العالمية وفي مقدمتها الولايات المتحدة ، وايران الايات .

رابعا : ما مدى ارتباط مايجرى على الارض اللبنانية بما يلي :

أ) الحرب العراقية ـ الايرانية .

ب) الصراع العربي الاسرائيلي .

جـ) النشاط الامبريالي ضد سوريا .

د) قضية صفقات الاسلحة الامريكية الى ايران وبمساعدة اسرائيلية .

الولايـات المتحـدة واسرائيـل :

ان الهدف الاستراتيجي لسياسة الولايات المتحدة تجاه منطقة الشرق الاوسط كان ولا يزال منذ اعلان مبدأ ايزنهاور * وحتى الان هو بسط هيمنتها المطلقة على دول المنطقة ومقدراتها وذلك بفعل الثروات النفطية ، والموقع الاستراتيجي وغيرها من العوامل الهامة . وضمن هذه السياسة ، فان اسرائيل تلعب دور رأس الحربة واداة التنفيذ الرئيسية

ولعل عدوان حزيران ١٩٦٧ ،وما آل اليه ،قد وضع حدا لقضايا كثيرة مثيرة للجدل ومختلف عليها في اوساط مطابخ السياســة الامريكية ضمن التكتيك لتحقيق الاهـداف الاستراتيجية . وتتعلق بعلاقات الولايات المتحدة باسرائيل من جهة وبالدول العربية الرجعية وغيرها من جهة اخرى ،وهذاما قاد لاحقا الى حسم المسألة لمصلحة اسرائيل وهو ما عبرت عنه اتفاقية التعاون الاستراتيجي بين البلديـــن .

فان الاهداف الرئيسية لحرب حزيران العدوانية عام ١٩٦٧ كما هومعروف ، كانت

* نظرية الفراغ في الشرق الاوسط نتيجة خروج بريطانيا ، وضرورة ان تحل محلها الولايات المتحدة ، لتملأ هذا الفراغ ، الذى سيملأه الاتحاد السوفياتي خلاف ذلك .

Digitized by Birzeit University Library

بالدرجة الاولى ضرب حركة التحرر العربية واجهاضها، وضرب الصداقة العربية السوفياتية وتحقيق التوسع الاقليمي لاسرائيل. وعلى الرغم من ان الحرب نفسها قد فشلت في تحقيق هذه الاهداف، بل على العكس، فقد شهدت المنطقة بعد ذلك وكرد فعل من جانب الشعوب العربية، مجموعة بارزة من النجاحات للحركة الثورية العربية، حيث اطيح بالنظام الملكي في ليبيا وانتصرت الثورة في جنوب اليمن، وشهدت العراق والسودان تطورات كبيرة، بالاضافة الى تصاعد ونمو فصائل حركة التحرر الوطني الفلسطينية. وجرت اعادة بناء الجيوش العربية في كل من مصر وسوريا بوتائر سريعة وعلى اسس حديثة مختلفة عن السابق، وجرى تطور نوعي في مضمون التضامن العربي، وتوطدت العلاقات العربية ـ السوفياتية وغير ذلك الكثير.

الا ان قيادة حركة التحرر العربية آنذاك لم تستثمر هذا المناخ الملائم، وذلك بسبب من قرائتها الخاطئة لطبيعة الترابط بين الانجازات الثورية على الصعيد الخارجي مواصلة وتطوير العملية الثورية على النطاق الداخلي، على النطاق الاجتماعي ـ والاقتصادي، وذلك من اجل اجتثاث جذور العلاقة بالامبريالية، جذور الثورة المضادة والردة.

وهذا ما جرى فعلا فيما بعد، مما ادى الى انتصار الثورة المضادة في مصر وعمت حركة الردة الرجعية ايان حكم السادات بقوة الدولار وغيره من العوامل حتى كادت تشمل دول العالم العربي كافة.

وخلال عملية الردة هذه، استطاعت اسرائيل، والولايات المتحدة ان تحقق ما كانت قد عجزت عن تحقيقه بعد انتصارها العسكري الساحق عام ١٩٦٧، بايدي قوى الردة العربية وليس بفضل قوة الحراب الاسرائيلية.

ولعل ما جرى في لبنان بدءا بعدوان اسرائيل في حزيران ١٩٨٢ وحتى الان، هو تكرار (في الجوهر وليس في الحيثيات) لما حدث بعد عدوان ١٩٦٧. فالحرب التي انتهت هذه المرة باخراج المسلحين الفلسطينيين من لبنان، وباتفاقية ١٧ ايار قد ولدت فيما بعد، في لبنان نفسه موجة ثورية، كانت من القوة ان عصفت بقوى الاحتلال الامبريالية التي اختبأت خلف مظلة القوة متعددة الجنسية وطردت الغزاة بعد ان اوقعت بهم خسائر جسيمة، ومن ثم اسقطت اتفاقية ١٧ ايار. ومرة اخرى لم تستطع قوى حركة التحرر في المشرق العربي من استثمار هذا الزخم لبناء مركز استقطاب ثورى يكون تهيأة فعالة باتجاه اخذ المبادرة من يد قوى المعسكر الرجعي. وذلك لان البلد العربي الوحيد القادر بحكم كل الشروط الضرورية، ان يكون مركز الاستقطاب الثورى، وهو سوريا، لم تستطع ان تلعب هذا الدور التاريخي، وذلك لاسباب ذاتية اولا وموضوعية ثانيا. ذاتية لان القيادة السورية زجت نفسها، او انجرت، الى حلبة صراع ثانوية مع عرفات، لدرجة اصبحت تبدو الصورة للمراقب المحايد بان القضية المركزية فلسطينيا وعربيا بدرجة معينة، بالنسبة للقيادة السورية هي صراعها مع عرفات. وموضوعية، لان الجبهة الداخلية السورية، الاجتماعية والاقتصادية السياسية، تعاني من صعوبات لايمكن تجاهلها وهكذا مرة اخرى، ضاعت فرصة كبيرة امام القوى الثورية

Digitized by Birzeit University Library

العربية .

وفي ظل الوضع الذى نشأ اسرائيليا في اعقاب ما دعي، وفق المصطلح الاسرائيلي "بحملة سلامة الجليل" ، ونشوء حركة السلام الان ،وغيرها من الافرازات والمظاهر التي هزت المجتمع الاسرائيلي والمؤسسة العسكرية الاسرائيلية هزا عنيفا ، لو استثمرت على الوجه الصحيح لكان من المرجح ان تصبح منطلقا قويا باتجاه حلول عادلة لقضايا الصراع في المنطقة .

وبفعل كل ذلك فقد استطاعت اسرائيل ان تلتقط انفاسها ، وتقيم تجربتها وتنطلق لتحقيق اهدافها ،بوسائل اخرى، تماما كما حدث بعد حزيران ١٩٦٧ وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وهكذا خلقت اسرائيل خطا دفاعيا اوليا لها خارج حدودها ،ضمن الاراضي اللبنانية ،

، وهنا تكفي نظرة مقارنة سريعة بين مصداقية هذه القوى الثلاث الان ، وما كانت عليه قبل ثلاث سنوات لرؤية مدى الانحدار في مصداقيتها .

ايران والحرب العراقية ـ الايرانية ومسألة صفقات الاسلحة لايران

من المعروف جيدا ان القيادة الدينية لطائفة الشيعة في لبنان ، تتبع مركز القيادة الدينية لهذه الطائفة في ايران . وان ائمة الطائفة في لبنان يجرى تعيينهم مباشرة من قبل الائمة الكبار في ايران ، لا بل واكثر من ذلك ، فقد عرف التاريخ، امثلة كان يجرى فيها تعيين ائمة ايرانيين وليس عرب لزعامة الطائفة في لبنان ، واحد الامثلة على ذلك الامام موسى الصدر .

وفي ظل هذا الوضع ، حيث التبعية الكاملة للزعامة الدينية لطائفة الشيعة لقيادتها في ايران ، وفي ظل الدور الهام لهذه الزعامة الدينية في مجرى الاحداث السياسية في لبنان ، يصبح بدهيا إرتباط الدور السياسي لحركة امل بمجمل السياسة الايرانية. ويصبح حتميا سعي نظام الايات في ايران ، لاستغلال نفوذهم المطلق لدى زعامة حركة امل والزعامة الدينية للشيعة في لبنان بشكل عام من اجل خدمة مصالحهم السياسية ومن ضمنها ، وفي مقدمتها ، مصلحة حربهم ضد العراق ، بابعادها المختلفة، وبشكل خاص البعد الامريكي والبعد الاسرائيلي، بالاضافة الى البعد العربي .

وعلى ضوء ذلك يمكن فهم ما تناقلته التقارير الصحفية عن ارتباط ما يجرى ضد مخيمات الفلسطينيين في لبنان على ايدى مسلحي حركة امل ، بصفقات الاسلحة الامريكية الى ايران . وهي صفقات لعبت فيها اسرائيل دورا رئيسيا ، كما اكد ذلك القادة الاسرائيليون ، وبضمنهم وزير الدفاع الاسرائيلي اسحق رابين ، الذين اجمعوا على ان الدور الاسرائيلي في انجاح صفقات الاسلحة الى ايران يخدم مصالح السياسة الاسرائيلية. وهذه المصالح لا تقتصر او تتوقف عند السماح لبضع مئات او الاف من اليهود الايرانيين بالهجرة الى اسرائيل والولايات المتحدة .

وعليه يصبح شرعيا التساؤل فيما اذا كان

Digitized by Birzeit University Library

ما تقوم به حركة امل ضد الفلسطينيين في لبنان هو جزء من الثمن الذى تسدده ايران الى اسرائيل .

واذا كان هذا هو الوجه الابرز لانعكاسات الحرب العراقية ـ الايرانية في لبنان ، وهو الوجه الاكثر وضوحا وخطرا ، الا ان استكمال الصورة يتطلب رؤية الوجه الاخر ، اى دور العراق . اليس من الضرورة ، ولو كرد فعل للدور الايراني من جهة ، ومن اجل مضايقة سوريا وازعاجها والضغط عليها ، من جهة ثانية ، دامة على ضوء وضعها في لبنان ، وعلاقتها مع ايران ،وغير ذلك . الا يقتضي استكمال الصورة البحث عن دور عراق صدام حسين ، في تحريك وتوجيه نشاط جماعة التوحيد الاسلامي وغيرها من القوى المرتبطة بالسياسة العراقية مثل مؤيدى العراق من البعثيين ، وجبهة التحرير العربية ، او غيرها من القوى المستعدة لاتخاذ خطوات عملية تأييدا للعراق او نكاية في سوريا او كلاهما معا ؟ .

سوريـــا :

لعل البحث في تحديد دور وموقف سوريا الحقيقي تجاه ما اصطلح على تعريفه بحرب المخيمات ، هو الجزء الاكثر تعقيدا وتشابكـا لما فيه من جوانب متعددة ومتناقضة احيانا .

فمن جهة ، تقف سوريا في معسكر اعـداء الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية في المنطقة ، وهي احدى الدول العربية القليلـة جدا والتي ما زالت تتخذ موقفا واضحا ضد كامـب ديفيد وافرازاته ، وضد السياسة الامريكية في المنطقة،وكان لها دور رئيسي في اسقاط اتفاقية ١٧ ايار، بالاضافة الى انها تقيم علاقات وثيقة مع الدول الاشتراكية والاتحاد السوفياتي وتكرس جهودا وامكانيات كبيرة لتحديث وتطوير الجيش السورى .

وبسبب كل ذلك استحقت من الامبريالية الامريكية واسرائيل ، حشودات القوات العسكرية والاساطيل ، والتهديدات بتوجيه ضربات عسكرية اوحتى شن حرب ضدها ، وضمن ذلك وجهت ضدها الحملات الاعلاميـة والدعائية واتهامها بانها مركز للارهاب الدولي وغير ذلك .

وباختصار فانها ما زالت موضوعيا ، تلعب دورا هاما في مقاومة السياسة الامبريالية والصهيونية والرجعية ومخططاتها في المنطقة.

ومن جهة ثانية فان لسوريا قوات عسكرية كبيرة في لبنان ، وبالتالي ، يبدو للوهلة الاولى بانها قادرة على حسم اى صراع على هذه الساحة ، بما في ذلك وقف عدوان " امل " ضد المخيمات . فلماذا لا تفعل ذلك ؟!.

ومن جهة ثالثة ، فانها ،اى سوريا ، على علاقة تحالف وطيدة مع كافة قوى الحركـة الوطنية اللبنانية، وفي مقدمتها الحزب التقدمي الاشتراكي والحزب الشيوعي اللبناني والحزب القومي الاجتماعي وغيرها . بالاضافة الى علاقاتها القوية بقوى جبهة الانقـاذ الفلسطينية من جهة وبقيادة حركة امل من جهة اخرى . وكذلك ببعض القوى المتنفذة في حزب الكتائب وغيره من القوى الانعزالية .

ومن جهة رابعة فقد كانت تحتفظ بعلاقات متميزة مع ايران طيلة سنوات عديدة ، وكثيرا ما استخدمت ورقة علاقاتها القوية بايران والتلويح بها للضغط على بعض الدول العربية الاخرى ، وبشكل خاص دول الخليج العربـي والسعودية . ولكن وبهذا الخصوص يجب

Digitized by Birzeit University Library

ملاحظة ان هذه العلاقة، علاقة سوريا بايران، اخذت بالضعف والخبو بحكم العديد من العوامل، احدها ولا شك، ان ايران، كما يبدو تريد ان تستخدم ورقتها هي بنفسها، بعد ان اكتشفت قوة هذه الورقة. وبعد ان ثابت الغيوم علاقاتها بسوريا، وبشكل خاص بعد ما كشف عن محاولات قام بها الاردن وغيره بهدف تحقيق مصالحه سورية عراقيـــة.

اضف الى ذلك، الوضع الداخلي السوري، حيث اقتصاد البلد يواجه صعوبات كبيرة وهو وضع لا بد ان يعكس نفسه علـــى جوانب عديدة وهامة، اجتماعية وسيـ ية وغيرها. زد على ذلك ان الجبهة الداخليه تعاني منذ سنوات طويلة من مجموعةمتشابكـة من الاشكالات والتناقضات التي تختفي عن الانظار احيانا، ولكنها تكون كامنة، كالجمر تحت الرماد، وتستعر في احيان اخرى، وتصل مدى وابعاد خطيرة وبالتالي يكون من المسلمات الاستنتاج بان القيادة السورية يجب ان تأخذ في حساباتها هذا الامر، خاصة وانها بالضرورة واعية الى ان اعداءها ومنافسيها في لبنان وغيره وكذلك حلفاءها ومن ضمنهم حركة "أمل" يعرفون نقطة الضعف هذه. وكما استطاع الملك حسين في حينه استغلال هذه الثغرة، كما اعترف بنفسه بذلك، ونجح في خلق مشاكل داخلية خطيرة في سوريا من خلال تدريب وتسليح وتمويل جماعات الاخـــوان المسلمين وغيرهم من القوى المعادية للنظام، فان كثيرين غيره يمكنهم ان يلعبوا بنفس هذه الاوراق عندما تقتضيهم الضرورة ذلك.

تم هناك موقف القيادة السورية من حركةفتح وقيادتهاوالقيادةالرسمية لـ م.ت.ف ومن مجمل قضية وحدة فصائل م.ت.ف، وغيرها من المسائل ذات العلاقة، هذا الموقف الذي يخلط الحق بالباطل، والذاتي بالموضوعي، مما جعل القيادة السورية تقف ضد اتفاق عدن ــ الجزائر في حينه.

ان عدم الفهم الصحيح لمسألة الترابط هذه، يقود الى افكار واستنتاجات خاطئة وخطيرة مثل الاعتقاد بوجود تناقض بين مصالح الشعبين الفلسطيني واللبناني وبالتالي الى الاعتقاد "بامكانية حل المشكلة اللبنانية حلا ديموقراطيا على حساب الوجود الفلسطيني في لبنان، او بمعزل عن نضاله من اجل حقوقه الوطنية" *.

لعل محصّلة كل هذه الاعتبارات مجتمعة وربما غيرها اضافة اليها، هي التي تحدد حقيقة الموقف السوري من الحرب ضد المخيمات الفلسطينية في لبنان، هذا الموقف الذي كان يدعو لفظياً لضرورة وقف الحرب وفـك الحصـار عن المخيمات، وفي نفـس الوقـت الامتنـاع عـن اتخـــاذ خطوات عملية لتحويل الموقف اللفظي الى واقع عملـي. وهذا ما تؤكده حقيقة انه وبعد مرور اسبوع كامل على دخول القوات السورية الى بيروت الغربية لتنفيذ ما اطلق عليه "خطة اعادة الامن الى بيروت" لم تشمل هذه الخطة الضاحية الجنوبية، معقل حركة امل ومنطلقها للعدوان على المخيمـات الفلسطينية، وبالتالي، لم يتوقف فعليا حصار المخيمات والعدوان عليها.

---

* بشير البرغوثي ــ الطليعة، العدد ٤٦٩، ص ٣.

Digitized by Birzeit University Library

الشـــرق الاوسط لا بد من ايجاد حـــل لمشكلاتـــه

بقلـم : الكسي فاسيليـف ـ ترجمة : دوريس فرحـات

من اشد الامور تسببا في الانزعاج في عالم اليوم ، ان الناس اخذوا يتقبلون النزاع على انه من الامور الطبيعية ، بما في ذلك نزاع الشـرق الاوسط والذي مضى عليه اربعون عاما تقريبا ، مع ان هنالك طرقا لتسويته .

ان نزاع الشرق الاوسط مشحون بخطر مجابهة اوسع بكثير مما يبدو . فعلّته تكمن في البيئة الملاصقة ،كما تمتد الاف الكيلومترات عن البيئة المباشرة ، ان اسس هذا النزاع تكمن في ازمة لبنان الداخلية ، وعدوان الولايات المتحدة في خليج سدرة ، والى حد ما في الحرب بين ايـــران والعـــراق .

ان تطور العلوم والتكنولوجيا في تلك المنطقة ، وتحول اسرائيل الى قطر يقف على عتبة انتاج الاسلحة النووية (وهو قطر قد تجاوز فعلا تلك العتبة) ، وامكان وقوع الاسلحة النووية في ايدي اعدائها في المستقبل ، وادخال الاسلحة الصاروخية الى المنطقة ، وانضمام اسرائيل الى برنامج حرب النجوم الامريكي ، كل هذه عوامل يتعذر التنبوء بعواقبها .

ان الخطر الناجم عن استمرار النزاع صمم اشد تعاظما لان اقطارا اخرى بما فيهـا الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي لها مصالحها في تلك المنطقة وهذه المصالح تتعارض من حين لاخر . وفي المنطقة الواقعة الى الجنوب من الحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتي اساطيل بحرية لعدة دول .

ليـس هنالـك من سبيـل لفـرض حـل مـــن جانـب واحـــد

ان الضربات المستمرة التي تكيلها بلاد تتمتع بتفوق تكنولوجي وتنظيمي وبمساندة اقوى دول الغرب ، ضد بلدان اخرى ، تهدف آخر الامر الى فرض حل مؤاءات لطرف واحد ، يتضح تهور هذا النمط للسياسة بمعنى ان

Digitized by Birzeit University Library

باستطاعته اشعال نزاع كبير والحاق الضرر بمصالح الطرف الاخر . ان مقاومة الاقطار العربية لاسرائيل هي في صعود وهبوط ، وافضل شاهد على ذلك هزيمة اسرائيل في لبنان ، اما الزعم ان فرض الحلول سوف يؤتي ثمرة فانه يجرّ اخطارا عظيمة في المستقبل .

من يستطيع مثلا ان ينفي ان التطورات الداخلية في أي قطر عربي لن تسير في الاتجاه المعاكس الذي يرغب فيه معارضوه . فهناك دلائل على ذلك ابتداءا من الثورة ضد الشاه الى بروز حركة المسلمين المتشدّدين في اقطار اخرى التي لا تخفي عدم قبولها لدولة اسرائيل ، في اوضاع كهذه يكون من المؤكد ان التفوق التكنولوجي لقطر صغير قليل عدد السكان يكون بمثابة خرافة لا بديل الى تحقيقها ، وبهذه الطريقة يخسر جميع الفرقاء من استمرار النزاع .

لـــن تنتظـــر :

هنالك كثيرون اليوم ممن يربطون نزاع الشرق الاوسط بمشكلة الارهاب الدولي . فالارهاب يولد ارهابا جديدا والعنف يولد عنفا ، صحيح انه بالنسبة الى الشرق الاوسط ينشأ الحوار بشأن من جاء اولا ، الدجاجة ام البيضة ، وهذا تفكير غير مقبول . فمن الواضح ان اولئك الذين طردوا مئات من السكان الاصليين عن مواطنهم هم الذين مارسوا ـ وما زالوا يمارسون ـ اعمالا تتنافى مع ابسط قواعد القانون الدولي .

في المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي اقترح ميخائيل غورباتشوف تأليف نظام شامل للامن الدولي يكون اهم جزء فيه التسوية السياسية للازمات الدولية والنزاعات الاقليمية ، واهم مواد هذا النظام يمكن تطبيقها ايضا على الشرق الاوسط ، هنا كما في مناطق اخرى من هذا الكوكب توجد حاجة ملحة للاحترام غير المشروط للحقوق السياسية لكل امة في اختيار اساليب تطورها .

وهنا من الضروري صياغة افكار والخروج باجراءات لتأمين وجود الثقة بين دول المنطقة ولتأمين الضمانة الفعلية ضد الاعتداء وضد انتهاك حرمة الحدود .

ففي الشرق الاوسط وليس في أي مكان آخر هناك ضرورة للخروج من الازمة وتبنّي طرق فعالة لانهاء الارهاب الدولي بكافة انواعه ، كما يجب وضع حد للدّعاية العنصريّة ، قوميّة كانت ام دينية ، ضد أي جهة في هذه المنطقة .

حـــل منطقـــي :

لثلاث سنوات متتالية اصدرت الهيئة العامة في الامم المتحدة قرارات تدعو الى انعقاد مؤتمر خاص بالشرق الاوسط . هذا القرار كان ينسجم مع الاقتراحات السوفيتية التي عرضت من قبل ، ومع ذلك لم يحرز أي تقدم في هذا المضمـــار .

المنطق ومصالح دول المنطقة ومصلحة الانسان بشكل عام هذه العوامل تحث على الحاجة الى ايجاد تسوية سياسية سلمية للنزاع

وعندما يدعو النقاد الاقتراحات السوفيتية بانها " دعائية " او " مناصرة للعرب" فان ذلك يظهر بوضوح انهم لم يطلعوا على الاقتراحات السوفيتية بحذافيرها

Digitized by Birzeit University Library

انهم يحاولون تشويهها عن قصد ، فالنقطة الجوهرية هنا تكمن في ان موقف الاتحاد السوفييتي ليس موقفا " مع العرب" وانما هو موقف مبدئي بالنسبة للصراع في الشرق الاوسط ، ان الاتحاد السوفييتي مع الحل السلمي مع الاستقرار مع الحقوق المشروعة للعرب واليهود معا مع الحفاظ على مبادئ القانون الدولي ومع حماية السلام والامن في هذه المنطقة .

والقارئ المتمعّن لاقتراحات مبادئ التسوية التي وضعها السوفيات سوف يجد بلا شك انها لا تشترط بأي حال من الاحوال خرق حقوق وامن اسرائيل ، والاتحاد السوفييتي يقنع بأن احلال السلام في الشرق الاوسط لا يمكن ان يتم باستخدام العنف او باملاء حلول على الاطراف المتنازعة . ان الحل لهذه المشكلة يجب ان يكون حلا سياسيا ويأخذ بعين الاعتبار مصالح كل سكان هذه المنطقة وهذا البرنامج الذى يدعو الى تسوية عامة في الشرق الاوسط . يتضمن فحوى الاقتراحات السوفيتية المبنية على مبدأ عدم السماح باحتلال اراض اجنبية بالقوة ولذلك فكل المناطق التي احتلتها اسرائيل منذ سنة ١٩٦٧، يجب ان تعاد الى العرب . ومن اجل عملية هناك ضرورة لتأمين حقوق الشعب الفلسطيني المتمثلة شرعيا بمنظمة التحرير الفلسطينية وحق تقرير المصير وتأسيس الدولة المستقلة في المناطق التي تحررت من الاحتلال الاسرائيلي . وهناك حاجة لتأمين الحقوق التامة لجميع دول المنطقة للحصول على وجود مستقل وآمن ، وانهاء حالة الحرب ولتوطيد السلام بين العرب واسرائيل . وأخيرا ويضمن الاقتراحات السوفيتية تبني ضمانات دولية لتسوية مشكلة الشرق الاوسط . والاتحاد السوفييتي مستعد للاشتراك في هذه الضمانات .

ضرورة اللجوء الى الحلول الوسط :

لماذا اتخذت التبريرات لمبدأ عقد مؤتمر دولي لحل هذه المشكلة ؟

النقطة المهمة هي ان معاهدات او اتفاقيات منفصلة لا يمكن ان تؤدّي الى سلام دائم ،وذلك لانها تتضمن سيطرة القوى في علاقته بالضعيف . ذلك لان ميزان القوى اولا غير ثابت ، وثانيا انه لا يمكن ضمان ان أي تنازلات في السياسة الخارجية فرضت عليها بالقوة سوف لا ترفض من عدد غير قليل من سكان هذا البلد (الذي فرضت عليها (ويعتبر لبنان مثالا حديثا على ذلك) وثالثا حشر العدو في الزاوية هو مخالفة للتفكير السليم والحكمة السياسية فأي حل سياسي بعيد المدى يحمل في داخله الحلول الوسط .

ان للعرب مطالب ومصالح مشروعة ، وهي تتضمن تحرير الاراضي العربية المحتلة وتأمين الحقوق الشرعية للعرب في فلسطين بما في ذلك الحق في انشاء دولة مستقلة، واذا فهمت هذه القرارات بشكلها الصحيح فهي واضحة من حيث انها تأخذ مصالح اسرائيل نفسها بعين الاعتبار وضمان أمن وجودها ضمن تلك الحدود الامنة وانه من الجدير بالذكر هنا ان امن الحدود في زمننا هذا لا يحدّد بصفات جغرافية مثل الممرات وسلاسل الجبال والانهار او بعدها من المراكز الاقتصادية ، بل ان امن

Digitized by Birzeit University Library

الحدود يحدّد باستعداد الجيران العيش بسلام وبتطبيق الضمانات الدولية وهنا اعود لاشدّد واقول ان العرب الذين يعيشون قريبا من اسرائيل مهتمون بسلامة الحدود مثل اسرائيل تماما إن لم يكن اكثر .

انه من المفهوم حتما،ان البلدان المعنيّة بالمشكلة بما في ذلك القوى العظمى ، عليها ان تشترك في المؤتمر الدولي ، ونحن ندرك ان للولايات المتحدة اهتمامات جدية بالشرق الاوسط ،مثلا :، مصالح اقتصادية وسياسية وعلاقات ثقافية ، وعندما نتحدث على هذا النحو فنحن بشكل طبيعي نعتقد ان الطرف الاخر عليه ان يعترف هو الاخر بوجود مصالح شرعية للاتحاد السوفييتي في الشرق الاوسط .

المسألة ليست مسألة هيمنة او خضوع،ليس في مسألة تأسيس حلفاء عسكريين او قواعد عسكرية او حصول على امتيازات،ولكن بالضبط هي وجود مصالح شرعية مرتبطة بالاقتصاد السوفييتي والعلاقات الاخرى بالدول العربية وعدم اغفال حقيقة ان هذه المنطقة تقع ضمن المنطقة الاقرب لحدود الاتحاد السوفييتي.

عبر الجهود الجماعية فقط :

عندما يتحدث الاتحاد السوفياتي عن مؤتمر دولي فهو لا يتحدث عن املاء رغباته الذاتية فالحل يمكن الوصول اليه من خلال المحادثات عبر طاولة المؤتمر ، ولكن الاتحادالسوفييتي يقترح الاهداف العامة والمبادئ الرئيسية ، فالحلول الوسط والقرارات غير المتوقعة ممكنة في سياق هذه المبادئ العامة للتسوية ،لنوعية السلام والتزام الاطراف لانهاء الصراع والضمانات الدولية للتسوية . كل هذا يدعو الى قرارات جماعيّة حتى لا يتوصل الى اتفاق على حساب المصالح الشرعية اوالحقوق لأي طرف من الاطراف ، وهذا ممكن فقط اذا شاركت كل الاطراف المعنيّة بالنقاش .

تنص الاقتراحات السوفييتية على انه بعد تأسيس الدولة الفلسطينيّة المستقلّة فالدولة عليها تحديد نوعيّة علاقاتها بجيرانها .

ان المبادئ الاساسية لمؤتمر من هذا النوع يستند الى قرارات هيئة الامم المتحدة التي تتضمن مبدأ رفض ضم مناطق اجنبية بواسطة التهديد او استعمال القوة ومبدأ ضمان الحقوق الشرعيّة للشعب العربي الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره واستقلاله وسيادته ، وبالطبع فان حقوق كل الدول والشعوب لوجود مستقبل حر يجب المحافظة عليها .

بالنسبة للتمثيل الفلسطيني في المؤتمر فيمكن الاشارة الى ان هيئة الامم اعترفت وبغير تحفظ ، بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد والشرعي للشعب الفلسطيني، فهيئة الامم المتحدة ابعدت جانبا امكانية حل القضية الفلسطينية ـ المفتاح للتسوية في الشرق الاوسط ـ بدون اشراك منظمة التحرير الفلسطينية . ان محاولة حل القضية الفلسطينية بواسطة الحكم الذاتي مثل البانتوستان ، في جنوب افريقيا ، سوف تحقق وضعا متفجرا مثل الوضع الموجود الان في جنوب افريقياوالذي سوف يحمل في داخله سقوط نظام الابرتهايد .

انه لامر واضح، بأن الدعوة لمؤتمر السلام لحل مشكلة الشرق الاوسط ليس من المهمّات السهلة .ولكن الشيء الرئيسي هو حسن النيّة والرغبة في تأمين تغيّر نحو

Digitized by Birzeit University Library

الامن في تطوير الوضع في الشرق الاوسط وبالتالي المساهمة بشكل حاسم لتطوير وتحسين المناخ الدولي، وعدم وجودحل لأي من مكونات الصراع في الشرق الاوسط، اكان الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير او انتهاء الاحتلال للاراضي العربية او عدم وجود حدود متعارف عليها دوليا — او ضمانات دولية للتسوية باختصار عدم وجود تسوية لأي من هذه المكونات الاساسية ، سوف لن يجلب السلام الدائم للمنطقة .

ان الطريق الوحيدة للتسوية العالمية لمشكلة الشرق الاوسط بواسطة مؤتمر دولي تمّت بواسطة القيادة الاسرائيلية، ومع ذلك هناك بعض القوى في اسرائيل التي تدرك النتائج الخطرة المرتبة على رفض اسرائيل لتسوية دولية ، وزيادة على ذلك فان عملية احتلال الاراضي "وعسكرة اجهزة الدولة،وضمير الرأى العام ، يخلق تهديدا متزايدا للميول الديموقراطية في المجتمع الاسرائيلي نفسه .

دعونا نتذكر كلمات كارل ماركس الذى قال" الامة التي تضطهد امّة اخرى لا تستطيع ان تكون حرة ابدا ".

وانا اؤمن ايضا ، ان فعالية او قوة ونفوذ الولايات المتحدة لايزال يتمتع بها السياسيون الذين يدركون ان المصالح القوميّة للولايات المتحدة وبقية دول اخرى ستزداد بواسطة تفجير فتيلة زمنية في شكل الصراع الشرق اوسطي ، ولكن هناك اناس عقلانيون في الولايات المتحدة ، وهذا واضح على سبيل المثال باشتراك ٤٣ منظمة غير حكومية في مؤتمر شمال امريكا الاقليمي،الذى عقد تحت رعاية هيئة الامم المتحدة في نيويورك في حزيران الماضي ، حيث ايد المشاركون عقد مؤتمر دولي بشأن الشرق الاوسط باشراك كل الاطراف المعنيّة ،بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية ، والاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة .

وبهذا يكونوا قد اپدوا قلقهم من ان عدم تسوية الصراع في الشرق الاوسط ،سوف يكون عائقا في طريق حل المشاكل العالمية مثل : العودة الى الانفراج، وقف التسلح النووي ومنع انتشاره في الفضاء ، تقليل وتفكيك الاسلحة النووية ، وباختصار الاسباب والشروط التي تدرأ عن الانسانية خطر الدمار .

عن مجلة : الاشتراكية — النظرية والتطبيق السوفييتية
عدد شباط ١٩٨٧

Digitized by Birzeit University Library

بقلم : د. سمير عبدالله وسمير البرغوثي

"الحلقة السادسة"

خصائص تطور القطاع الزراعي في اسرائيل

==========

١ ـ مقدمة :

تحسب اسرائيل في عداد الدول الاكثر تطورا من الناحية الزراعية على المستوى الاقليمي والعالمي، بالرغم من مساهمة القطاع الزراعي المتواضعة والمتناقصة في انتاجها المحلي الاجمالي. ويبرز تطور الزراعة الاسرائيلية في مجمل المؤشرات النوعية كانتاجية الهكتار، انتاجية العمل الزراعي، تنويع المنتجات الزراعية والمبتكرات الجديدة في مجال التكنولوجيا الزراعية.

وتبين بعض المؤشرات بشكل واضح حجم الفجوة بين تطور الزراعة الاسرائيلية، والزراعة في مختلف البلدان العربية، فعلى سبيل المثال بلغت انتاجية الهكتار العامة في مصر اقل من نصف الانتاجية العامة للهكتار في اسرائيل. كما ان انتاجية العمل الزراعي في مصر لم تتعد ٢ر٥٪ من انتاجية العمل الزراعي في اسرائيل. ومن المعروف ان مصر تقف في طليعة الدول العربية من حيث تطور الزراعة. اما الدول العربية الاخرى فقد بلغت نسبة الانتاجية العامة للهكتار فيها الى انتاجية الهكتار العامة في اسرائيل على الوجه التالي، سوريا ٦ر٢٪، الاردن ٢ر٩٪

Digitized by Birzeit University Library

لبنان ١٩٪ اما نسبة انتاجية العمل الزراعي في تلك الدول الى انتاجية العمل الزراعي في اسرائيل فقد كانت في تلك الدول : ٢ر٣٪، ١ر٨ ٪، ١١ر٣٪ على التوالي (١)

وتعمل اسرائيل على استخدام تفوقها هذا كأداء للنفاذ الى اسواق الدول النامية في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، كما تحاول استخدام هذا التفوق في اقامة روابط مع انظمة وجهات عربية وهناك برامج تعاون في بعض المجالات الزراعية مع النظامين المصرى والمغربي . كما تتسرب بعض الانباء عن صفقات سرية في مجال التكنولوجيا الزراعية بين اسرائيل ومستثمرين عرب في بعض الدول العربية الاخرى .

وفي هذه الحلقة المكرسة لتوضيح خصائص تطور الزراعة الاسرائيلية نود ان نبين اسباب وعوامل تطور الزراعة الاسرائيلية، وحجم واتجاهات هذا التطور ومراحله، ثم التعريف بمظاهر واسباب ازمة الزراعة الاسرائيلية كجزء من ازمتها الشاملة، على اعتبار انها امتزجت بمفاهيم ومرتكزات ايديولوجية، كان لها تأثير كبير في نجاح المخطط الصهيوني، اننا لا نعتبر هذه الحلقة اكثر من دراسة اولية لهذا الموضوع الهام والشائك على امل ان تكون مقدمة لدراسة اكثر شمولا وعمقـــا .

٢-اسبـــاب وعوامـل تطـور القطـاع الزراعـي الاسرائيلـي :

ان اسباب وعوامل تطور الزراعة في اسرائيل تعود بالاساس الى ظروف موضوعية تاريخية ترجع جذورها الى حقبة السيطرة الاستعمارية على المنطقة، خصوصا في فترة ما بين الحربين العالميتين . في الوقت الذى عمل فيه الاستعمار على تهميش وتشويه التطور الاقتصادى في الدول النامية عموما والدول العربية بوجه خاص، وتقزيم الانتاج الزراعي وحصره في انتاج محصول واحد او بضعة محاصيل وفق متطلبات المتروبولات، وضع تحت تصرف المستوطنين اليهود كافة التسهيلات والدعم لاقامة المزارع الحديثة في فلسطين . وبمساعـدة الاستعمار الانجليزى توسعت سيطرة المستوطنين اليهود في اكثر اراضي فلسطين خصوبة .

ففي عام ١٩٤٨ لم تتعدى مساحة الاراضي المملوكة من قبل المستوطنين اليهود ٥ر١ مليون دنم، ولكنها كانت تشتمل على قرابة خمس الاراضي الفلسطينية الخصبة (٢) . وفي عام ١٩٣٥ كانت حصة المستوطن اليهودى من الارض الزراعية ثلاثة اضعاف المواطن الفلسطيني . هذا بالاضافة الى توفر رأس المال بغزارة مع المستوطنين في حين لم يتوفر للمزارع الفلسطيني شيئا منه . وقد أشارت الكاتبة باملا آن سميث بشكل دقيق الى هذه المسألة . حيث كتبت " انه في حين كان المستوطن اليهودى يمتلك ما يكفي من الارض الزراعية ورأس المال فان الفلاح العربي عانى من

Digitized by Birzeit University Library

نقص شديد في كلاهما (٣).

كما اشارت الكاتبة المذكورة ان رأس المال الذى جلبه المستوطنون اليهود معهم في الفترة بين ١٩٢٠ – ١٩٣٥ يقدر بـ ٨٠ مليون جنيه فلسطيني . وهذا الرقم يمكن معرفة قدره اذا ما عرفنا ان موازنة حكومة الانتداب البريطاني السنوية في فلسطين لم تتعد ٢ مليون جنيه فلسطيني فقط (٤)

كما ان نهب اموال وممتلكات واراضي المواطنين العرب وكل اشكال ثروتهم التي كدسوها خلال عشرات الاجيال، حققت وفرا كبيرا للمستوطنين اليهود ولدولتهم فيما بعد . وفي احد التقديرات ورد ان ثروة الشعب الفلسطيني المنهوبة وفرت لكل مهاجر يهودى ثروة تساوى ١١٣٥ جنيه استرليني، وهذا يمثل ثلاثة اضعاف دخل الفرد في اسرائيل عام ١٩٥٠ . كما ان المستوطنات التي انشأت في الفترة ١٩٤٦ – ١٩٥٣ كانت بالكامل تقريبا على حساب املاك العرب المهجرين. وتبلغ عدد هذه المستوطنات ٣٥٠ مستوطنة من بين ٣٧٠ مستوطنة اقيمت في تلك الفترة (٥).

ان جميع هذه التغيرات في الزراعة الاسرائيلية، والتي حدثت في عهد الانتداب البريطاني، كان يرافقها استنزاف لموارد الدول العربية . هذا بالاضافة الى سيادة علاقات الانتاج المتخلفة واشكال تنظيم الانتاج البدائية، التي كبلت التطور وما زالت تكبله حتى الان، والحجر الذى فرضه المستعمرون على اى مظهر من مظاهر التقدم العلمي والتقني في هذه الدول .

لقد كان من نتائج الهيمنة الاستعمارية في المنطقة العربية، ارساء دعائم التخلف وترسيخها في البلدان العربية، الى جانب تمكين المستوطنين اليهود من بناء قاعدة متينة للتطور في فلسطين في كافة المجالات، وخصوصا في القطاع الزراعي .

وفي محاولتنا الكشف عن اسباب تقدم الزراعة الاسرائيلية فيما بعد يمكن اجمال العوامل التاليـــة :

١ – شكلت الارض، الموضوع الاساسي للصراع بين الحركة الصهيونية والشعب الفلسطيني وحركة التحرر الوطني العربية. وبما ان الايديولوجية الصهيونية كانت تهدف لاقامة وطن خاص لليهود في فلسطين، فقد كان احتلال الارض واستيطانها ركيزة اساسية في هذه الايديولوجية وممارستها . ومن الطبيعي ان يرتبط الاستيلاء على الارض والاستيطان فيها، باستثمارها وتطوير الانتاج الزراعي، لا سيما وانه عول على الزراعة في توفير مقدمات مادية لاقامة وطن يهودى مستقل في فلسطيـــن .

٢ – كان لسياسة التصنيع (٦) التي انتهجتها اسرائيل في عقدها الاول القائمة على استراتيجية احلال الواردات ، اى التركيز على الصناعات الاستهلاكية بهدف تلبية الطلب المحلي من المنتوجات الصناعية ،والاستغناء عن استيرادها من الخارج، الاثر في قيام سلسلة من الصناعات الغذائية مما حفز الطلب على المنتوجات الزراعية وبالتالي تشجيع تطوير الانتاج الزراعي . ففي عام ١٩٦٦ / ١٩٦٧ بلغ مجموع ما ورده القطاع الزراعي للتصنيع ٠٫٢٦٪ من مجموع الانتاج الزراعي الكلي، و ٧٫٣٠٪ من مجموع الانتاج الزراعي المخصص للتسويق . وفي عام ٧٨/٧٧ بلغ ما ورد للتصنيع ٨٫٢٨٪ و ٧٫٣١٪ على التوالي .

Digitized by Birzeit University Library

واذا ما اخذنا التصدير بعين الاعتبار فان ١ر٤٧ ٪ من حجم المنتوج الزراعي الكلي عام ٦٧/٦٦ يذهب للصناعة وللتصدير • وفي عام ٧٨/٧٧ بلغت هذه النسبة ٣ ر٥٩ ٪ (٧)

لا شك ان تحقيق الترابط الوثيق هذا بين القطاع الزراعي والصناعي ، بالاضافة لدعم التصدير وتوجيهه ، والتسهيلات التي منحتها الدول الاوروبية الغربية في هذا المجال ، واتساع سوق المنتوجات الزراعية الاسرائيلية ، في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد الاحتلال ، قد خلقت طلبا مستقرا ومتسعا للمنتوجات الزراعية الاسرائيلية ، وكان لهذا اثر واضح في تطور وتقدم القطاع الزراعي في اسرائيل •

٢- الارتفاع النسبي في حجم الاستثمارات في القطاع الزراعي في السنوات الاولى لقيام اسرائيل ، بالمقارنة بمساحتها وعدد سكانها • مما وفر قاعدة للتطور اللاحق في القطاع الزراعي • فتقدر مجموع الاستثمارات الزراعية عام ١٩٥٢ ٢٥٠ مليون دولار ، و ٢٨٢ مليون عام ١٩٥٤ و ٦ر١٧٣ مليون عام ١٩٦٠ •

وللتوضيح بصورة افضل ، فقد بلغت حصة المستخدم الواحد في الزراعة من الاستثمارات ٢٧٦٣ دولار عام ١٩٥٢ و ٥ر١٤٣٣ دولار عام ١٩٦٠ (٨) • ومع ان حصة الاستثمارات الزراعية من اجمالي الاستثمارات اتخذت اتجاها متناقصا فيمابعد ، الا ان ضخامة الانفاق الاستثماري الزراعي في السنوات الاولى اعطى دفعة قوية لتطور هذا القطاع فيما بعد •

ومن المعروف انه ما كان يمكن لاسرائيل انفاق هذا القدر من الاستثمارات الزراعية ، لولا تدفق الاموال من الخارج سواء عبر الوكالات والمؤسسات الصهيونية او الحكومات الغربية •

٣- كان لطبيعة الاراضي التي سيطرت عليها الحركة الصهيونية والتي تعتبر من افضل اراضي فلسطين تأثير كبير في تطور القطاع الزراعي • فمعظم هذه الاراضي ساحلية ومواتية للزراعة وتقع ضمن تأثيرات مناخية متقاربة ، هذا بالاضافة الى ان معظم هذه الاراضي متشابهة في خصوبتها وقربها من مراكز التسويق الاهلة بالسكان ، كما انها ملائمة لاستخدام الالات والمعدات الحديثة ، وعلى الرغم من شحة المياه النسبية في فلسطين فقد استطاعت اسرائيل من حل هذه المسألة على حساب المناطق المحتلة وعلى حساب الدول العربية المجاورة ايضا •

٤- لقد كان لشكل علاقات الانتاج في القطاع الزراعي في اسرائيل اثره البالغ على تطور هذا القطاع • وقد ارتبط هذا الشكل المميز والمعقد بعوامل سياسية ، وايديولوجية ، لعبت دورا محفزا في تطور الزراعة منذ بداية تشكل المؤسسات الزراعية اليهودية في فلسطين وخصوصا بعد قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، ونظرا لاهمية هذه المسألة فسنحاول الاستفاضة في توضيحها •

٢- خصائص علاقات الانتاج الزرعية الاسرائيلية :

لا بد من الاشارة الى ان اسرائيل ، ككيان اقتصادي اجتماعي لم تمر في مراحل تطور تاريخية سابقة للتشكيل الرأسمالي • وبذا فان الانتاج الزراعي لم يشهد علاقات الانتاج الاقطاعية ، او نظيرها الشرقي • هذه العلاقات التي كانت وما زالت تلعب دورا معوقا لتطور قوى الانتاج بوجه عام

Digitized by Birzeit University Library

وقوى الانتاج الزراعية بوجه خاص في كافة الدول النامية بما فيها الدول العربية المحيطة باسرائيل

كما ان الزراعة الاسرائيلية، التي تطورت في ظروف سيادة النمط الرأسمالي الذى يميز الاقتصاد الاسرائيلي، استفادت من اشكال اخرى لتنظيم الانتاج الزراعي. تلك الاشكال التي ربطت الشكل التعاوني لتنظيم الانتاج بالمنطلقات الايديولوجية الصهيونية حول " الاخوة اليهودية" و" ارض الميعاد". و" العمل العبرى"، و" الاكتفاء الذاتي" وغيرها. وقد برز ذلك في تشكيلات خاصة ومتميزة لتنظيم الانتاج الزراعي الاسرائيلي تدعى الكيبوتسات. وهي مزارع جماعية، عضويتها مفتوحة لليهود فقط. ويقوم الاعضاء بالعمل الزراعي بشكل جماعي وتقدم الخدمات فيها للاعضاء بشكل جماعي ايضا والتوزيع فيها يتم على اساس العمل. اما ملكية الارض ووسائل الانتاج فهي ملكية عامة للكيبوتس كشخصية اعتبارية تابعة لاحدى المؤسسات الصهيونية.

لقد اثبتت الكيبوتسات حتى الان قدرة على البقاء تكاد تكون فريدة بالمقارنة مع التجارب المشابهة من حيث طابعها الاقتصادى كوحدات انتاج جماعية. فجميع التجارب السابقة، والتي نشأت تحت تأثير الافكار الاشتراكية الطوباوية في القرن الماضي باءت بالفشل. فتجربة الفلانستير المستندة الى افكار الاشتراكي الطوباوى الفرنسي شارل فوريبه (١٧٧٢ – ١٨٣٧) التي اقيمت في الولايات المتحدة عام ١٨٤٠ افلست وانقرضت بعد بضعة سنوات. والفلانستير الوحيد الذى بقي على قيد الحياة موجود في مقاطعة " كونديه سيرفيرجيه " في فرنسا.

ولم يكن مصير "المستوطنات التعاونية" التي نشأت تحت تأثير افكار الاشتراكي الطوباوى الانجليزى روبرت اوين (١٧٧١ – ١٨٥٨) افضل من سابقتها. فلم يبق منها حتى الان الا جمعية رواد روتشيديل في بريطانيا. وكلا هذين الشكلين لا يتعدا اثرهما الان الحدود الضيقة المحصورين فيهما، والتي يجتمع فيها بعض انصار واتباع الاشتراكية الطوباوية بين الحين والاخر.

ان البحث في اسباب ثبات وبقاء الكيبوتس في بحر العلاقات الرأسمالية العاصف يتعدى نطاق الجدوى الاقتصادية لهذا التشكيل، وفي هذا الصدد لا بد من ابـراز الامور التالية :

اولا : ان وظيفة الكيبوتس لم تكن وظيفة اقتصادية بالاساس، خصوصا في السنوات التي سبقت اقامة اسرائيل وخلال سنواتها الاولى. ففي ضوء هدف الحركة الصهيونية اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، كانت باس الحاجة الى مؤسسات اجتماعية مغلقة لاستيعاب المهاجرين الجدد ومركزتهم وصهرهم في بوتقة مجتمع يهودى جديد وفق المفاهيم الايديولوجية الصهيونية.

ثانيـا : كما ان سعي الحركة الصهيونية لاستيعاب اكبر عدد من المهاجرين اليهود الفقراء بوجه خاص كان يحتم الاتجاه نحو المزارع الجماعية ـ الكيبوتسات ـ فقدرة رأس المال الخاص في الصناعة او الزراعة او اوجه النشاط الاقتصادى الاخرى لم تكن ملائمة لسببين : الاول يعود الى ان رأس المال الخاص يحدد حجم ونوعية الايدى العاملة التي يستوعبها بالانطلاق من موضوع الربح قبل اى شيء، مما يحد من استيعاب المهاجرين الذين تدفقوا بعشرات الالوف.

والثاني : ان الاستثمار الرأسمالي ينطوى على تناقض حتمي بين العمل ورأس المال، الامر الذى

Digitized by Birzeit University Library

بكثف وبشكل فوري عن زيف المنطلقات الصهيونية حول " الاخوة والمساواة اليهودية" و" التجانس الطبقي" وما شابه ، التي استخدمت على نطاق واسع لجذب المهاجرين الى " ارض الميعاد"، وبالتالي فان الحركة الصهيونية لجأت الى عدم المجازفة بترك المجال امام ظهور تناقضات الرأسمالية في مجتمع في طور التكوين .

ثالثا : وفي حين كان الكيبوتس احد المخارج للحيلولة دون تفاقم التناقضات المجتمع في طور التكوين، فقد استخدم ايضا كأداة دعائية لاستقطاب الحركات اليهودية البرجوازية الصغيرة والعالمية التي كانت تعاني من الاستغلال في المجتمعات الاوروبية الصناعية ، وكأداة للتبشير بحياة يهودية من طراز جديد تقوم على المساواة والتعاون .

رابعا كما ان فكرة الكيبوتس كانت تهدف الى تدعيم الارتباط " بأرض الميعاد" وارساء اساس مادي لها ونقلها من فكرة دينية مبهمة وخيالية الى ارتباط مادي حياتي .

من اجل تحقيق هذه الاهداف قامت الحركة الصهيونية بدعم حركة الكيبوتسات بكافة الوسائل قبل قيام اسرائيل ، وتبنتها الدولة بعد قيامها عام ١٩٤٨ وجعلتها الشكل الرئيسي لتنظيم الانتاج الزراعي،فقد وفرت لها الارض بصورة مجانية تقريبا ، واغرقتها بالرساميل واصبحت عمليا الشكل السيطر في القطاع الزراعي .

فقد تزايدت المساحة الزراعية التي تخضع للكيبوتسات من ١,١٢٧,٦٠٢ دونم عام ٦٧/٦٦ الى ١٤١٦ الف دونم عام ١٩٨٥/٨٤ . وبذلك فالكيبوتسات تسيطر على ٩ر٤١٪ من المساحة المحصولية الاجمالية عدا الغابات ، اما نسبة سيطرتها في المساحة المحصولية اليهودية فقد بلغت قرابة ٥٠٪ (٩) .

كما ان الكيبوتسات حصلت على رساميل طائلة من القروض الميسرة، ولم تكن نادرة تلك التي كانت تقدم لها قروض لمدة خمسين سنة بفائدة سنوية لا تتعدى ٢/ (١٠) ويدل على ذلك حجم الديون على الكيبوتسات حاليا الذي يبلغ قرابة ٢ مليار دولار، وهذا الرقم اقل بقليل من رقم اعمالها السنوي (Annual Ternover) البالغ ٢ر٢ مليار دولار فقط (١١) .

تعود ملكية الاراضي التي تقوم عليها الكيبوتسات لمؤسسات الحركة الصهيونية، كالصندوق القومي اليهودي،الوكالة اليهودية، الهستدروت والحكومة . اما اعضاء الكيبوتسات فيحق لهم الانتفاع بالاراضي واستغلالها على اسس العمل التعاوني . ونشأت الكيبوتسات بتمويل من المنظمات الصهيونية في الخارج ، وليس نتيجة لنضال صغار الفلاحين والمزارعين كما هو الحال بالنسبة لنشوء الحركة التعاونية في شتى دول العالم . وما كان بامكان هذه الحركة ان تستمر لولا الدعم الخارجي، حيث لم تكن تمتلك، ولم تستطيع حتى الان من امتلاك القدرة على النمو الذاتي . وفي فترة هيمنة حزب العمل في السلطة التي امتدت حتى منتصف السبعينات لم تواجه الكيبوتسات مصاعب في الحصول على الدعم الحكومي ، الذي قدم لها بسخاء ، بحكم ان الجزء الاكبر من الكيبوتسات خاضعة لاشراف حزب العمل . ولم تكن مصادفة ان يكشف ملف الكيبوتسات والليكود يحاول اخضاع الكيبوتسات الى مؤشرات اقتصادية صرفة في تقييم جدواها واهميتها عند تفاقم ازمتها في فترة حكم الليكود في النصف الثاني من السبعينات واوائل الثمانينات .

Digitized by Birzeit University Library

تحديد مخصصاتها من القروض والدعم الحكومي ، يعكس حزب العمل الذى يحاول التستر على عجزها بشعارات ديماغوجية حول دورها في " انشاء الدولة" والدفاع عن " ارض اسرائيل" وما شابه . وقد برز هذا بشكل حاد في نقاش موازنة ١٩٨٨/٨٧ بين طرفي الائتلاف الحكومي ، حيث يطرح حزب العمل مشروع انقاذ للحركة الكيبوتسية ويدافع بحرارة عن ضرورة تخصيص مبلغ ٢٦٤ مليون شيكل (١٦٥ مليون دولار) لحركة الكيبوتس الموحد (١٢) .

ان علاقات الانتاج في داخل الكيبوتسات فتقوم على الاسس التعاونية ، ويتحدد دخل الافراد بمقدار مشاركتهم في العمل ، الا ان جزءً غير قليل من هذا الدخل ودخل الكيبوتس لا يتحقق الا في السوق الرأسمالي الاكبر في اسرائيل ، اثناء تبادل المنتوج والاحتياجات الاستهلاكية للكيبوتس واعضائه . كما ان الكثير من مدخلات الكيبوتس (Inputs) تأتي من خارجه ، اى من السوق المحيطة به ، الخاضع لعلاقات الانتاج الرأسمالية . والكيبوتس يرتبط بعلاقات الانتاج الرأسمالية الأم من خلال اعادة توزيع الدخل القومي ، وموازنة الدولة الرأسمالية ، كالضرائب والدعم الحكومي وتسهيلات التصدير ... الخ . ان هذا الوضع يكشف الجوهر الرأسمالي للحركة الكيبوتسية . ويؤكد الرأى القائل ان هذه الحركة رغم طابعها التعاوني ، هي جزءٌ لا يتجزأ من عملية اعادة الانتاج الرأسمالية ، تتأثر بانتعاشها وازماتها . وتشير الحقائق بأن الحركة الكيبوتسية لم تنجو من آثار الازمة الاقتصادية التي تعصف بالاقتصاد الاسرائيلي حيث تقف الان على حافة الافلاس ، وتقدر ديون الحركة الكيبوتسية بأسرها ٢ مليار دولار كما ذكرنا . وبلغت فوائد الديون التي دفعها اتحاد الكيبوتسات التابع لحزب العمل لوحده ١٩ مليون دولار عام ١٩٨٣ و ٤٥ مليون دولار عام ١٩٨٤ ، و ١٨٥ مليون عام ١٩٨٥ ، و ١٢٠ مليون عام ١٩٨٦ . ونتيجة لهذه الازمة فقد انخفض مستوى المعيشة في الكيبوتسات بنسبة تتراوح ١٢٪ الى ١٥ ٪ . ويخطط لخفض مستوى المعيشة بنسبة ٥٪ عام ١٩٨٧ (١٣) .

ولم تقف ملامح الجوهر الرأسمالي للكيبوتسات في هذه الحدود . فلم تخلو من ظاهرة العمل المأجور ، وان لم تكن هذه الظاهرة ملحوظة في البداية ، فقد اتضحت بعد عام ١٩٦٧ حيث توسع تشغيل الايدي العاملة العربية من المناطق المحتلة . وتشير بعض الدراسات ان نصف العاملين في داخل الكيبوتسات هم ايدى عاملة عربية (١٤) . ورغم ان هذه الايدى العاملة عربية الهوية ، الا ان جوهر الامر في جانبه الاقتصادى ، يشير الى تنامي " فائض القيمة " في دخل الكيبوتسات ، مما يعني بداية ضمور واضمحلال الطابع التعاوني للكيبوتسات .

ان ظاهرة الكيبوتسات في القطاع الزراعي الاسرائيلي ، موضوع معقد ومتشعب ، ويحتاج الى مزيد من التوقف والتعمق ، ولكن ما يعنينا ونحن في مضمار البحث عن عوامل تطور وتقدم القطاع الزراعي في اسرائيل ، شكل علاقات الانتاج السائد في الكيبوتسات ، فقد اتاح هذا الشكل للزراعة الاسرائيلية تجاوز عقبة الملكية الخاصة" للارض ، ومما ينتج عنها من اجرة استثمار الارض . اى بمعنى آخر ، لم يكن هناك حاجز حاد بين احتكار مليكة الارض ، وحق الاستثمار في الارض . فمعظم الاراضي الزراعية في اسرائيل تعود مليكتها للمؤسسات العامة ، والمؤسسات اليهودية العالمية ،

Digitized by Birzeit University Library

التي استولت عليها بالقوة بازاحة اصحابها الشرعيين عنها وطردهم خارج وطنهم . وقد منح حق استثمار هذه الاراضي للكيبوتسات بدون مقابل ، او بأجرة رمزية . اذ كان يغلب على منح هذا الحق اعتبارات ايديولوجية واستراتيجية بعيدة المدى ، اكثر من اى اعتبار اقتصادى آخر . وبدلا من ان يتحول الريع المطلق للارض الى دخل في جيوب ملاك الاراضي المستأجرة ، تحول الى دخل اضافي الى المستثمرين في الارض ، وبالتالي وفر بشكل كبير في تكاليف الانتاج الزراعي .

كما ان الكيبوتس الذى حقق لجميع الملكيات الزراعية الصغيرة في ملكية واسعة ، مكن من الاستفادة من ميزات العمل الواسع (Large Scale) وتخطيط الانتاج الزراعي واستخدام الالات والتكنولوجيا الحديثة اى بعبارة اخرى فتح مجالا رحبا امام تطور قوى الانتاج الزراعية ، بالمقارنة مع ظروف تفتت الملكية الزراعية في الدول العربية ، وتزايد هذا التفتت بفعل عامل الارث وغيره من العوامل ، التي تعرقل تطور قوة الانتاج الزراعية فيها .

٤ ـ تطـور الانتـاج الزراعـي :

توسعت المساحة الزراعية في اسرائيل بوتائر سريعة منذ قيامها وحتى عام ١٩٦٠ . فقد تضاعفت هذه المساحة مرة ونصف تقريبا خلال تلك الفترة . وبعد ذلك اخذ التوسع في المساحة المزروعة ينحسر . الآن توسعا ملحوظا جرى بعد احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، حيث سيطرت سلطات الاحتلال على ما يزيد عن نصف مساحتيهما ، وكان من ضمن ذلك مساحات شاسعة من افضل الاراضي الزراعية ، خصوصا في منطقة الاغـــوار .

جـدول ٦ / ١ تطور المساحة المزروعة ، ونسبة الاراضي المروية والمياه المستهلكة للدنـم الواحـد في سنوات مختارة (١٥)

السنة	المساحة المزروعة الف دنم	نسبة الاراضي المروية ٪	المياه المستهلكة في الزراعة مليون م٣	معدل استهلاك المياه للدنم الوحد م٣
١٩٤٩/٤٨	١٦٥٠	١٨ر٢	٢٥٧	١٥٥ر٧
١٩٦٠/٥٩	٤٠٧٥	٣٢	١٠٦٠	٢٦٠
١٩٧٠/٦٩	٤١٠٥	٤١ر٩	١٤٣٠	٣٢٦ر٤
١٩٨٠/٧٩	٤٣٨٦	٤٥ر٧	١٢٢٠	٢٧٨ر٢
١٩٨٥/٨٤	٤٣٧٠	٥٤ر٢		

وكما يتضح من الجدول ١/٦ ، ان تحولا كبيرا طرأ على نوعية المساحة المزروعة ، فقد شهدت اجمالي المساحة المروية تزايدا مضطردا وبوتائر قياسية . ففي حين شكلت الاراضي المروية ١٨ر٢٪ من المساحة المروية عام ٤٨/٤٩ وصلت الى ٥٤ر٢٪ عام ٨٤/ ١٩٨٥ . ويرتبط تطور المساحة المروية بشكل وثيق مع سيطرة سلطات الاحتلال على مصادر المياه في الضفة الغربية وقطاع غزة

Digitized by Birzeit University Library

المحتلين "وعلى توسعها في السيطرة على منابع نهر الاردن في اعقاب عدوان حزيران ١٩٦٧ . فاسرائيل اصبحت تحصل على قرابة ٤٠٪ من المياه المستهلكة من قبلها والبالغة ١٧٤٠ مليون متر مكعب من خارج الخط الاخضر . ومن اجمالي المياه المتجدد والبالغة سنويا ٥٦٠ — ٦٧٠ مليون متر مكعب في الضفة الغربية وقطاع غزة ، يجرى ضخ ٤٥٠ مليون متر مكعب من قبل اسرائيل ، بينما يقتن استهلاك هذه المناطق بـ ١٠٠ مليون منها ١٤ مليون متر مكعب للاستخدام المنزلي والباقي للرى (١٦) .

كما وضعت اسرائيل قيودا مشددة على ضخ المياه من الـ ٨٨ بئر ارتوازى في منطقة الاغوار ، حيث لا يسمح بضخ اكثر من ٩ر٩ مليون متر مكعب سنويا في حين تضخ ١٧ بئر ارتوازى للمستوطنين ما يقرب ضعف مايسمح للابار العربية بضخه في نفس المنطقة (١٧)

كما يلاحظ تعاظم استخدام الاسمدة والمدخلات الانتاجية الزراعية . ففي الفترة بين ١٩٥٥/٥٤ و ٨٥/٨٤ تضاعف استخدام الاسمدة البوتاسية ٧ر٩ مرة والاسمدة الفوسفاتية ٧ر١ مرة ، والاسمدة النيتروجينية ٩ر٤ مرة والاعلاف ٥ر٧ مرة (١٨) .

كما ان مخزون رأس المال الصافي في الزراعة تضاعف قرابة خمسة مرات بين ١٩٥٢ / ٥٣ و ١٩٨٤ / ١٩٨٥ (١٩) .

قادت هذه التطورات الى ارتفاع ملحوظ في الناتج الزراعي الاسرائيلي الذى ارتفع من ١٩٧٦ مليون دولار عام ٤٨ /٤٩ الى ٤١٧ مليون دولار عام ٥٩/٦٠ ثم الى ٥٧٠ مليون دولار عام ٦٩/٧٠ وتضاعف الناتج الزراعي خلال السبعينات قرابة اربعة مرات حيث بلغ ٢١٨٨ مليون دولار عام ٧٩/٨٠ . ووصل عام ٨٤/٨٥ قرابة ٢ر٢ مليار دولار وجميع هذه القيم بالاسعار الجارية (٢٠)

الا ان ارتفاع قيمة الناتج الزراعي لا توضح حقيقة التطور الزراعي بسبب تقلبات اسعار السلع الزراعية وتقلبات سعر الدولار . فكما يعترف الرسميون الاسرائيليون ان الناتج الزراعي نمى بمعدل ١٠٪ سنويا خلال الخمس وعشرين عاما بعد ١٩٤٨ ، ولكنه بعد ذلك ظل يراوح في مكانه (٢١) .

وتظهر حقيقة التطور ارقام التطور الكمي التي تبين ان الانتاج الزراعي نما بمعدل ٨ر٣٪ سنويا بين ٤٨/٤٩ و ٥٩/٦٠ و ١ر٤ ٪ سنويا في العشرة سنوات اللاحقة و ٥ر٥٪ سنويا في خلال السبعينات اما في الثمانينات فقد سجل نموا ملحوظا في العامين الاولين ثم هبط بعدها دون مستوى عام ١٩٨٢ . (٢٢)

وتعزى اسباب ذلك الى ازمة بنيوية في الكيبوتسات ، وعجز الابحاث الزراعية عن ايجاد بدائل لبعض المحاصيل ، خصوصا لمحصول القطن الذى واجه خسائر فاحدة في السنوات الاخيرة. ولم تفلح جهود عشر سنوات لايجاد بديل مناسب له (٢٣) ولكن نائب وزير الزراعة يعتبر الازمة شاملة للقطاع الزراعي بمجمله ، اذ قال ليست الكيبوتسات وحدها في مأزق ، وانما القطاع الزراعي بمجمله بحاجة الى انقاذ (٢٤) .

٥ — القوى العاملة في القطاع الزراعي (٢١) :

شهد القطاع الزراعي في اسرائيل تناقص مطلق في عدد العاملين الاجمالي سواء اعضاء

Digitized by Birzeit University Library

الكيبوتسات اوالعاملين بأجر او اصحاب العمل والموظفين لانفسهم . فقد وصل عدد العاملين الاجمالي ٨٩ر٤ الف عام ١٩٨٥/٨٤ بعد ان كان ١ر١٢١ الف عامل عام ٦٠/٥٩ . وقد جاء هذا الانخفاض نتيجة انخفاض عدد العاملين اليهود في هذا القطاع بالدرجة الاولى . فبعد ان كان عددهم ٨ر٩٧ الف عام ٦٠/٥٩ وصل الى ٦١ الف عام ٨٥/٨٤ . بينما بالمقابل ، ازداد عدد العاملين غير اليهود في القطاع الزراعي داخل اسرائيل من ٣ر٢٣ الف الى ٤ر٢٨ الف لنفس الفترة

ان هذا الوضع احدث تطور في البنية القومية للقوى العاملة في القطاع الزراعي داخل اسرائيل . ففي عام ٦٠/٥٩ شكل العمال غير اليهود (بالاساس الفلسطينيين العرب داخل اسرائيل) ٢ر١٩ ٪ من مجموع القوى العاملة في الزراعة ارتفعت هذه النسبة (مضاف اليهم عمال الارض المحتلة) لتشكل ٨ر٣١٪ عام ٨٥/٨٤ اما الظاهرة الملفتة للانتباه وهي الانخفاض المطلق في عدد اليهود العاملين بأجر في القطاع الزراعي من ١ر٣٦ الف عام ٦٠/٥٩ الى ٥ر١٦ الف عام ٨٥/٨٤ بينما العدد المطلق للعرب العاملين بأجر في القطاع الزراعي في اسرائيل ، ارتفع من ١ر١٠ الف الى ٧ر١٩ الف لنفس الفترة . وبذا ارتفعت نسبتهم من ٩ر٢١٪ من مجموع العاملين بأجر عام ٦٠/٥٩ الى ٤ر٥٤٪ عام ٨٤ / ٨٥ .

ان المعطيات حول تطور عدد العاملين في القطاع الزراعي تبين بشكل رئيسي تزايد هروب العاملين اليهود من الزراعة ، الذى يرجع بالاساس الى اتجاه التكثيف في الزراعة واحلال الالات الذى يقود بالاستغناء عن العمل المأجور . هذا بالاضافة الى الفرص الافضل المتاحة لهؤلاء في الفروع الاقتصادية الاخرى ، اما تزايد عدد العاملين العرب في الزراعة ، على الرغم من عدم تحبيذ السياسة الاقتصادية الاسرائيلية لهذا التزايد ، فيبين حجم الصناعة التي تعاني منها الزراعة الاسرائيلية والتي جعلت المستثمرين اليهود والكيبوتسات والمؤسسات تبحث عن عمل رخيص نسبيا وراء تخفيض تكاليف الانتاج وزيادة الارباح .

كما لجأت بعض الكيبوتسات والمؤسسات وبعض اغنياء الملاكين اليهود الى تأجير مساحات من الاراضي التي تسيطر عليها للفلاحين العرب وعادة ما يجرى تأجير هذه الاراضي لاصحابها الشرعيين الذين صودرت منهم اصلا .

٦ - مراحل تطور القطاع الزراعي :

يمكن رصد مرحلتين في مسيرة تطور القطاع الزراعي في اسرائيل :

أولهما ، مرحلة التوسع الافقية ، وامتدت منذ قيام الدولة وحتى اوائل الستينات وامتازت هذه المرحلة بالتوسع في مساحة الاراضي المزروعة وفي عدد العاملين (٢٥). ففي عام ٤٩/٤٨ بلغت مساحة الاراضي المزروعة ١ر٦٥٠ مليون دونم وصلت عام ٦٠/٥٩ الى ٤ر٠٧٥ مليون دونم .

Digitized by Birzeit University Library

وكان عدد العاملين في القطاع الزراعي ١٠٢ر٢ الف عامل عام ٥٥/٥٤ (لايوجد احصائيات قبل ذلك) وصلت الى ١٢١ر١ الف عام ٥٩ / ٦٠ .

ان هذا التوسع الافقي يفسر الارتفاع النسبي في حصة القطاع الزراعي من اجمالي الاستثمارات في السنوات الاولى لقيام الدولة، بالمقارنة مع السنوات اللاحقة ، فقد كان نصيب الزراعة من اجمالي الاستثمارات عام ١٩٥٢ ٩ر١٧ ٪ ، و٢٠ر٢٠٪ عام ١٩٥٤ ، ١ر١١٪ عام ١٩٦٠ . بدأ بعدها في الهبوط المتواصل حتى وصلت ٥ر٤ ٪ عام ١٩٨٤ (٢٦) .

ومن الطبيعي ان يأخذ التوسع الافقي في جوانبه التركيز على عوامل النمو الكمية بالاساس . اكثر مما على عوامل النمو النوعية .الامر الذي انعكس بضعف فعالية الاستثمار بالمقارنة مع السنوات اللاحقة لقيام الدولة. وقد ظهر ذلك الامر في مؤشرات نمو طرفي العملية الانتاجية . حيث يشير جدول ٦/٢/

جـــدول ٢ /٦

الارقام القياسية لتطور الناتج الزراعي الصافي ، من خلال

الانتاج والناتج الاجمالي في سنوات مختارة (٢٧)

سنـــــة الاساس ٦٧ / ٦٨ = ١٠٠

السنـــة	الناتج المحلي الصافي	مدخلات الانتاج	الناتج الاجمالي
٥١ / ٥٢	٢٤	٢٥	٢٤
٥٩ / ٦٠	٥٩	٦٥	٦١
٧٤ / ٧٥	١٥٨	١٤٤	١٥٢
٨٣ / ٨٤	٢٦٨	١٧٦	٢١٢
٨٤ / ٨٥	٢٨٨	١٧٤	٢١٦

اذ في السنوات الاولى ، نما الناتج المحلي الصافي في الزراعة ،والناتج الزراعي الاجمالي (Total Output) بنسب اقل من نسب نمو مدخلات الانتاج (Inputs) وبالمقارنة مع عام ٦٧/٦٨ حيث اعتبرت سنة الاساس ، فقد بلغ مقدار الناتج المحلي ٢٤٪ والمنتوج ٢٤٪ بينما مدخلات الانتاج ٢٥ ٪وفي عام ٥٩ / ٦٠ كانت النسب على التوالي ٥٩ ٪ ، ٦١ ٪ ، ٦٥ ٪.

ثانيهما :مرحلة التوسع العمودي : وتمتد منذ اوائل الستينات فما فوق . وقد فرض هذه المرحلة بالاساس اعتبار جغرافي حيث ان مساحة اسرائيل محدودة ، وبالتالي مجال التوسع في استصلاح المزيد من الاراضي محدود. الامر الذي ادى لتغير السياسة الزراعية الاسرائيلية لصالح تكثيف الجهود لتطوير اساليب جديدة في الزراعة، والتكثو لوجيا الزراعية ونوعية المنتوج

Digitized by Birzeit University Library

والانتاجية الدونم . بالاضافة الى ان اسرائيل ، اخذت تطمح في زيادة صادراتها الزراعية ، بعد ان نجحت في تغطية جزء كبير من الطلب المحلي الاستهلاكي والانتاجي في مرحلة التوسع العمودي (الرأسي) لم تزد مساحة الاراضي المزروعة الا بمقادير ضئيلة جدا بالمقارنة مع المرحلة السابقة في التطور . ففي عام ٦٠/٥٩ بلغت مساحة الاراضي المزروعة ٤٫٠٧٥ مليون دونم ، ولم تصل في عام ٨٥/٨٤ اكثر من ٤٫٣٨٠ مليون دونم . اى ان المساحة المزروعة خلال ٢٥ عام لم تزد باكثر من ٣٠٥ الف دونم ٤(٢ر١٢ الف دونم للسنة الواحدة المتوسط) . اما في المرحلة السابقة فقد ازدادت مساحة الاراضي المزروعة من ١٫٦٥٠ مليون عام ٤٨ /٤٩ الى ٤٫٠٧٥ عام ٦٠/٥٩ (٢٢٠ الف دونم للسنة الواحدة بالمتوسط). وشهدت مرحلة التوسع العمودي انخفاض ملحوظ في اعداد الطلقة للعاملين في القطاع الزراعي . فقد بلغ العدد الاجمالي للعاملين في الزراعة ١ر١٠٢ الف ، ١ر١٢١ الف عامي ٥٥/٥٤ ، ٦٠ /٥٩ على التوالي انخفض الى ٤ر٨٠ الف و ٨٩ر٤ الف عامي ٧٥/٧٤ و ٨٥/٨٤ على التوالي .

وكان لا بد للتوسع العمودي ، ان يعكس نفسه في المؤشرات النوعية لتطور القطاع الزراعي ، فقد ارتفعت حصة العامل الواحد من المنتوج الزراعي من ٣٠ر٢ طن عام ٦٠/٥٩ الى ٦١ر٦ طن عام ٨٤/٨٣ (٢٨) وعكس التوسع العمودي نفسه ايضا على طرفي العملية الانتاجية . فكما يشير جدول ٦/٣ السابق ، انه منذ عام ٧٥/٧٤ فما فوق اخذت نسبة الزيادة في الناتج لمحلي الصافي والمنتوج (Output) تفوق بكثير نسب زيادة مدخلات الانتاج (Input) . بعد ان كانت تقل عنها او توازيها في احسن الاحوال في المرحلة السابقة .

واتضحت معالم التوسع العمودي في مستوى التجهيز الالي للزراعة .. ففي عام ١٩٤٨ بلغ مجموع الالات المستخدمة في الزراعة (تركتورات ، لاقطات ...) ٩٤٠ الة . وفي عام ١٩٦٠ ٩ر٨ الف آلة اى بمعدل آلة واحدة لكل ١٧٥٥ ، ٧٩٥ دنم على التوالي . اما في عام ١٩٨٠ بلغ مجموع الاجهزة ٥٥٠ر٢٧ الف و ٠٩٢ر٢٧ لعام ١٩٨٥ اى بمعدل آلة واحدة لكل ١٥٩ ، ١٦١ دنم على التوالي (٢٩) .

خاتمة :

رغم التطور الملحوظ في قوى الانتاج والتكنولوجيا الزراعية في اسرائيل فقد تدهورت مكانة القطاع الزراعي في تكوين الناتج المحلي الاجمالي ومن حيث عدد المشتغلين فيه . وعلى الرغم من حجم رأس المال الهائل الذى استثمر في الزراعة فقد ظلت انتاجية العمل فيها اقل من انتاجية العمل في الصناعة وفي فروع النشاط الاقتصادى الاخرى . ففي حين تضاعفت حصة المشتغل من الناتج المحلي الزراعي الصافي (القيمة المضافة) ٣ر٢ مرة بين ١٩٥٥ و ١٩٧٠ ، وتضاعفت ٦ر٢ مرة خلال السبعينات تراجعت هذه الحصة بشكل ملحوظ خلال الثمانينات . وكما يظهر في الجدول ٦/٤ ، كانت مساهمة المشتغل بالزراعة من القيمة المضافة اقل من مثيلتها في الصناعة والخدمات

Digitized by Birzeit University Library

المالية وخدمات الاعمال . كما ان الهوة بين هذه النسب تسارعت بشكل كبير خلال الثمانينات .

جـــــدول رقم ٦/ ٣

تطور قيمة الناتج الصافي للمشتغل الواحد في فروع اقتصادية

مختـــارة بيـــن ١٩٥٥ ــ ١٩٨٥ بالدولارات الجاريـــة (٣١)

الفـــــرع	السنـــــــة				
	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٨٥
الزراعـــــة	١٠٧٨	١٨٧٦	٣٤٩٧	٩١٣٢	٧٦٢٩
الصناعـــــة	١٧٢٨	٢٨٨٣	٤٧٧٩	٩٧٣٧	١٢٧٠٥
الخدمـات المالية وخدمات الاعمـال	...	....	٨١٣٧	٢٥٣٢٧	٢١٦٧٢

وهذا يعني تدهور نسبي في مستوى معيشة المشتغلين في القطاع الزراعي . ومن اجل المحافظة على مستوى ارباح مجزى ،في الزراعة الاسرائيلية جرى، مضاعفة تشغيل الايدى العاملة العربية المنخفضة التكاليف في الزراعة بما في ذلك في الكيبوتسات التي نشأت بالاساس كمؤسسات تعاونية للعمل العبرى. وتلجأ الكيبوتسات في مواسم جني المحصول الى تشغيل الاحداث والنساء بكثافة كبيرة وباجور زهيدة، مستفيدة من تفشي البطالة وسوء الاوضاع الاقتصادية في المناطق المحتلة، ورغم ذلك فالكيبوتسات والزراعة عموما لم تتمكن من امتلاك عوامل النمو الذاتية التي تمكنها من الاستغناء عن الدعم الحكومي .

كما ان الزراعة الاسرائيلية واجهت مشكلة انحسار السوق امامها في الاسواق الخارجية والسوق الداخلي . ففي الخارج بدأت تواجه منافسة حادة فيإطار السوق الاوروبية المشتركة ، التي تعتبر السوق الرئيسي للصادرات الزراعية الاسرائيلية . وفي السوق الداخلي تأثرت الزراعة بأزمة التسويق التي تواجه الصناعة والتي اجرت تقليصات محلوظة في طلبها على المنتجات الزراعية . كما انه، وبالرغم من العقبات الادارية والاقتصادية التي تواجه الزراعة في المناطق المحتلة، فقد ارتفعت انتاجية العمل الزراعي، واصبح المزارع العربي اكثر قدرة على منافسة المنتوجات الزراعية الاسرائيلية . كما ان حالة الهبوط الاقتصادى في المناطق المحتلة قلصت من طلبها على المنتجات الزراعية الاسرائيلية. اذ يلاحظ ان حجم الواردات الزراعية للمناطق المحتلة لم يطرأ عليه تغير يذكر خلال السبع سنوات السابقة. كما ان ارتفاع درجة الاهتمام بالارض والزراعة في المناطق المحتلة اثر تقلص فرص العمل في السوق الاسرائيلي وفي فروع النشاط الاقتصادى الاخرى قلص ولو بنسبة قليلة من الطلب على المنتجات الزراعية الاسرائيلية .

كما تواجه الزراعة الاسرائيلية مشاكل مرتبطة بالبنية المحصولية للانتاج الزراعي . فمحصولي القمح والقطن يستحوذان على ١٥٧٦ الف دنم من الارض الزراعية، وهذا يشكل قرابة ٦٤٪ من مساحة الزراعات الحقلية . وتبلغ المساحة المروية منها ٨٦٥ر٤ الف دنم ، اى ٧٠ ٪ من اجمالي

Digitized by Birzeit University Library

مساحة الزراعة الحقلية المروية . وقد حقق هذين المحصولين خسائر فادحة خصوصا محصول القطن الذى كانت تكاليف انتاجه في اسرائيل اعلى من السعر العالمي للقطن . وقد باءت بالفشل حتى الان محاولات ايجاد محصول بديل ملائم لمحصول القطن الذى يروى عادة بمياه المجارى بعد تنقيتها .

فاقمت هذه المشاكل من ازمة المؤسسات الزراعية الاسرائيلية والكيبوتسات منهاعلى وجه الخصوص . التي لم تعد قادرة على الوفاء باعباء الديون المتراكمة عليها للحكومة وللمؤسسات المالية، وتستغل البرجوازية المالية الاسرائيلية وممثليها في الائتلاف الحكومي هذهالازمة، لفتح ملف الكيبوتسات .

ويبدو ان وجهة نظرهم تستند الى الاعتقاد ان الكيبوتسات استنفذت اغراضها غير الاقتصادية ، وبات من الضرورى اخضاعها لمؤشرات الجدوى الاقتصادية، شأنها شأن كافة المؤسسات الاقتصادية الاخرى . ومن المعروف ان هذا الاتجاه يدعو في نهاية الامر الى تفكيكها وتحويلها الى القطاع الخاص كما هو الحال بالنسبة للمؤسسات الصناعية الحكومية التي بيعت للقطاع الخاص .

ولكن الليكود الذى ينادى بتطبيق مؤشرات الجدوى الاقتصادية كاساس لتقديم الدعم للكيبوتسات ينادى باعطاء الاولويةلدعم المستوطنات والاستيطان في المناطق المحتلة . وبهذا نجد يكشف عن زيف تمسكه بالجدوى الاقتصادية بنفسه . ومن المعروف ان التوسع الاستيطاني خلال حكم الليكود هوالمسؤول الاول عن تفاقم الازمة الاقتصادية التي لم يشف منها اقتصادهم حتى الان .

ان استفحال ازمة الزراعة الاسرائيلية يترافق مع اشتداد عدوانية السياسة الاسرائيلية تجاه الزراعة الفلسطينية في المناطق المحتلة،تلك السياسة التي تنسجم فيها مواقف الائتلاف الحكومي الاسرائيلي . حيث تتواصل الاجراءات الادارية والاوامر العسكرية المتعلقة بتحديد مياه الرى وغرس الاشجار ونظام الحصص (الكوتا) للمحاصيل الزراعية وتحديد تسويق المنتجات العربية بما يتفق ومصلحة الزراعة الاسرائيلية . انهم يسعون للتخفيف من وطئة ازمة الزراعة، التي خلقوها بايديهم على حساب المزارعين والمواطنين العرب .

الهوامش :

١) فؤاد حمدى سيسو ،الاقتصاد الاسرائيلي بين واقع الحرب والسلام ، دار الجليل للنشر .
٢) عنان العاصى، التطورى الزراعي في فلسطين ١٩٠٠ – ١٩٧٠ ص ٣٥ ، ١٢٤ اوردتها غانية ملحيس – صامد الاقتصاد عدد ٥٧ تشرين اول ١٩٨٥
٣) Pamela Ann Smith, Palestine and the Palestinians , Croom Helm , London, Sydney 1984 P. 52 .
٤) Pamela Ann Smith , Ibid, pp. 45 .
٥) د. زهدى الشامي، المجمع الصناعي العسكرى في اسرائيل ، السياسة الدولية، عدد٨٧ ، ١٩٨٧ .

Digitized by Birzeit University Library

٦) د. سمير عبدالله ، سمير البرغوثي ، اتجاهات تطور الاقتصاد الاسرائيلي ، الكاتب ، الاعداد ٨٠ ، ٨١ .

٧) Statistical Abstract of Israel, No 19, 1968 .nNo 301979

٨) د. سمير عبدالله ، سمير البرغوثي ، الحلقة الثانية من هذه الدراسة ، الكاتب العدد ٧٨ .

٩) S.A.I No 19, 1968, No 37 ,1986 .

١٠) David Krivine, Jerusalem Post, Feb.20, 1987 ,P.8,

١١) David Krivine, Ibid .

١٢) David Krivine, Ibid .

١٣) تقرير وكالة الصحافة الفرنسية نشر في الصحف المحلية بتاريخ ١٩٨٧/٢/٣ .

١٤) فؤاد مرسي ـ الاقتصاد السياسي لاسرائيل .

١٥) S.A. I. No 37, 1986, P 344,-349 .

١٦) Thomas Naff and Rnth c. Matson, Water in the Middle East, Middle East Research Institute, University of Pennsy[illegible] , 1984. pp.27.

١٧) Tomas Naff, Ibid, pp. 48 .

١٨) S.A.I, No 37, 1986, P. 349 .

١٩) S.A.I, No 37, 1986, P. 345 .

٢٠) S.A.I, No 37, 1986, P. 345 .

٢١) David Krivine, Ibid .

٢٢) S.A.I, No 37, 1986, P. 355 .

٢٣ ، ٢٤) David Krivin , Ibid .

٢٥) S.A.I. No 37, 1986 ..

٢٦) مصدر رقم (٨)

٢٧) S.A.I . No 19, 1968 - ,No 37 ,1986. ٢٨)

٢٩) S.A.I .. No 37, 1986, P.365 .

٣٠) كافة المعلومات المتعلقة بالقوى العاملة الزراعية في اسرائيل مأخوذة من . S.A.I No 37 ,1986, PP. 354

٣١) S.A.I. No 19, 1968, No 37,1986 .

٣٢) S.A.I. No 37 , 1986 .

Digitized by Birzeit University Library

اطروحات حول الغيبية في الفكر الصهيوني

بقلم : د. عزمي بشارة

(الحلقة الثانية)

(٦)

ولدت التوترات والتناقضات الداخلية في المعسكر الصهيوني المتدين، خاصة بين الطبيعة العلمانية للمشروع الصهيوني وبين المضمون الديني الغيبي للفكرة او للفكر الصهيوني، بين الانتماء القومي والانتماء الديني، بين المضمون التوتاليتارى (الشمولي) للتكوين الديني وبين السياسة الارضية التي تتعامل مع الجزئيات، بين حكم الله والتوراة وبين حكم الاغلبية . بين السلام الداخلي الغيبي الكلي للمتدين، وبين السلام الارضي الجزئي السياسي القائم على الحلول الوسط، بين الاندفاع الديني التوراتي نحو تحقيق ارض اسرائيل الكاملة وبين الواقعية السياسية الصهيونية التي تريد تحقيق (احتلال) ما يمكن تحقيقه ضمن موازين قوى ارضية محددة بين ارض اسرائيل الكاملة وبين الشعب الفلسطيني القاطن عليها .. الخ، ولدت كل هذه التناقضات الناجمة بالاساس عن تبني احد التيارات الدينية اليهودية وبوعي تام للفكر الصهيوني اشد الحركات الصهيونية الدينية تطرفا مثل حركة بوش ايمونيم ، والتنظيم الارهابي اليهودى، وحركة وقف الانسحاب من سيناء وغيرها. واندفعت الطاقة الهائلة الكامنة بفعل هذه التناقضات الداخلية نحو الخارج على شكل حركات استيطانية او ارهابية او احتجاجية سياسية او الثلاثة معا عندما جهزت الظروف الموضوعية لذلك والمقصود بالظروف الموضوعية ليست تلك السائدة في اسرائيل فحسب بل وفي المنطقة ،واعني تحديدا موازين القوى بين حركة التحرر الوطني العربية والفلسطينية وبين اسرائيل .

احتدمت التناقضات والتوترات الداخلية اشد ما احتدمت في الحركة التي حاولت ان توفق بين قطبي الفكر الصهيوني في وحدة داخلية واحدة. في حركة همزراحي (برجوازية صغيرة ومثقفين) وحركة هبوعيل همزراحي (مستوطنين عاملين) التي اقامت

Digitized by Birzeit University Library

الكيبوتس الديني وفيما بعد حركة الشباب "بني عكيفا" التي تأسست سنة ١٩٢٩ لتثقيف الشباب المتدين بروح الصهيونية الدينية العاملة والمستوطنة ولتأهيلهم لدخول او اقامة الكيبوتس الديني .

وكما هو الحال في كافة الحركات السياسية الغيبية (مثل النازية والفاشية) لا تتولد الحركة السياسية الفعلية (تنظيمات ، اعضاء .. الخ) في اوساط النخبة المثقفة وفي حالتنا النخبة اللاهوتية المثقفة. فالتناقضات عند هذه النخبة تميل الى متنفسات فكرية تفسيرية او الى بلوغ الهدوء ضمن نظم ايديولوجية تتصارع مع نظم اخرى. يتحول الفكر الغيبي الى فكر سياسي فعلي اى الى حركة سياسية عندما يتحول الى وعي يومي عند الاوساط الشعبية المفتقدة الى وعي طبقي واضح اوعند تلك الاوساط المتساقطة او العديمة الجذور طبقيا . وفي حالتنا فان حركة هبوعيل همزراحي " الحسيدية" (الحسيدية هي التقوى وهي التيار الديني الذى ساد عند الاوساط الشعبية اليهودية في اوروبا الشرقية مقابل التيارات اللاهوتية المختلفة عندالنخبة المتدينة المثقفة) العاملة في مجال الاستيطان وحركة "بني عكيفا" التي تؤهل الشباب ذوى المنشأ الاوروبي البرجوازى الصغير كانت المنطلق لتنظيم الحلقات السياسية الغيبية .

يحمل الشاب من حركة بني عكيفا ثقافة مزدوجة ـ علمية تقنية او عسكرية الى جانب ثقافة دينية. وفي غياب الوعي الاجتماعي العلمي ليست العلوم الطبيعية والتسلح بها ضمانا للتغلب على الفكر الديني ، فالفكر الديني كشكل من اشكال الوعي الاجتماعي لا يتنافر مباشرة مع الفكر العلمي الطبيعي الا بواسطة الوعي الاجتماعي العلمي ، ففي غياب يتعايش الفكر الديني مع العلوم الطبيعية عند نفس الفرد في الكثيرمن الاحيان . وفي حين قبع الشباب المتدينون الارثوذكس في المدارس الدينية توجه هؤلاء الشبان من حركة بني عكيفا الى الجيش والى وحداته القتالية بالذات . اذا اراد الفكر الديني ان يدخل الصراع لتحقيق مقولاته ضمن وليس خارج الحركة الصهيونية فان مكان الصراع الفعلي يتعدى المؤامرات الحزبية الائتلافية للحصول على تنازلات في قضايا مثل الاجهاض والاحوال الشخصية وسؤال من هو يهودى .. الخ الى الجيش والاستيطان. هنا تمارس الصهيونية خصوصيتها في اكثر الاشكال كثافة .

هنا تلتقي الصهيونية الفعلية مع فكرة الخلاص والمسيانية ، هناك لا يرتقب اليهود المسيح ولا ينتظرون الخلاص بل يصنعونه في ممارساتهم اليومية ـ هناك يتحول شعب اسرائيل نفسه الى مسيح . وهكذا تفاجأ الرأى العام في اسرائيل عندما رأى "خيرة ابنائه" اى خريجي الوحدات القتالية والكليات التكنولوجية والهندسية يقيمون التنظيم السرى الارهابي لليهـــود .

بطبيعة الحال ،عاد خريجو مدرسة بني عكيفا من وحداتهم القتالية لتلقي الثقافة ليس في اية مدرسة دينية وانما في تلك المدرسة الدينية التي تبشر بهذه الايديولوجية منذ بداية القرن ،مدرسة الراب كوك (المسماة في القدس مدرسة مركاز هراب) ،حيث عمل وعاش ابن الراب كوك تسفي يهودا الذى اصدر نداءه المعروف (تحول هذا النداء الى نبوءة عند اتباعه) الى عدم نسيان

Digitized by Birzeit University Library

الخليل ونابلس والقدس .. الخ وذلك قبل اندلاع حرب حزيران بـ ٢٦ يوما .

لقد تأسست حركة جوش ايمونيم رسميا في نهاية شتاء عام ١٩٧٤ على شكل تمرد داخل حزب المفدال الذى وافق على الانضمام الى حكومة رابين الائتلافية حكومة فصل القوات والاستعداد للحول الوسط في قضية الاراضي . ولكن تأسيسها الفعلي كان بعد حرب حزيران في اواخر صيف ١٩٦٧ وذلك على شكل المؤتمر الاول لخريجي مدرسة مركاز هراب والذى وجه ثلاثة اسئلة للخاخاميين والقضاة اليهود :

- هل يسمح حسب تعاليم التوراة بالتخلي عن مناطق محررة من ارض اسرائيل ؟.
- هل يسمح بالتخلي عن مناطق محتلة فوقا من استيعاب عدد كبير من العرب داخل حدودنا ؟.
- هل يجب ان يرغمنا الضغط الدولي على الانسحاب ؟.

وكما نرى فان الاسئلة الثلاثة هي الاسئلة نفسها التي طرحت يوميا في الشارع الاسرائيلي ولكن الجديد في الامر :

١) انها صيغت صيغة دينية .

٢) انها طرحت للحسم بموجب الشريعة اليهودية وليس تبعا للمتطلبات وموازين القوى والمصالح السياسية الذى تعمل بموجبها البرجوازية اليهودية الحاكمة .

لقد عاش الدين حتى ذلك الوقت جنبا الى جنب مع السياسة تاركا تصريف الشؤون السياسية للبلاد للسياسيين مع احتفاظه بتحول الى سياسي علماني عندما يبت في مثل هذه المسائل وينتزع ثوب السياسة عندما يبت في المسائل الدينية الايديولوجية واقفا منفصلا في عالم نشيطي حزب المفدال . ولكن الوضع اختلف جذريا عندما بدأت الاسئلة السياسية تصاغ بلغة دينية ولا توجه الى الكنيست والحكومة والصحف والرأى العام بل توجه الى الحاخامين والقضاة المشتغلين حتى الان بالاحوال الشخصية التي افردها لهم القانون الاسرائيلية .

(٧)

ان المصدر الجسدى لحركة جوش ايمونيم اذا هو الحركات الصهيونية الدينية وبالذات حزب المفدال (المتألف من توحد همزراحي مع هبوعيل همزراحي) الذى توجه اليه الشباب وبشكل تلقائي استمرارى بعد تخرجهم من حركة بني عكيفا ، اما المصدر الايديولوجي فهو النظام اللاهوتي الكوني للراب كوك الذى حل التوترات والتناقضات القائمة ضمن الفكر الصهيوني بتحويل الصهيونية نفسها الى فكرة دينية او الى لب الفكر الدينية اليهودية ، فكرة وممارسة الخلاص واقامة ملكوت اسرائيل كشرط لهذا الخلاص .

ولكن هنالك مصادر اخرى لحركة جوش ايمونيم وهي مصادر علمانية واعود لاذكر القارئ هنا بما قلته عن الحركة الصهيونية كعلمنة للدين اليهودى وعن عدم استغناء الصهيونيين العلمانيين في يوم من الايام عن الايديولوجية والرموز الدينية وللتدليل والتذكير وليس للتفسير والشرح اورد هنا ما قاله حاييم فايتسمان العلماني في المؤتمر الصهيوني العشرين سنة ١٩٣٧ : " لقد وعد

Digitized by Birzeit University Library

الله اليهود بمنحهم ارض اسرائيل وهذا الوعد هو وثيقتنا الاكثر اهمية " (x) وما قاله امام اللجنة الملكية البريطانية عام ١٩٣٩ " لا نكتسب حقنا على ارض اسرائيل من الانتداب البريطاني وانما من التوراة " (xx)

ولكن المصادر العلمانية الفعلية لحركة جوش ايمونيم هي تلك الحركات العلمانية التي اقتربت اكثر ما اقتربت من الحل الديني التوراتي لمعضلة " ارض اسرائيل" بتبنيها برنامج ارض اسرائيل الكاملة ورفضها للتقسيم . المصدر الاول والاطول تاريخا هي الحركة التصحيحية في الصهيونية ([illegible]) بقيادة زئيف جابوتنسكي وخليفته مناحم بيغن قائد حركة بيتار في فلسطين . ولن احلل تاريخها وفكرها كموضوع بحث وانما كسياق لموضوع بحثنا .

لقد تأثر هذا التيار بشكل خاص بالفكر الرومانسي القومي (مازيني وغاريبالدي) سياسيا ووجد الايديولوجية التبريرية الملائمة في الداروينية الاجتماعية (الداروينية الجديدة) في اوروبا القرن العشرين ونهاية القرن التاسع عشر، وتشكل الداروينية الاجتماعية احد المصادر الايديولوجية للفاشية والنازية (الفكر العرقي) .وتميزت هذه الحركة عن حركة العمل الصهيونية في رأى تسفي رعنان مؤلف كتاب جوش ايمونيم ب : تمجيدا لعسكرة ومبدأ القائد واستخدام الرموز والاستعراض . وبالعداء السافر للاشتراكية ، بالديماجوجية الهستيرية ورفض الانصياع لرأى الاغلبية داخل الحركة الصهيونية (النزعة الانشقاقية) ، وقبل كل شيء ببرنامج ضفتي نهر الاردن كحدود سياسية لدولة اسرائيل (x).

وقد بدأ هذا التيار كاقلية وكتيار هامشي في الحركة الصهيونية ليتحول بعد عام ٦٧ الى خصم اساسي لحركة العمل الصهيونية بعد ان قامت هي ذاتها بتحقيق اجزاء من برنامجه السياسي. وباعادة انتاج أيديولوجيته في ممارساتها ـ تمجيد العسكرة والاستعراضية والعداء للاشتراكية والديماغوعية الهستيرية ... الخ . ويعزى المؤلف السابق صعود هذا التيار ضمن الحركة الصهيونية الى العوامل التالية مهملا دور حركة العمل نفسها وسياسات حكومات اسرائيل المتعاقبة : " الوعي الناشئ بعد الكارثة (القصد مذبحة اليهود في اوروبا) ،الطابع الخاص غير القابل للمساومة للقومية العربية، توازن القوى العسكرية في الشرق الاوسط بعد حرب ٦٧ ، ازدياد التأثير العربي في العالم ، الانحلال الفكرى عند التيارات الاشتراكية في الصهيونية ... الخ "(xx)+

ومن الواضح ان المؤلف غير قادر على اعطاء تفسير مؤهل للكشف عن الاسباب الحقيقية لصعود هذا التيار ضمن الحركة الصهيونية عندما يتجاهل دور حركة العمل الصهيونية في تجهيز الظروف الموضوعية الملائمة لصعوده ـ واذا ربط صعود هذه القوى بازدياد التأثير العربي على الساحة الدولية فان مأساة حركة العمل الصهيونية، ومأساتها وحدها، اذا ارتبطت قوتها بضعف التأثير العربي على الساحة الدولية .

× بروتوكول المؤتمر الصهيوني (١٩٣٧) ص ٣٢ .
×× ورد الاقتباسات في كتاب تسفي ، عنان ، "جوش ايمونيم ، هشومير هتسعير ١٩٨٠ ص ٨٠.
× نفس المصدر ص ٧٨ .
×× نفس المصدر ص ١٢٤ .

Digitized by Birzeit University Library

أما المصدر العلماني الثاني فهو داخل الحركة العمالية الصهيونية الاستيطانية ذاتها وهو ذلك التيار الذى ترجم ايديولوجيا " ممارسة حركة العمل الصهيونية (اذا كان التيار التحديثي مكسيماليا في الكلام والاعمال الفردية فقد كانت حركة العمل الصهيونية دائما مكسيمالية في التنفيذ المنظم والرسمي ـ وفي اذهان سكان المناطق المحتلة ارتبطت هذه الممارسة بوزير الدفاع يتسحاق رابين) . بعد حرب الايام الستة تبلور تيار يتسحاق طبنكين داخل حركة العمل الصهيونية الذى مارس حتى الان اكثر اشكال الاستيطانية العسكرية كثافة ز محولا اياها بعد الانتصار الى ايديولوجيته الواضحة النبي لا تقبل المساومة على " ارض اسرائيل " (من منطلق امني) وسمي اتباع يتسحاق طبنكين فيما بعد " حلقة عين تُبرد " .(×)

في صيف ١٩٦٧ اقيمت المستوطنة الاولى خارج الخط الاخضر ـ لقد توجه اعضاء الكيبوتس الموحد (مبام) وبدون رسميات قاعدة للاستيطان في هضبة الجولان .

(٨)

نشر يتسحاق رابين في كتابه " بطاقة خدمة " نص توصية لجنة وزارية تبنته الحكومة الاسرائيلية بتاريخ ٦٧/٦/١٩ (وكانت في ذلك الوقت حكومة وحدة وطنية ـ اى بحضور مناحيم بيغن) ويحتوى هذا القرار الهام على ثلاثة بنود لتبليغها الى حكومة الولايات المتحدة واليها فقط .

أ . اسرائيل مستعدة مقابل اتفاقية سلام وعلاقات سلام دائمة ان تنسحب الى الحدود الدولية بين مصر واسرائيل مع نزاع سلاح شبه جزيرة سيناء وضمان حقوق الملاحة لاسرائيل في مضائق تيران وقناة السويس .

ب . مقابل نفس الشروط توافق اسرائيل على الانسحاب للحدود الدولية بين اسرائيل وسوريا مع نزع سلاح هضبة الجولان وضمان تدفق مياه نهر الاردن من مصادرها .

جـ . بحث مصير " يهودا والسامرة " وقطاع غزة وقضية اللاجئين الفلسطينيين بشكل منفصل×

لا نود ان نتطرق الى المغازى السياسية لهذا القرار فحتى في قمة انتصارها لم تصدق اسرائيل انها ستستطيع الاحتفاظ بهذه المناطق . وانجاز الرجعية العبرية الاساسي يكمن في انها تصدق الان ـ ولكن المهم في الامر انه وفي الايام الاولى بعد الاحتلال بدأ التقاش حول الانسحاب او عدم الانسحاب من المناطق المحتلة وكانت هذه ايضا بداية مظاهرات المعارضة اليمينية الاولى في الضفة الغربية وقد قادها كل من شموئيل تمير (المركز الحر في ذلك الوقت) وغئولا كوهين وضمت شبابا من حزب حيروت وحركة بيتار . وفي عام ١٩٧٠ وقعت ٥٦ شخصية اسرائيلية (ادباء ، اساتذة جامعيون ، اعضاء كيبوتسات .. الخ) على عريضة تدعو الى اقامة اسرائيل الكبرى وعدم التخلي عن اى شبر من ارض اسرائيل وسوف تتحول هذه الحركة فيما بعد الى الحليف الاساسي لجوش ايمونيم والى واجهته السياسية وحليفة البرلماني .

× انظر ،شلومو افنيرى " الفكرة الصهيونية وتياراتها المختلفة " تل ابيب ، ١٩٨٠ ص ١٨٢–٢١٥

× يتسحاق رابين ، بطاقة خدمة ، الجزء الاول ص ٢٢٧ .

Digitized by Birzeit University Library

ولكن وبعد حرب ٦٧ التي جاءت باجوائها الغيبية واعتبرت بداية الخلاص المرتقب وتحقيق النبوءة ـ جاءت حرب ٧٣ التي هزت المجتمع الاسرائيلي من الاعماق ولم يكن هنالك مرة اخرى سوى الايديولوجية الدينية لتبرير هذه الصدمة فبعد ان صمتت حركات الاحتجاج التي تلت هذه الحرب بقي في الساحة خريجو " بني عكيفا " ومدرسة مركاز هراب" الذين زودتهم هذه الايديولوجية بالاستمرارية والمثابرة فلم تكن حرب ٧٣ واية هزة عسكرية او سياسية او اية قضايا يكلفها الاحتفاظ بارض اسرائيل سوى آلام المخاض الالام التي تسبق قدوم المسيح (اقامة ملكوت اسرائيل هو تفسيرهم الواحد والوحيد لقدوم المسيح الذى تختلف حوله التفسيرات اللاهوتية)٠ لقد كانت الازمة العامة التي عصفت بالمجتمع الاسرائيلي بعد هذه الحرب الخلفية الملائمة لاعطاء الجواب، ان جو القلق وخيبة الامل وعدم الاستقرار هو الجو الملائم لرسالة الخلاص التي تأتي بها الحركات الدينية ـ وهكذا لم يأتي الاعلان عن قيام الحركة صدفة عام ١٩٧٤ ٠

ومنذ البداية قررت سكرتارية الحركة التي بدأت تعمل بشكل اعتباطي في حزيران وتموز عام ١٩٧٤ الا تعلن عن اية نية لتحويل اسرائيل الى دولة شريعية (ولن تتدخل في اى موضوع ذى صبغة دينية تتعلق بالشريعة مهما كان حادا ،وستنشغل الحركة ومن وجهة نظر الشريعة ايضا ـ في الموضوع السياسي المسمى ارض اسرائيل " (×) ٠ وبذلك فتحت الحركة المجال لتعاون سياسي علماني ـ ديني ولكن مقلوب، فمنذ الان اصبحت السيطرة داخل المعارضة اليمينية للمتدينيين ٠ وهكذا كان على رأس الظاهرة الاستيطانية الاولى في المناطق المحتلة والتي جرت في السادس من حزيران عام ١٩٧٤ قرب بلدة حوارة العربية القريبة من نابلس الراب كوك نفسه وانضوى تحت قيادته علمانيون لا يؤمنون بالشريعة اليهودية امثال ارئيل شارون وجئولا كوهين .

اتبعت حركة جوش ايمونيم منذ قيامها عدة اساليب وحاربت على عدة جبهات :

أ٠ تمثل التحالف مع مجموعة ضغط برلمانية من مختلف الاحزاب الى قامة ودعم حزب او واجهة برلمانية تمثلها (موراشا ،هتحيا ٠٠) مع محاولات مستمرة للسيطرة على حزب همفدال ٠

ب٠ مارست الحركة العمل الاستيطاني عن طريق اقامة الحقائق الجاهزة، (وبشكل تطور ليصبح مهنيا ـ تفرع قسم كبير من اعضاء الحركة لمهنة اقامة المستوطنات الصغيرة) واضطرار حكومة اسرائيل عن طريق الضغط البرلماني والاحزاب الدينية او عن طريق المظاهرات والابتزاز ٠٠ الخ ٠ الى تحويل النشاطات المتعارضة مع قراراتها نفسها ـ وفي هذه الحالة مارست الحكومات الفعالية وظيفة حفار قبرها هي ٠

جـ٠ لم تلزم الحركة في يوم من الايام باى قرار رسمي الا بقدر تلاؤمه مع اهدافها وبرامجها فالتـــــوراة والشريعة وسلامة "ارض اسرائيل" هي مبادئ اعلى واسمى من اى قانون ٠

د٠ مارست هذه الحركة القمع المباشر للسكان العرب (خارج اطار اداة القمع ـ الدولة) واقامت مليشيات مسلحة ترعرع في كنفهـا

× داني روبنشتاين ، جوش ايمونيم ، الكيبوتس الموحد ١٩٨٢ ص ٥٠ ٠

Digitized by Birzeit University Library

التنظيم السري الارهابي اليهودي .

يستند نشيطو حركة جوش ايمونيم الى مصادر ايديولوجية محددة وان كانوا لا يرغمون مؤيديهم على تبنيها فالحركة ليست حزبا وإنما وهذا سر قوتها حركة شعبية غير ملتزمة الا بمبادئ الحفاظ على ارض اسرائيل . ولكن لهذه الحركة نواة ايديولوجية قوية تستند الى التراث الديني اليهودي والمصدر العلمانية السابق ذكرها ولكن نواتها الايديولوجية ليست مدرسة تفسيرية لاهوتية كما كان الراب كوك نفسه . فهي حركة سياسية تقتبس من التراث الديني اليهودي ما يخدم اهدافها السياسية وهنا وجه الخطورة الذى يشابه حركات دينية سياسية اخرى في المنطقة ، ان تشكيل مدرسة او نظام ديني متكامل (متكامل بمعنى بالضرورة منغلق) يبقى قطبا جديدا في المراوح الفكري ولكن الحركات الفاشية والنازية والدينية المتطرفة وايديولوجيتها ليست مدارس دينية او فلسفية ، وانما كل الدين كل الفلسفة كل التراث هو بالنسبة لها ايديولوجية تقتبس منها بشكل انتقائي ـ التراث الفلسفة الدين هي هنا كنز للاقتباسات والتبريرات الايديولوجية . وهنا يقع العديد من الثوريين او المتدينين التقدميين ضحايا الوهم القائل ان النقاش مع هذه الحركات ونقاش حول ما هو صحيح بموجب الدين ـ لهذا لا يهم احدا ـ المهم ليس ما يصح بموجب الدين وانما ما يصح في الدين نفسه لملائم الممارسة المستندة الى فكر غيبي لا علمي .

هكذا نجد انفسنا امام وضع جدير بالاستغراب ـ الممارسات السياسية في نهاية القرن العشرين وفي ظروف الثورة التكنولوجية والتوازن النووى والحركات الديموقراطية والثورية واكتشاف العقل في مجال تنظيم المجتمع ... الخ تبرر باستلاء الفتاوى من " الرامبان " الذى عاش في القدس ضمن جالية يهودية من ثلاثة اشخاص في نهاية القرن الثالث عشر او "الرامبام" الذى سبقه بثلاثين عاما . وهكذا يصبح الله الحائز على عدة اسماء في الديانة اليهودية احدها "السلام" الى " رب الجنود" و"رب الانتقام" الى " "رب مقاتل" وهي اسماء اخرى لنفس الاله عند العبريين القدماء . هكذا ايضا يمكن المرور مر الكرام على النبوءة الكونية للبني اشعياء حول السلام . للحديث عن السلام الواحد والوحيد السلام الداخلي لشعب اسرائيل ـ وهو مجرد حلقة وصل بين حربين هنا يلتقون مع الداروينية الاجتماعية) وكما يقول الراب لفنغر : " السلام ليس هدفا بحد ذاته ، انه اداه هامة لتنظيم الحياة وتحقيق الرؤيا . ان تقدم شعب اسرائيل وعن طريقه عملية الخلاص لشعب وارض اسرائيل هو اكثر اهمية من هذا السلام المزعوم . عندما تحقق هذه الاهداف سيكون بطبيعة الحال سلام لكل العالـــم "

وكما يقول حنان بوران" ان سيادة شعب اسرائيل على ارض اسرائيل ـ هو شرط بموجب الرؤيا اليهودية الشاملة لاصلاح العالم . وبدون هذا الاصلاح لن يكون هنالك سلام ." (×) .

نحن امام حركة سلفية بكل ما في الكلمة

× مجلة "بتاميم" ١٩٧٥ ، العدد الثاني ص ٩٠

Digitized by Birzeit University Library

من معنى وهي ترى الصهيونية وبشكل تراجعي كحركة سلفية ولكن قيادتها كانت حتى الان قيادة غير صحيحة ، وقداحسن التعبير عن هذه الروءا البروفسور هارئيل فش احد اتباع جوش ايمونيم بقوله : " ان صلة شعب اسرائيل الايديولوجية مع التقاليد الغربية الليبرالية اساسها سوء فهم وخطأ . فمن الممكن اعتبار الصهيونية جرئيا فقط كوليد حركة التنوير الاوروبية ولكن اساسها الحقيقي هو في المثيولوجيا اليهودية .. ما حدث في القرن التاسع عشر كان خداع لغوى او على الاصح خداع لغوى ذاتي ، لقد عرضت الصهيونية وكأنها حركة توازى حركات التحرر الوطني ..."

- ان حركة جوش ايمونيم وهوامشها من منظرين ونشيطين هي حركة سلفية تدعو ضمنيا الى ارساء جديد (والاصح هو ملاءمة الشكل بالمضمون) للحركة الصهيونية على اساس التقاليد اليهودية وعلى اساس رفض ما تعلق بالصهيونية من نظريات اجتماعية غريبة ..الخ

- ان مسيانية جوش ايمونية ليست مسيانية شاملة وكونية فالى جانب تحولها الى مسيانية سياسية كما هو الحال عند الراب كوك الا انها تتميز عن هذا الاخير بعدم اقامة نظام لاهوتي شامل حول المسيانية في عملية ولوج الخالق الى التاريخ البشرى باكمله عن طريق خلاص اسرائيل - بل التشديد في المسيانية على قضية واحدة هى ارض اسرائيل .

(١٠)

تعدى اللقاء بين المتدينين والعلمانيين في هذه الحركة قضية الاستيطان المباشر وغير المرهون بالموافقة الحكومية واقامة المليشيات العسكرية .. الخ الى التوصل الى صيغ جديدة في اللغة السياسية المتبعة في هذه الحركة، فقد علم المتدينون من اتباع هذه الحركة تمام العلم ان طرح الشريعة والنبوة وفتاوى حكماء اليهود كتخاريج للممارسات السياسية لن تلقى اذنا صاغية لدى قسم كبير من الجمهور الاسرائيلي - ولذلك اتبع جوش ايمونيم في صحافته (صحيفة نكوداة) وفي نشراته الداخلية لغة مزدوجة - تبدأ باعطاء تفسيرات براغماتية نظرية وصفية حول انهيار الحضارة الغربية وازمة القيم التي تعصف بها والفراغ الذى يسود المجتمع الاستهلاكي والتي تذكر بتنظيرات اوسفالد شبنغلر في كتابه " افول شمس الغرب" وذلك لتبرير معاداتهم للبنى الحديثه للدولة الديموقراطية البرجوازية، وعندما تجابههم الاحزاب السياسية المعتدلة بتهمة خرقهم للقانون في ممارساتهم السياسية يدعون انهم حركة احتجاجية تخرق القانون في بعض الاحيان مثل الكثير من الحركاة الاحتجاجية الاخرى في المجتمعات الديموقراطية .

ليست حركة جوش ايمونيم حركة احتجاجية بهذا المعنى فهي لا تخرق القانون ضمن اطار القانون اى على شكل الاستثناء الذى يؤكد القاعدة، بل هي حركة يقوم نشاطها اساسا على خرق القانون وخلق قانون بديل - فهي لا تعترف اساسا بالقانون ولا بالبنى الحديثة للدولة وشرعيتها - ولكن عدا كل ذلك فان اعضاء الحركة لا يستخدمون هذه اللغة في اجتماعاتهم ونشراتهم الداخلية والتي تبدو لمن لايفقه لغة التوراة والتراث

Digitized by Birzeit University Library

اليهودي كطلاسم والغاز . فاذا توجهوا نحو الخارج بادعاءات مثل الامن هو شرط للسلام الحقيقي يكتب احد ابرز قادتهم حاتان بورات في مجلة " بتاحيم " : " لن يكون سلام ابدا ... الا اذا علم واعترف كل البشر : ان عليهم ان يسجدوا لك وان يقسموا باسمك "(×) ولذلك يجد من يناقش مقولاتهم انه سقط مع برج بابل يتكلم لغة لا يفهمونها ولا يفهم ايضا ما يقولون - فاذا انسدت في وجوههم الطرق البراغماتية اوالعقلانية في تبرير الحفاظ بالمناطق المحتلة انطلقوا يتحدثون لغة التوراة وفتاوى حكماء التلمود - واذا انسدت في وجوههم تبريرات ضرورة قمع شعب آخر من اجل السيطرة عليه ومنعه من ممارسة حقه في تقرير المصير، استلوا من التراث اليهودي فتاوى حول معاملة " الاغيار" (الجويم) في ارض اسرائيل وتخييرهم بين مغادرة البلاد او قبول العبودية - تلك الفتاوى التي كانت تنظم العلاقة بين القبائل المتنازعة بعد انتصار قبيلة او شعوبية على اخرى في عصر العبودية . وكما ان النقاش التفسيري في اللاهوت لا يجدي فان النقاش العقلاني لمقولات جوش ايمونيم لا يقنع سوى المقتنعين لان العقلانية في هذه الحالة هي مجرد غلاف لنواه غيبية لا عقلانية هي وليدة شروط محددة لا تنتهي الا بزوال هذه الظروف ، كما هو الحال مع العديد من الحركات السلفية الاخرى التي تتوجب مجابهتها . الفكرية في هذه الحالة او هزيمة هذه الحركات فكريا تتم فقط في فهم الاسئلة التالية : لماذا نشأت ؟ وكيف ؟ وما هي ديناميتها الداخلية؟

× بتاميم ١٩٧٥ العدد الثاني ص ١٠ .

(١١)

لم تستطع حركة جوش ايمونيم ان تصل الى السلطة في اسرائيل وهي لم ترفع هذا الشعار اساسا كما انها لم تستطع ان تغمر المناطق المحتلة بجيوش الستوطنين .

ولكن هذه الحركة تشكل تطورا في السياسة الاسرائيلية لا عودة فيه فلقد خلقت هذه الحركة واقعا جديدا اولا بتحويلها النقاش السياسي والتناقضات الفكرية بين العلمانية والدينية بين العقلانية واللاعقلانية الى الشارع . لقد انتقلت العنصرية نفسها من ممارسة مؤسسة رسمية الى ممارسة مباشرة في الشـــارع .

وبالاضافة الى اللغة الجديدة التي تلائم البنى التحتية الاستيطانية اكثر بكثير من الديموقراطية البرجوازية الغربية، بتقديس الارض والجيش والعسكرة والاستيطان خلقت هذه الحركة ازدواجية في الواقع الاسرائيلي، ازدواجية لم تصمد امامها الكثير من الانظمة في التاريخ الحديث (الدليل التاريخي لا يعني في اي حال من الاحوال اثبات منطقي على ضرورة تكراره)- وهي ازدواجية القانون وفي حالات كثيرة وبالاساس في المناطـــق المحتلة ازدواجية في السلطـة .

ولا يمكن فصل هذا التطور عن التطور العام نحو اليمين في المجتمع الاسرائيلي خاصة داخل الجيش وداخل الاحزاب العمالية وفي اوساط اليهود الشرقيين .. الخ . وربما يكون هذا موضوع لحلقات مقبلة .

Digitized by Birzeit University Library

شكل خاص لدولة بونابرتية في شمال اليمن تعبيراً عن مرحلة انتقالية خطيرة

بقلم : د . محمد علي الشهاري

"الجزء الثالث والاخير"

في تقديمه للميثاق الوطني يقول العقيد على عبدالله صالح: " لذا كان لا بد من التوجه الى الشعب من خلال فئاته جميعا ، علماء ، ومفكرين ومشايخ ، وعسكريين ، ومثقفين ، وغيرهم ،حيث تمخضت اللقاءات كلها عن ضرورة وجود ميثاق وطني ، يتضمن الفكر الذى يلتقي حوله جميع ابناء الشعب اليمني ، ضمانا لحصانة فكرية تحمى من الارتهان السياسي ، والاستلاب ،والتشقق .

ان الميثاق الوطني ليس صادرا عن فئة او جماعة، كما انه ليس املاء من فرد اوسلطة ، بل انه فكر مواطنينا ، وطموحات شعبنا ، وصياغته بصورة مباشرة .

وهذا ما يدفع الجميع الى الالتفاف حوله ، لانه نظرية العمل الوطني ، الملزمة لكل ابناء شعبنا وللدولة ، ومسؤليها ،حتى تتجسد قيمه هدفا وسلوكا" (ص ٥ ـ ٦) .

وعن الزعم بأن حكم الطغمة العسكرية اليمينية يتحرك تحت راية ثورة ٢٦ سبتمبر ، ويسعى الى اعطائها البعد الديمقراطي الذى ظلت تفتقده في السابق ، ويهدف الى وضع اليمن في المستوى الحضارى والتاريخي الذى كان لها ذات يوم ـ عن ذلك كله جاء في المقدمة: " ان يمن اليوم ، وهو يتقدم اليوم في ظل ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ، يستند في ذلك الى رصيد ضخم من حصانة العقيدة ، وعراقة التاريخ ، لا يمنحه القدرة على التقدم فحسب ، بل يحول بينه وبين النكوص ، ويحمل جيل الحاضر مسئولية تاريخية ، ودورا حضاريا ، يتلخصان في السعي بقوة وحماس واخلاص ، وبكل الوسائل المتاحة لهذا الجيل ، لاستعادة تلك المكانة الحضارية والتاريخية لليمن ، وطنا وشعبا ، باعتبار ان

Digitized by Birzeit University Library

انتصار الثورة في استمراريتها وتطورها .. ثم تحولها الى نهج ديمقراطي راسخ ، تصبح قواعده واصوله جزءا من حياة الناس ، يعيشونه ويمارسونه على مستوى المجتمع والدولة" (١٠-١١) .

وكما يحاول النظام الذى اقامته المؤسسة العسكرية تصوير الامور ، وكانه يستهدى باهداف ثورة سبتمبر ، فانه يعتبر العقيدة الاسلامية بجميع شرائعها هي الموجهة لمجمل نشاطه وممارساته : " ومن هنا جاءت ضرورة وجود ميثاق وطني يستمد اهدافه من شريعتنا الغراء ، وينسجم مع اهداف ثورة ٢٦ سبتمبر ، ليكون منهاجا تلتف حوله جماهيرالشعب" "ان كل الاحداث الدامية ، عبر تاريخ اليمن الطويل ، قد زعزعت كل شيء في حياة الانسان اليمني ، الا ايمانه بالله وتمسكه بالعقيدة الاسلامية، هذه الحقيقة تؤكد ان العقيدة الاسلامية هي ضمير شعبنا الذى يستحيل بدونه الاندفاع الى الامام ، وتؤكد ان مجتمعنا اليمني في ظل الشريعة الاسلامية الحقة ، قادر على فهم واقعه ، وتكوين النظرة الواقعية السليمة لحاضره ومستقبله ، وضمان الوحدة والديمقراطية والعدالة الاجتماعية" (٢٩، ٣٠) بالتطويح بمبادئ ثورة ٢٦ سبتمبر ، والاهداف ـ ديماجوجية وتضليلا ـ ان النظام السير على هديها ، امكن للبيروقراطية العسكرية الحاكمة الحصول على تأييد قطاع من الوطنيين غير الناضجين سياسيا ، وتأييد الضباط السبتمبريين انفسهم الذين اعيد لهم المنزلة ، او عينوا سفراء في الخارج .

بل وامكن الحصول على تأييد اول رئيس للجمهورية المشير عبدالله السلال الذى سمح له بالعودة من منفاه في القاهرة الى صنعاء ، ولقي قدرا غير قليل من الرعاية، شأن ما حدث مع رئيس المجلس الجمهورى السابق القاضي عبد الرحمن الارياني الذى سمح له كذلك بترك منفاه في سوريا ، والرجوع الى البلاد ، والذى لا يخفى تعاطفه مع النظام .

وخلال زيارته الاخيرة لصنعاء قال قائد ثورة الفاتح من سبتمبر الليبية العقيد معمر القذافي ان المشير السلال يعتبر العقيد على عبدالله صالح مجددا لروح ثورة ٢٦ سبتمبر.

اما الضباط السبتمبريون الاخرون الذين تقلدوا مناصب في الداخل والخارج فانهم ـ بحكم انهم غدوا جزءا من البيروقراطية البورجوازية ـ كان لا بد ان يجدوا انفسهم قريبين من النظام ، بل ومتعاطفين معه .

وبالتأكيد على العقيدة الاسلامية كسب النظام ايضا ولاء القوى السلفية ، والمحافظة ، وخاصة الاخوان المسلمين ، ورجالات الدين التقليديين ، الذين غدوا يحتفظون بمواقع هامة في الدولة .

ان محدودية مفهوم الولاء الوطني تتمثل في انه لا يوضع كبديل للولاء القبلي والعرفي ، والطائفي فحسب ، وانما ايضا كبديل للولاء الحزبي ، بل ان هذا المفهوم لا يقدم كمرادف لمفهوم السيادة الوطنية بمعناها الحقيقي ، اى بمعنى التحرر من النفوذ السياسي والاقتصادى للقوى الاستعمارية والرجعية العربية ، هذا النفوذ الطاغي والساحق بالفعل ، وانما كمرادف للتعصب الوطني الشوفيني الضيق الرجعي في مواجهة كل فكر تقدمي او ديموقراطي ، وكل تفتح وتفاعل مع حركات التحرر والتقدم والاشتراكية في العالم ، والذى يبلغ حد دفع الحركة الوطنية والتقدمية

Digitized by Birzeit University Library

اليمنية بالخيانة لتبنيها القيم والمثل الفكرية والسياسية الرفيعة والشريفة التي تمثل قمة ما ابدعته البشرية عبر مسيرتها التاريخية التقدمية .

ان هذا المفهوم يضيق اكثر الى حد ان يصبح نوعا من الولاء للدولة، وبالتالي نوعا من الولاء للمؤسسة العسكرية المهيمنة عليها .

ومفهوم الوحدة الوطنية لا يصبح المقابل للوحدات المقفلة، القبلية ، والعرقية ، والطائفية، والاقليمية، فقط، وانما ــ بالدرجة الاولى ــ طمسا للتركيب الطبقي ــ الاجتماعي، وتعتيما للصراع الطبقي، واذابة كيفية لكل الطبقات والفئات في كل اجتماعي واحد، في كتلة سكانية رتيبة هامدة، لا حركة ولا حياة ولا روح فيها، كتلة تتحكم فيها وتسيّرها المؤسسة العسكرية الحاكمة بنفس الطريقة التي تتحكم وتسيّر بها الجيش .

والوحدة الوطنية ،بمفهومها هذا المنافي للصراع الطبقي، والمكرس للوحدانية والنظرة اليونابرتية للمجتمع ككل واحد متناسق متحرك تحت امرة رئيس الدولة وقائد الجيش ــ رمز الوحدة الوطنية، وتجسيدها الاعلى ــ هذه الوحدة بهذا المفهوم اليونابرتي ــ العسكري ينظر اليها على انها هي اساس الوحدة اليمنيـــة .

حول ذلك كله يقدم لنا الميثاق نصوصا قطعية لا لبس فيها ولا ابهام .

فحول مفهوم الولاء الوطني الذي يحل محل الولاء القبلي والعرقي، والطائفي، كما يحل محل الانتماء الطبقي، والصراع الطبقي، والالتزام الحزبي، والذي يجسد في نفس الوقت الوحدة الوطنية بمفهومها الوحداني اليونابرتي، لا بمفهومها الديموقراطي، حول ذلك جاء في الميثاق: " الولاء الوطني مبدأ شريف، لا ينسجم بأى حال من الاحوال مع التبعية، ايا كان شكلها او نوعها " (ص ٥٣) مع ملاحظة ان التبعية المقصودة هنا ليس التبعية المفهومة والمتعارف عليها، والتي تعني التبعية للاستعمار وركائزه الرجعية العربية والدولية. وانما المقصود بها الاخذ بالمبادئ والقيم الديموقراطية والاشتراكية التي تسير على هداها حركة التحرر والتقدم العربية والعالمية، وتشكيل احزاب ديمقراطية واشتراكية على هذا الاساس .

ويقول الميثاق في مضمار شرحه للمعايير الثلاثة التي افترضها للولاء الوطني والتي لم تتضمن اهم واول معيار لها وهو تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادى والثقافي عن الامبريالية وركائزها الرجعية، ومن ثم تحقيق السيادة الوطنية الحقة التي تمكن من المضي في طريق التطور الاقتصادى والاجتماعي والسياسي والثقافي المستقل ــ يقول ان الولاء الوطني يتمثل في " الحفاظ على الوحدة الوطنية، والابتعاد عن التعصب الطائفي، او السلالي، او القبلي، او الحزبي، وغيرها من التعصبات التي تمزق الوحدة الوطنية، وتضر بمصلحة المواطن والوطن. " " ويتمثل في الحفاظ على سيادة الوطن واستقلاله ، باعتبار ذلك قمة المصلحة العليا للوطن، وعقيدته وأي تبعية خارجية مادية او فكرية، او التزام تنظيمي يعتبر خيانة واضرارا بمصلحة الوطن العليا، واخلالا بالولاء الوطني " (٥٤ ــ ٥٦)

وعن مفهومه للوحدة الوطنية التي تعني قولبة الناس جميعا بكل طبقاتهم في كتلة اجتماعية باردة هامدة مستسلمة لا اثر لحرارة

Digitized by Birzeit University Library

الصراع الاجتماعي والسياسي والفكري فيها ، ومن ثم لا حيوية ولاتطور ، ولا تنفس طبيعي يحس به في ظلها ـ عن هذا المفهوم الضيق الخانق يقول الميثاق الوطني :" ان الوحدة الوطنية هي القوة التي نواجه بها كل المخاطر التي تهدد كياننا واستقرارنا وسيادتنا الوطنية وبلادنا اليوم تمر بمرحلة هامة ، الامرالذي يقتضي ضرورة توحيد الجبهة الداخلية في موقف وطني موحد ، يقوم على اسس محددة العالم في جميع مجالات الحياة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، تختفي معه التناقضات ، وتغيب الصراعات" مما يعني التخلص من" كل رواسب الانتماءات الضيقة ، والقضاء على مظاهر التفرقة والعصبيات ،وعلى كل الارتباطات التي يترتب عليها الولاءات التي لا تخدم اليمن ، بل تفرق ابناء الشعب وتمزق صفوفهم" (ص ٥٧ ـ ٥٨) .

وغالتأكيد على ان مثل هذا النمط القسري من الوحدة الوطنية الذي تذوب فيه الطبقات ،وتذوب معه تطلعاتها الاجتماعية والسياسية المشروعة ، هو السبيل الموصل الى الوحدة اليمنية ، عن ذلك يقول الميثاق الوطني ايضا : " واننا اذ نركز على ضرورة الوحدة الوطنية كمدخل لتحقيق الوحدة اليمنية ، فان ذلك ليس دعوة اقليمية منغلقة" (ص ٦١) .

بل ان مفهوم الوحدة الوطنية ، شأنه شأن مفهوم السيادة الوطنية ، يضيق اكثر فاكثر الى ان يصبح مرادفا للمؤسسة الرئاسية الحاكمة ، ونظام آخر للمؤسسة العسكرية القابضة على زمامنا للمجتمع والشعب فيها وفي الدولة البوناپرتية التي تقيمها .

ان ذلك ما يتضح جليا من قول الميثاق : "فان رئاسة الدولة هي رمز سيادة الوطن واستقلاله ، ورمز وحدة الدولة ومركزيتها ، ورمز الوحدة الوطنية." (٧٥) .

ورئاسة الدولة هذه ، سواء كانت مجسدة في رئيس للجمهورية او في مجلس لرئاسة الجمهورية ، هي كائن علوي يطل على المجتمع كإلهة من السماء ، واليه يحتكم الجميع فيما يحصل بينهم من خلاف ، تماما كما يحتكم العبيد الى ما يقوله الرب الذي في السموات ، فهي ليست ذات انتماء ارضي ، ليست ذات ارتباطات مجتمعية ، ومن ثم لا يصح عليها ما يصح على افراد المجتمع وطبقاته ومؤسساته التي تخضع في اعمالها وتصرفاتها للمصلحة والايديولوجية والهوى والمزاج. هي كائن لا انتماء طبقي له ، لا ايديولوجية اجتماعية تتحكم فيه ، لا مزاج ولا هوى يمكن ان يؤثران على سلوكه . هي كائن اثيري شفاف ، ملاك منزّه. هي صورة جديدة للامام او الرسول المعصوم من الخطأ .

ان هذه المكانة العلوية المقدسة لرئاسة الدولة هي ما تفصح عنها بقوة ووضوح كلمات الميثاق : " وسواء تمثلت رئاسة الدولة في رئيس ، او في مجلس ، فانها ـ بما ترمز اليه ـ من معان عظيمة ـ يجب ان ترتفع فوق الخلافات التي قد تحدث بين سلطات الدولة ،او داخل اجهزة السلطة التنفيذية ، او بين الحكومة ، وبين فئات شعبية ، او بين الفئات الشعبية نفسها ،لتساعد على حصر وحل كل الخلافات داخل الاطار الديمقراطي " (ص ٧٥ ـ ٧٦) .

ان هذه النزعة الفردية التي تذكر بالصلاحيات الاستبدادية المطلقة التي كان

Digitized by Birzeit University Library

يركزها الامام في يده، والتي تعكس ايضا النزعة العسكرية البونابرتية الديكتاتورية التي تجسدها اليوم المؤسسة العسكرية بزعامة العقيد علي عبدالله صالح ابلغ تجسيد،بزكيّها الميثاق بمقولات بونابرتية صريحة قاطعة .

لقد قلنا آنفا ان البونابرتية هي شكل مركز وحديث نسبيا للدولة، ذو صبغة انتقالية ،وصفة شبه استقلالية حيال المجتمع، وان هذا الشكل تمليه حالة التوازن بين الطبقات، وانه يضبط حالة التوازن هذه، ويوجهها بقوة الدولة كلها، والبناء الفوقي كله، وجهة الانتقال من المجتمع الاقطاعي الى المجتمع الرأسمالي، دون لجوء الى العنف الا حيال القوى الجذرية في المجتمع، ممثلة في البروليتاريا التي تطمح الى احداث قفزة تاريخية تتجاوز الاقطاعية والرأسمالية معا.

ان هذا الوصف العام لظاهرة البونابرتية ينطبق على حالة الدولة التي يجرى بناؤها في شمال اليمن تحت قيادة المؤسسة العسكرية ،وان اكتسبت هذه الظاهرة بعض السمات الخاصة المتميزة المنحدرة من الطبقة الاجتماعية المتخلفة والمعقدة للمجتمع .

وفوق ذلك فان الميثاق يقدم لنا في هذا الصدد نصوصا فائقة الاهمية والدلالة . فهي وحدها تنطق بفصيح العبارة بهذه الظاهرة، حتى لتكاد هذه الظاهرة تتحدث عن نفسها من خلال هذه النصوص التي جاء في بعضها: " ورئاسة ـ بما ترمز اليه من معان عظيمة ـ هي عامل التوازن والاستقرار والانسجام ، سواء في نطاق السلطات والمؤسسات الدستورية والحكومية ، او في نطاق الفئات والمنظمات الجماهيرية . وهذه مهمة من اعظم المهمات، وهي في ادائها هذه المهمة، وفي ممارستها مسئولياتها ، طبقا لقواعد الدستور ،تؤدي اعظم عمل يخدم المصلحة العليا للوطن، وهو حماية الدستور، وترسيخ قواعد الديمقراطية " (٧٧) .

ان هذه الحقوق والصلاحيات السياسية العليا التي تمنحها لنفسها مؤسسة الرئاسة، والتي هي ذات الحقوق والصلاحيات التي تمنحها البونابرتية لنفسها ـ اينما وجدت، وايا كان الشكل الخاص الذي تتخذه ـ والتي تجعل منها عامل التوازن الطبقي، وشوكة الميزان بين كفتي الاقطاع والبروجوازية، والعامل السياسي الموجه لحركة المجتمع في هدوء وانتظام في طريق التوجه الرأسمالي ـ حتى ولو لم تع ذلك تماما ـ كما تجعل منها عامل الاستقرار والانسجام والاتساق في خطى المجتمع على هذا الطريق، وعامل الحماية له من اية حركة اعتراض له، او تعطيل لمسيرته، قد تأتي من القوى الثورية في المجتمع وعلى نطاق الساحة اليمنية ـ ان هذه الحقوق والصلاحيات البونابرتية لا تقبل الحد منها قط ، ولا تخضع لاي حسيب او رقيب .

وحتى مجلس الشعب التأسيسي ، او اي مجلس شورى قادم لا يملك قط محاسبة الرئيس او الرئاسة، حتى وان استمدت هذه شرعية وجودها على رئاسة الدولة من واقع انتخابه لها .

ان مهمة مثل هذه المجالس التشريعية الشكلية المعيّنة او حتى المنتخبة فيما بعد تنتهي ـ حسب نصوص الميثاق ـ عند انتخاب رئيس الدولة، اي عند اضفاء الشرعية البرلمانية على وجوده على قمة الدولة .

اما بعد ذلك فلا شأن لها به، ولا شأن له بها ، الا في حالتين يستحيل على المجلس

Digitized by Birzeit University Library

التشريعي تسجيلهما، ومحاسبة الرئيس عليهما حتى وان كانتا ثابتتين بالفعل، او امكن تعديلهما، وهما خرق الدستور، والخيانة العظمى.

ان هذه النصوص التي تشرّع هذه الحقوق والصلاحيات البونابرتية، وتؤكد من ثم الطبيعة الاستقلالية النسبية للدولة حيال المجتمع وطبقاته ومؤسساته يمكن العثور عليها هنا وهناك من الميثاق، وغيره من الوثائق الصادرة عن حزب النظام، كما ترددها وتسبح بها ليل نهار اجهزة النظام المختلفة.

ان من اسطع الصيغ التي بررت هذه الحقوق والصلاحيات الديكتاتورية والتي ـ رغم ذلك اضفت عليها مسحة الديمقراطية ـ ما جاء في الميثاق: "وبما ان رئاسة الدولة تهيمن وتشارك في وضع السياسة العامة للدولة ووضع برامج التنمية، وفي مناقشة القضايا والقوانين التي تهم البلاد، دون التدخل في اختصاصات السلطات الدستورية، ودون التدخل في الشئون التنفيذية، فانها ليست مسؤولة امام مجلس الشورى، الا في حالة اتيانها بخرق الدستور، او بالخيانة العظمى، فتحاسب طبقا للدستور، فلا مسوؤلية حيث لا سلطة، ولا سلطة بلا مسوؤلية. ذلك هو مفهومنا للديمقراطية السياسية." (٧٨).

ان السلطة التي لا تكون مسوؤلة لا امام الشعب ولا امام المؤسسات الدستورية القائمة في البلد هي فوق كل السلطة. وان عدم تحديد او تحديد سلطات الرئاسة، وجعلها مطلقة، وعدم اخضاعها للمساءلة امام الجهة التشريعية المفترض ان توجد لاحقا ـ وهي لحد الآن لا يعني الا شيئا واحدا، تشريع وتزكية الحكم العسكري الديكتاتوري، وتبرير النزعة البرونابرتية بنصوص ميثاقية.

ان من خصائص البونابرتية التركيز على بناء اجهزة الدولة، ومركزة سلطاتها، بغية تشديد قبضتها على المجتمع ككل، وتسهيل عملية انتقاله من الوضعية الاقطاعية ـ القبلية المتسمة بهذا القدر او ذاك من التفكك الاقليمي ـ القروي ـ القبلي ـ الطائفي، وبهذا القدر او ذاك من الانغلاق الفئوي.

وهي من هذه الناحية تمثل حالة اكثر تقدما من الوضعية الاقطاعية ـ القبلية. غير انها تمثل بالنسبة لليمن، حيث توجد حالة توازن طبقي بين النظام الذي تقيمه في شمال الوطن، وبين الحركة الوطنية ـ الديمقراطية والاشتراكية اليمنية، وفي مقدمتها النظام الديمقراطي الثوري السائر في طريق التوجه الاشتراكي في جنوب الوطن، تمثل ليس مجرد حالة متقدمة بالنسبة للاوضاع السابقة لها، وانما حالة متأخرة، بل ورجعية، بالنسبة للاوضاع المتقدمة عليها.

وهي فوق ذلك عدو طبقي جديد وفتي يسيّر دولة بكاملها، بكل خلفيتها الرجعية العربية، التي تستند اليها، وبكل الجدار الامبريالي الذي يعتمد عليه، هي عدو طبقي جديد وفتي تواجهه الحركة التقدمية اليمنية، بما فيها وعلى رأسها النظام الثوري في جنوب الوطن.

وهو عدو جديد قوي حل محل عدو قديم متآكل، ومضى بقوة في طريق حشد كل قوى المجتمع الطبقية وراءه، بل وكل القوى السياسية ذات المشارب المتعددة، بدءا من الاقطاع، مرورا بالبرجوازية، وانتهاء

Digitized by Birzeit University Library

بالاخوان المسلمين، ناهيك عن استقطابه المثقفين التقليديين والمثقفين الليبراليين .

ولن يتراجع هذا العدو الذى تقدم له المشورة من قبل المستشارين المحيطين به ومن بيوت الخبرة العالمية ـ لن يتراجع عن اصطناع بديل يساري يواجه به حزب اليسار القائم في شمال الوطن، والممثل في حزب الوحدة الشعبية اليمني .

بل ان هذا العدو الجديد يقدم نفسه ودولته ومشروعه الرأسمالي كبديل للنظام الديموقراطي في جنوب الوطن بكل توجهه الاشتراكي، وبالاحرى كبديل للحركة الوطنية ـ الديمقراطية ـ الاشتراكية في شمال الوطن بمشروعها الثوري الديموقراطي التقدمي .

ان ما يركّز عليه الان هذا العدو هو بناء الدولة القوية المركزية ذات المؤسسات الحديثة والفعالة، وعلى رأس هذه المؤسسات الجيش، والامن .

ان بناء مثل هذه الدولة هو الشرط الاول والاساسي للشروع في تنفيذ المهام الاستراتيجية الموكلة اليه، والتابعة من طبيعة مشروعه، والتي تتمثل في العمل على تقويض النظام الديمقراطي الثوري ذي التوجه الاشتراكي في جنوب الوطن .

لا يفصح الميثاق ـ بطبيعة الحال ـ عن هذه المهمة الاستراتيجية البعيدة التي لا يحتاج المرء الى ذكاء كبير لاكتشافها .

غير انه يفصح بوضوح عن انه عازم على بناء مثل هذه الدولة المركزية القوية الحديثة، التي لن تقتصر على بسط ظلها الثقيل على شمال الوطن، وانما ستتحول الى قبضة حديدية مرفوعة على النظام التقدمي في جنوب الوطن .

يقول الميثاق ـ في غير ما لبس ـ: " اننا ، ونحن في بداية تكوين الدولة اليمنية الحديثة، بسلطاتها الدستورية، وهياكلها التنفيذية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، واستكمال اجهزتها التنفيذية، لا بد لنا ان نستفيد من تجاربنا وتجارب الاخرين ... وصولا الى بناء الدولة الحديثة بناءا سليما شاملا ... وشمولية البناء للدولة يرتكز على شمولية الممارسة .. واذا كانت الدولة منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م قد انشأت الكثير من الهياكل الادارية، وحاولت ان تجعلها قائمة على احدث الاسس العلمية، الا ان فعالية هذه الهياكل قد ظلت قاصرة، ورافقها الكثير من الضعف والسلبيات . ولذلك لا بد من اتخاذ كل الخطوات العملية المدروسة ،لاستكمال بناء هياكل الدولة على اسس علمية، لتغيير الواقع الى ما هو افضل، وخلق مناخ تنمو وتتعمق فيه الثقة بين المواطن والدولة . وبذلك يرتبط الولاء للوطن بالولاء للدولة، التي تحمي الارض، وتصون حريات الشعب ومصالحه، ويصبح الانتماء للوطن والدولة اقوى واعمق من الانتماءات الضيّقة التي تقوى في غياب الثقة المتبادلة بين السلطة والشعب " (ص ٨٥ ـ ٨٦) .

واذا كان الولاء للوطن قد قرن بالولاء لمثل هذه الدولة المركزية الاستبدادية، كما هو واضح من الصيغة، واذا كان الولاء لها سيضعف، ان لم يقض على الولاء الطبقي، والحزبي ،الذي يضمّه الميثاق بانه من الانتماءات الضيّقة التي وصفها في مكان آخر بالخيانة ـ اذا كان الامر كذلك مع هذه الدولة

Digitized by Birzeit University Library

المركزية، فان الميثاق يضع امر مركزة المؤسسة الرئاسية التي هي في حالتنا المؤسسة العسكرية في مقدمة الاجهزة المركزية للدولة ذات الصلاحيات الواسعة، حيث يقول "وتتمثل صلاحيات الحكم المركزي الاساسية في مركزية .. رئاسة الدولة ووحدتها، ارضا وحكما وشعبا" (ص ٨٧).

اما لماذا رئاسة الدولة بالذات، فذلك يعود الى ما سبق ان اشار اليه الميثاق من ان "رئاسة الدولة هي رمز سيادة الوطن واستقلاله، ورمز وحدة الدولة ومركزيتها، ورمز الوحدة الوطنية" (ص٧٥).

حتما ان هذه الدولة المركزية الحديثة القوية التي تقف مؤسسة الرئاسة على رأسها، وتقف المؤسسة العسكرية فيها على رأس الجميع هي ـ من المنظور التاريخي ـ ـ خطوة متقدمة على دولة الأئمة الاقطاعية ـ القبلية ـ الكهنوتية ـ الاوتوقراطية، وعلى دولة حكام نجران الاقطاعية ـ القبلية، وهي خطوة متقدمة من حيث المهمّة الاجتماعية التي تقوم بها، والتي تتمثل في تسهيل انتقال حركة المجتمع من الاوضاع الاقطاعية ـ القبلية، والتمزق الفئوي، الى اوضاع اجتماعية جديدة ذات طابع برجوازي.

غير ان هذه الخطوة المتقدمة تظل محدود القيمة والاهمية، اذا ما نظر اليها من زاوية ثورية عامة، ومن زاوية ثورية خاصة.

فتمثل هذه الدولة المركزية البونابرتية ذات التوجه البرجوازي هي دولة رجعية، من حيث انها جاءت على انقاض ثورة مجهضة هي ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢، ولم تشكل استمرارا لثورة ٢٦ سبتمبر ذات التوجه الوطني الديمقراطي، ولا بعثا لروحها ـ كما توهم المشير السلال رئيس هذه الدولة السبتمبرية، حيث ان رأي الرئيس السلال في هذا الصدد لا يعدو ان يكون رأي رجل بلغ مرحلة التقاعد السياسي، ولم تعد تحركه همة الخمس سنوات الاولى من عمر الثورة التي كانت في اوج توهجها وسطوعها، ولم يعد يطمح الى اكثر من ان يرى خصومه السياسيين من حكام ٥ نوفمبر، وعلى رأسهم القاضي عبد الرحمن الارياني الذين ازاحوه من السلطة لم يعودوا على رأسها وذلك ما تحقق بالفعل بعودة المؤسسة العسكرية الى السلطة، وهيمنتها عليها بقوة في عهد العقيد علي عبدالله صالح.

وهذه الدولة المركزية البونابرتية السمات رجعية من زاوية ما وصلت اليه حركة الثورة اليمنية في تطورها، هذه الحركة الممثلة اليوم في النظام الديمقراطي الثوري ذي التوجه الاشتراكي في جنوب الوطن، وفي الحركة الوطنية ـ الديموقراطية ـ الاشتراكية المناهضة في شماله.

وهي ليست استمرارا فقط لحركة الارتداد التي منيت بها ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ في شمال اليمن، منذ قيام انقلاب ٥ نوفمبر١٩٦٧، وانما هي ايضا مظهر من مظاهر حركة الارتداد العامة التي اصيبت بها حركة الثورة العربية منذ مطلع السبعينات، والتي بدأت برحيل جمال عبد الناصر وانقلاب السادات على تجربته الناصرية الثورية الديمقراطية، وتجلت في ارتداد النظام السوداني، والصومالي، والعراقي.

وهي حلقة اساسية وهامة وخطيرة للحلقات التي تعمل الرجعية العربية، وعلى رأسها

Digitized by Birzeit University Library

الرجعية السعودية، والامبريالية العالمية، وعلى رأسها الامبريالية الامريكية، على تقويتها وتمتينها، وتعزيز قبضتها عليها، وتحويلها الى طوق خانق ليس للحركة الوطنية في شمال اليمن فحسب، وانما للنظام التقدمي في جنوبه.

وهي ـ اولا وقبل كل شيء ـ تعبير عن الازمة والمحنة والضعف التي لازمت الحركة الوطنية في شمال الوطن، والتي سهلت لقوى الردة الاقطاعية والكومبرادورية وللاوساط العسكرية اليمينية اجهاض الثورة، وتوجيه البلاد هذه الوجهة الرأسمالية الطفيلية التابعة

وهي ـ على النطاق الاعم ـ لا تعدو ان تكون مظهرا من مظاهر البونابرتية الحديثة التي ليست شيئا غير " الثكنة والمعسكر " حسب تعبير ماركس، اللّذين ينيخان بكلكلهما على صدر المجتمع " لكي يقمعا وعيه ويسكتاه ،والسيف والبندقية اللذين كان يسمح لهما بصورة دورية بأن يؤديا دور القضاة والمديرين والاوصياء والمراقبين، وان يقوما العمل الشرطي، وبوظيفة الحارس الليلي، والشارب والبزة العسكرية اللذين كانا ينادي بهما بصورة دورية كأسمى حكمة في المجتمع، وكمرشد له ـ الم يكن محتّما لهذه الثكنة والمعسكر والسيف والبندقية والشارب والبزة العسكرية ان تخطر لها بالاحرى فكرة انقاذ المجتمع مرة واحدة والى الابد بأعلان حكمها هي أعلى الاحكام ..." (٩).

ولكن هذه الدولة الاستبدادية ليست مظهرا من مظاهر البونابرتية الحديثة ليس إلا. إنها تنطوي على عناصر متخلفة من المجتمع اليمني الشمالي الذى عاش مأساة تخلف تاريخي يمكن ان تكون مضربا للامثال. وهي بذلك قد ورثت بعض عناصر النزعة الاستبدادية الفردية في الحكم التي جسدتها الإمامة التي ظلت قائمة في هذا المجتمع حوالي عشرة قرون.

ان هذه السمات البونابرتية لمجتمع متخلف والمقترنة من ثم بالنزعة الاستبدادية الامامية الموروثة لا تلغي او تنفي واقع ان الجيش الواقع في قبضة المؤسسة العسكرية الحاكمة يلعب دورا حقيقيا اليوم في تحريك قاعدة المجتمع الاقتصادية ودفعها في طريق التطور الرأسمالي، هذا الدور الذى نهضت به جيوش مختلف البلدان سواء في مجتمع ما قبل الرأسمالية، او مجتمع الرأسمالية ، او عند اقامة الانظمة الوطنية الديموقراطية، او الانظمة الاشتراكية، هذا الدور الذي برز مع بروز الدولة، والمجتمع المدني، والحضارة، واتخذ ابرز أشكاله مع بروز الظاهرة البونابرتية، والظاهرة الفاشية في المجتمع الحديث.

لقد لخّص ماركس دور الجيش التاريخي والعام هذا بقوله :" ان تاريخ الجيش يؤكد بأوضح ما يكون صحة نظرتنا الى الصلة بين القوى المنتجة والعلاقات الاجتماعية. وعلى العموم يضطلع الجيش بدور مهم في التطور الاقتصادي". " وفضلا عن ذلك يتلخص في تاريخ الجيش، بوضوح مذهل، كل تاريخ المجتمع المدني " (١٠).

وعدا هذه السمة التاريخية العامة للجيش ودوره حيال المجتمع عبر التاريخ فان له سمات خاصة خشنة فظة في المجتمعات الاسيوية ـ الافريقية ـ الامريكية اللاتينية، هذه السمات المنحدرة عن النظام الاسيوى للانتاج ،والتي ولدت النظام العسكرى الاستبدادي،

Digitized by Birzeit University Library

الذي لم تتخلص منه حتى الانظمة الوطنية الديمقراطية التي اقامتها الفئات العسكرية الثورية، والذي يتجسد بأبشع قسماته في انظمة الارتداد العسكرية المشاهدة اليوم في آسيا وافريقيا . وامريكا اللاتينية، بما في ذلك في بلداننا العربية .

من هذه السمات الخاصة البالغة الخشونة والحدة في المؤسسات العسكرية الشرقية يحدث كارل ماركس ويشير الى " النظام العسكري الاسيوي بالصورة التي يظهر بها للمرة الاولى عند الفرس، ثم كمايتبدى — والشيء بالشيء يذكر — عند المغول والاتراك ، وان بشكل مغاير كثير جدا " (١١) .

لم يكن الجيش اليمني استثناء من هذه الظاهرة الشرقية، ظاهرة النظام العسكري الاسيوي المجسد لعلاقات الانتاج الاسيوية .

على ان الدراسات المقارنة التي قام بها المفكر السوفييت قد اوضحت ان ظاهرة الارتداد العسكري الاسيوي، والتقاليد العسكرية عموما قد عرفت في المجتمع الهندي والمجتمع الاسلامي، اكثر من اي مجتمع شرقي آخر بما فيه المجتمع البوذي والكونفوشيوسي .

يشير الكتاب الانف الذكر للعلماء السوفييت :(التركيب الطبقي للبلدان الاسيوية) الى هذه الظاهرة بقوله :" ان المجتمعين الاسلامي والهندوسي يضعان العسكريين في المراتب الاجتماعية العليا (خلافا للمجتمعين البوذي والكونفوشيوسي) (٤٠٩) بل ان العالم الاسلامي اكثر من المجتمع الهندي قد عرف ظاهرة التقاليد العسكرية، والنزعة العسكرية، التي اشارة اخيرا الى ان العوامل النفسية والدينية والتقاليد تلعب دورا هاما . فدور الجيش في البلدان الاسلامية اقوى (واستلامه السلطة فيها اكثر تكرار الى حد ما ، وذلك لان الاسلام يرفع من شأن العسكريين اكثر مما تفعله الهندوسية او البوذية مثلا" (ص٤٢٠) .

وفي هذا الصدد يمكن الاشارة الى الادوار التاريخية الهامة التي لعبتها جيوش الفتح الاسلامي وجيوش السلاجقة والاتراك الذين تحكموا حتى في الخلافة العباسية الثانية، وجيوش المماليك، والجيوش العثمانية ، او الانكشارية، هذه الجيوش التي كانت بنظمها وتقاليدها العسكرية، وبحاسها الديني الشديد ، تتفوق في الاغلب الاعم على جيوش اوروبا .

ان المجتمع اليمني ينتمي الى هذا العالم الاسلامي الذى كما عرف علاقات الانتاج الاسيوية، فانه عرف هذا النظام العسكري والاستبدادي — ايا كان الشكل الخاص الذي اتخذه عبر العصور .

فالنظام القائم اليوم في شمال اليمن، والذي تصيغه المؤسسة العسكرية الحاكمة ، بصيغتها هواذن باضافة الى انه ظاهرة بونابرتية في لبوس محلية — وارث هذا النظام العسكري الاستبدادي الاسيوي — الاسلامي — الإمامي .

لذلك فانه لا ينبغي انتظار الكثير من مثل هذه الانظمة العسكرية الاسيوية، حقا قديقوم فريق من العسكريين بانقلاب ثوري كما حدث في مصر، والعراق، واليمن، وسوريا، والى حد ما في الجزائر التي قاد الثورة فيها جيش التحرير ،وفي السودان، وفي ليبيا، وفي بلدان عديدة اسيوية، وافريقية، وامريكا اللاتينية، غير ان الدور الغالب للجيوش التي تسيطر

Digitized by Birzeit University Library

عليها الطغم العسكرية اليمينية المرتبطة بالامبريالية والطبقات الرجعية في المجتمع هو دور مناهض للثورة بشكل عام .

وحتى هذا الدور الثوري الوطني ،او الوطني الديموقراطي الثوري ، الذي ينهض به الفريق المتقدم من العسكريين يرتبط موضوعيا وسياسيا. بمدى تهيؤ المناخ العام لقيامه بمثل هذا الدور، وبمدى الجهد النضالي الذي تكون الحركة الشعبية قد قامت بـــــه وأسرعت به في توفير العوامل الاجتماعيـــة والسياسية المساعدة على قيامه بـــه .

وفوق ذلك كله، فانه يمكن لبعض عناصر هذا الفريق بوجودها في السلطة وبتحولها الى برجوازية بيروقراطية عسكرية ان تلعب الدور بشكل معكوس، وان تأكل الحدث الثوري الذي تكون قد نهضت به في السابق، او نهضت به قوى عسكرية سواها .

ان البيروقراطية العسكرية القابضة على السلطة في شمال اليمن هي مثل حي على ذلك. ففوق انها لا تمت بصلة حية ومباشرة الى العسكريين الذين فجروا ثورة ٢٦ سبتمبر، فانها تقود البلاد في طريق الثورة المضادة، وتؤسس حكما عسكريا ديكتاتوريا بونابرتيا صارما لا مجال فيه لاي معارضة، او لأي رأي مخالف .

ولاحكام قبضتها العسكرية اكثر فاكثر على البلاد فانها تنفق الاموال الطائلة التي تأتيها من الخارج من اجل مضاعفة افراد الجيش، وتحويله الى قوة ضاربة باطشة في يدها ضد الشعب .

ويعترف رئيس حكومة صنعاء السابق الدكتور عبد الكريم الارياني بانه خلال عشر سنوات ، أي منذ عام ١٩٧٣ والى اليوم انفق على بناء القوات المسلحة ما يزيد على مائة وعشرين ضعفا مما كان ينفق قبل عودة المؤسسة العسكرية الى السلطة، حيث قال ان "مجموع الانفاق في عام ١٩٧٣ اربعة ملايين ونصف دولار، وقفز في عام ٨٢ م الى اكثر من مئة وسبعة وعشرين مليونا " (وكالة انباء عدن ١٩٨٣/١٠/٩).

والامبراطورية البترودولارية التي تغدق الاموال على المؤسسة العسكرية الحاكمة في صنعاء ، والتي مولت صفقات السلاح الغربية لها باسم تنويع مصادر السلاح، والتي من مصلحتها ـ شأن الامبريالية الامريكية ـ تحويل الجيش الى اداة بطش بالحركة الوطنية اليمنية ، واداة تهديد للنظام الديمقراطي في جنوب الوطن ـ وهذه الامبراطورية لا تخفي اعجابها بنجاحات المؤسسة العسكرية في مضمار بناء هذا الجيش الضارب ، ووضع السلاح الغربي في يده .

وكما بثّت اذاعة صنعاء في ١٩٨٣/٩/٢٧ فان صحيفة (عكاظ) السعودية ركّزت اهتمامها على العرض العسكري الكبير الذي جرى في ذكرى ثورة ٢٦ سبتمبر، وقالت : " لقد عكس العرض العسكري الذي شاركت فيه وحدات من مختلف الاسلحة، وظهر فيه عدد من الاسلحة التي تم ادخالها على الجيش اليمني في السنوات الاخيرة ـ عكس سياسة الحكومة اليمنية فيما يتعلق بتنويع مصادر السلاح، بما يتطلب (يتفق) واحتياجات القوات المسلحة اليمنية ومهامها في الحاضر والمستقبل." (وكالة انباء عدن ـ الاستماع السياسي، ١٩٨٣/٩/٢٧).

ولا مفر من التوقف امام المقال المسهب

Digitized by Birzeit University Library

الذي نشرته صحيفة (السياسة) الكويتية في ١٩٨٣/١٠/٤. والذي لأهميته أعادت (وكالة أنباء عدن) نشره في ١٩٨٣/١١/٣، هذا المقال الذي حمل عنوانا معبّرا يوحي بالاعجاب لما غدا عليه الجيش تحت قيادة علي عبدالله صالح .

كان العنوان كالتالي :" في العيد الواحد والعشرين للثورة اليمنية: جيش التسعينات كان مفاجأة على عبدالله صالح- صنعاء ترى في بناء مؤسسة عسكرية وسيلة لفك العزلة داخليا وخارجيا وجسر الاتصال بالقوى الأمنية الاقليمية!".

ليس في الامكان استعراض المقال كله. غير انه من الضروري والمهم ايراد اهم فقراته التي توضح ان هناك ادراكا لدى المراقبين السياسيين العرب للمهمات الداخلية والخارجية التي غدت تضطلع بها المؤسسة العسكرية الحاكمة في صنعاء بقيادة العقيد علي عبدالله صالح، والتي من اجلها لقيت الدعم الغربي والخليجي من اجل انشاء جيش ضارب وصدّر وحسن التسليح .

تبدأ المقالة التي ارسلها مراسل الجريدة الخاص من صنعاء كما يلي :" كانت مفاجأة للرئيس علي عبدالله صالح لجميع الوفود العربية والاجنبية التي حضرت احتفالات اليمن الشمالي بعيد ثورتها الـ ٢١ مركزّة اساسا في العرض العسكري الذي استغرق اكثر من اربع ساعات ،وشاركت فيها وحدات رمزية من جميع فئات الجيش، برز فيه بصورة ملفتة للنظر سلاح الطيران الجديد ، وسلاح المدرعات ، قوات الامن المركزي! اربعون الفا من جنود وضباط الاسلحة والامن اشتركوا في عرض جاء ليثير اهتمام جميع الوفود العسكرية والمحللين العسكريين للدول الغربية والشرقية ،واختار علي عبدالله صالح ان يكون استعراضه القوي هذا في وقت تقترب فيه الصراعات الدولية من منطقة الشرق الادنى والاوسط وتشتعل في لبنان وحول الخليج !.

وان نظرة الى ما قدمه العرض العسكري لليمن الشمالي يعكس بوضوح ذلك الجهد الذي بذله الرئيس اليمني منذ تولّيه السلطة قبل حوالي خمسة اعوام مركزّا على بناء مؤسسة عسكرية هي الاولى من نوعها في تاريخ اليمن الحديث. ظهر ذلك من خلال انواع السلاح الجديد ".

ولا ينسى المقال أن يبرّر ظهور انواع السلاح الغربية، وخاصة طائرات الفانتوم ٤ والفانتوم ٥ الامريكية. وهو يعتمد الحجة الساداتية الشهيرة ،حجة تنويع مصادر السلاح وبذلك حقق علي عبدالله صالح - كما يقول - " التوازن والتنوع في التعامل بين القوتين الاعظم في استيراد السلاح ".

وبعد استعراض السلاح الثقيل الذي ظهر في العرض يمضي المقال قائلا :" وكانت قوات الصاعقة وسلاح الفرسان مثار اعجاب كبير، كما لفت انتباه الجميع اللياقة العالية والصلابة التي ظهرت فيها طوابير الجيش المختلفة حتى خلال استعراض قوات الامن المركزي كقوة جديدة مجهّزة بأحدث انواع السلاح للمحافظة على الامن الداخلي في البلاد مما جعل البعض ينظر الى هذه القوة على انها تمثل الجناح الجديد والقابض للحكومة المركزية، واحد العوامل المضافة للجهد الذي تقوم به القوات المسلحة في حماية حدود البلد واستقراره ."

لم يخطئ المقال بالاشارة الى ان قوات الامن المركزي هي " القابض للحكومات

Digitized by Birzeit University Library

المركزية "، وانها قوة مضافة الى قوة الجيش.

وهو يبرر قيام المؤسسة العسكرية القوية بعوامل اهمها مواجهة التصلب القبلي الذي يرفض الاذعان لسلطة الدولة، كما اكدت ذلك الاحداث السابقة، وظهورالتيارات العقائدية الحزبية التي يدفعها بالتخريب، والتي حاولت غير مرة زعزعة الامن والاستقرار، حيث يقول:" كانت المعادلة الصعبة امام علي عبدالله صالح قبل خمس سنوات لمواجهة التحديات التي تحول دون قيام مؤسسة عسكرية على ارض تتصارعها تيارات متناقضة، ومحاولات انفصالية، تفرض على الحكومة المركزية ان تبقى بعيدة عن التحكم في ادارة موازين القوى السياسية التي تعيش داخل البلاد، والتي تتصادم احيانا بفعل الخلافات القبلية والعقائدية. ووضعت الازمات الاقتصادية المستمرة حتى الان اكبر عائق لتخصيص ميزانية عسكرية، حتى مع الاعتماد على مساهمات عربية وخليجية في شراء صفقات السلاح من الخارج . وتبقى بعد ذلك اكبر تلك التحديات في رفض رجال القبائل وشيوخها اشراك ابنائهم في الجيش المركزي، خاصة وان بعض هذه القبائل ما تزال تمتلك سلاحها ومعدات للدفاع عن نفسها، غير معتمدة في ذلك على حماية الدولة. من هنا كان على الرئيس اليمني ان يواجه كل هذه العقبات، قبل ان يبدأ برنامجه العسكرى لبناء جيش جديد . واختار علي عبدالله صالح تحدي كل هذه المشاكل بروح الشباب، والذي يتدفق فيه، وهو لم يكمل بعد الخامسة والثلاثين من عمره.. بدأ فوراً بتخطيط بناء الجيش على اساس شمولي تتكامل فيه مهمته كجيش للدفاع عن البلاد ضد اي محاولة للسيطرة الخارجية، وكقوات للحماية الداخلية ضد اي اختلالات او محاولة اختراق حزام الامن الوطني من عناصر تخريبية تكررت محاولاتها في السابق !"

"ونجح علي عبدالله صالح في وضع المؤسسة العسكرية كنقطة التقاء بين التحديات القبلية التي كان بواجهها كل حكم يمني جاء بعد الثورة وبين قضية الامن الوطني وامن المواطن. وقد احتاج ذلك الى خمس سنوات من وعي سياسي وشعبي ضمن سلسلة حملات ثقافية دخلت كل بقعة فوق الجبال وعلى السفوح اليمنية .." " وبذلك نستطيع ان نفهم ان اقامة مؤسسة عسكرية تعني مرحلة انتقال من الواقع المتخلف سياسيا واقتصاديا واجتماعيا الى واقع جديد تكون فيه الحكومة المركزية هي الممسكة بأوراق التغيير وعناصره وأدواته .."

لا جدال في ان هناك تناقضا ما بين المؤسسة العسكرية الممسكة اليوم بالسلطة في صنعاء وبين المؤسسة الاقطاعية ـ القبلية التي خرج من بدها زمام السلطة بعد قيام حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ التي عادت بالجيش الى قمة الحكم، ولا جدال في ان رموز الاقطاع الكبيرة غير قانعة بالنصيب الذى اتيح لها في الحكم، بعد الفتك بقائد حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ المقدم ابراهيم الحمدي، وانها ستظل تطمح وتعمل على الحصول على نصيب اوفى واكبر فيه .

ومن جانب آخر يمكن الجزم بأن التناقض الرئيسي القائم اليوم في شمال الوطن هو بين النظام الحاكم الذى تهيمن عليه وتوجهه المؤسسة العسكرية وبين الحركة الوطنية

Digitized by Birzeit University Library

والتقدمية فيه ومعها جماهير الشعب العريضة.
بل ان هذا التناقض يمتد ليشمل الساحة اليمنية كلها .

ان هذا الواقع يستتبعه استنتاج ضروري وهام ،وهوان رأس الرمح لهذا البناء العسكري الذي تمضي فيه المؤسسة العسكرية حثيثا موجه ضد الحركة الوطنية والتقدمية اليمنية وضاهير الشعب في الشمال اليمني – وضد النظام الديموقراطي الشعبي في الجنوب .

بقي علينا ان نرى المهمة الخارجية التي يراد لجيش المؤسسة العسكرية ان ينهض بها حسبما تلاحظ جريدة (السياسية) الكويتية.
وفي هذا الصدد جاء في المقال الانف الذكر :" استفاد علي عبدالله صالح كثيرا من موقع التوازن السياسي الذي فرضته "الجيوبوليتك" على اليمن كمنطقة عازلة او دولة عازلة بالمفهوم السياسي، مماجعله في وضع يستطيع من خلاله ان يحصل على معونات وقروض خليجية لشراء السلاح ".

واضح ان المراد ، ان تقوم هذه الدولة العازلة في شمال اليمن بعزل حرارة الثورة الطلقية في اليمن حتى لا تصل ألسنة لهبها الى حقول امبراطورية البترول في الجزيرة والخليج، ومن اجل ذلك فانها تتلقى الدعم سخاء من هذه الامبراطورية .
وتوضّح الصحيفة ذلك اكثر بقولها :" فان لجيش هو الذي سيكون جسر الاتصال مع لقوى السياسية الاقليمية، بعد ان يستطيع لإشارة بفعالية اكثر في دعم الامن الاستراتيجي لغربي غير النافذة الجنوبيـــة ".

وهي اشارة يتبيّن منها ان مهمة هذا الجيش اليمني، بعد ان يثبت فعاليته في مواجهة الحركة الوطنية والتقدمية اليمنية، ستمتد . الى شواطئ الخليج العربي، لتشكل جزءا من المهمة الاستراتيجية الاعم التي وضعها الحلف الرجعي البترولي المسمى (مجلس التعاون الخليجي) هذا الحلف الذى تقف وراءه الامبريالية الامريكية، وتتزعمه الرجعية السعودية .

وعدا ذلك فان الصحيفة تلاحظ ان الاوساط الغربية تضع في حسبانها ان مهمة هذا الجيش – او بالاصح مهمة المؤسسة العسكرية المهيمنة عليه، ستتجاوز الخليج العربي الى المحيط الهندى، حيث جاء فيها :
"تبقى النظرة الاستراتيجية في بناء جيش يمني جديد محل اهتمام شغل فترة بعض خبراء الشئون العسكرية الغربية، نظراً لان اقامة جيش او شعب ذي طابع عسكري في هذه المنطقة له تأثير كبير في التوازن العسكري لدول الخليج والمحيط الهندي ".

وتلاحظ انه وان كان عدد هذا الجيش ليس كبيرا حتى الان الى حد انه يمكن ان يحدث تغييرا في هذا التوازن في هذه المنطقة الاستراتيجية الممتدة من الخليج الى المحيط الهندى، الا انه" على المدى البعيد ربما يكون له فاعلية اكثر، خاصة اذا اصبح مقبولا بصورة اساسية داخليا وخارجيا ".

وتنبه الى انه في جميع الاحوال فان هناك انطباعا لدى الوفود العسكرية والسياسية التي شهدت العرض العسكري بمناسبة ذكرى الثورة ان علي عبدالله صالح من خلال هذا العرض قد اقصح عمّا ينوي القيام به، وانه بذلك يمثل عهدا آخر ومتميّزا في حياة اليمن "على اية حال .. فقد شعر معظم الوفود العسكرية

Digitized by Birzeit University Library

والسياسية التي حضرت العرض العسكري للجيش اليمني الشمالي ان مرحلة جديدة من العمل السياسي في صنعاء قد بدأت ،وان ما اراد ان يقوله لهم الرئيس اليمني قاله من خلال هذا العرض. ولذلك فقد غادر اغلبهم صنعاء ،بعد حضورهم هذا العرض، دون استكمال بقية جدول الاحتفالات !".

اما عن عدد هذا الجيش ومدارسه وكلياته ومعاهده ووحداته وانشطته فان مقال صحيفة (السياسة) الكويتية يورد المعلومات التالية التي من الواضح انها لا تقدم احصائية كاملة ودقيقة عن وضعيّة الجيش: " وركّز علي عبدالله صالح(في بداية الطريق على زيادة عدد الجيش حتى وصل اليوم الى ما بين الـ ٦٠ الف والـ ٧٠ الف جندي في جميع وحدات الجيش. ومن خلال فتح باب التطوع في المدارس العسكرية والمعسكرات، بجانب اعلان قانون الدفاع الوطني، زاد عدد افراد القوات المسلحة. واهتم لذلك بانشاء مدارس متخصصة في الشؤون العسكرية كمدرسة التموين والصيانة، ومدرسة البحرية، ومدرسة الكيمياء، ومدرسة الموسيقى، واحدث تغييرا جوهريا في المناهج الدراسية التي تقدم للطلبة في المعاهد العسكرية العلمية لتاهيل الضباط فيمختلف التخصصات، واستحدث الكثير من المعاهد ومراكز التدريب في مجالات الامن واللغات وتطوير المعهد الاداري العسكري واتسعت انشطة المؤسسة العسكرية في مجالات استحداث سلاح للصيانة لاستكمال بناء تشكيلات القوات المسلحة والامن بجانب انشاء مكتب للتخطيط والتنظيم في القيادة العامة الذي يقوم بمهمة اعداد الخطوط والبرمجة لكل قنوات وانشطة الجيش، وكان الاهتمام مركزا في نفس الوقت بتطوير وتحديث سلاح المهندسين الذي يتولى الان مهام انشاء مناطق عسكرية، ويستعد لبناء بعض المطارات الحربية في مناطق عديدةداخل العاصمة وخارجها ، بجانب المساهمة في انشاء الطرق والمباني التي تحتاجها انشطة القوات المسلحة على المدى الطويل مستخدمة في ذلك عناصر وكفاءات يمنية تم تدريبها في الداخل والخارج ايضا . وما يلفت النظر في خطوات البناء للمؤسسة العسكرية اليمنيةهو الاهتمام البالغ بالدفاع الجوي. وجاءت خطوة انشاء كليةالطيران والدفاع الجوى ضمن استكمال قيام هذه المؤسسة، وتم قبول اول دفعة في هذه الكلية بعد ايام فقط من اعلان انشائها في يونيو ٨٠، ولان الدراسة فيها تمتد لثلاث سنوات فقد تخرجت لاول مرة في تاريخ القوات المسلحة اليمنية الدفعة الاولى من طلبة الكلية قبل ايام ...".

وينبغي ان نضيف هنا ، الى كل ما سبق ان المؤسسة العسكرية تعمل علىتعميم النزعة العسكرية بحيث تشمل ليس فقط اجهزة الدولة وانما حزب النظام ايضا : " المؤتمر الشعبي العام ، منهنا ادخال المفردات العسكرية الى قاموس السياسة. وبمقتضى ذلك يجب ان يسمى الموجّهون السياسيّون لحزب النظام ضباط التوعية السياسية، ذلك ـ كما جاء في خطاب رئيس النظام العقيد علي عبدالله صالح في الجلسة الختامية للدورة التأهيلية السياسية في الجهاز المدني التي عقدت بنادي ضباط الشرطة بصنعاء ما بين ٤ ـ ١٠ اكتوبر ١٩٨٣ ـ ذلك ان " كلمة الضباط لا ينبغي ان تظل محصورة فيما سمّي بضابط الجيش والامن ، فيجوز ان يسمى ضابط

Digitized by Birzeit University Library

التوجيه ضابطا "وان يسمى الوزير ايضا" ضابط
وزارة" الى آخر ما جاء في هذا الخطاب بهذا
الصدد (وكالة انباء عدن ـ الاستماع السياسي
١٩٨٣/١٠/١٠) .

هكذا يمكن القول ان البيروقراطية البرجوازية العسكرية في شمال اليمن تكرّس وتعمّق خط الردّة عن خط ثورة ٢٦ سبتمبر ، وتقيم ديكتاتورية عسكرية بونابرتية خطرة .

ان الشواهد على مثل حالة الارتداد هذه التي تقودها او تكرّسها الطغمة العسكرية شواهد كثيرة يمكن لمسها ليس في الوطن العربي وحده، وانما في القارات الثلاث كذلك .

ولكن ليس تحول العناصر الثورية في الجيش إلى بيروقراطية بورجوازية عسكرية ، او تكون بيروقراطية عسكرية لا ماض ثوري لها هو وحده السبب في حركات الردّة التي تقوم بها ،وانما تلعب الامبريالية والرجعية الخارجية ادواراً ملموسة في هذا الصدد .

غير ان ضعف الحركات الشعبية ، وعدم قدرتها على النفاذ الى اوساط الجيش، وانتساب موقع قدم ثابت ومتنام لها داخله ، يشكل احد الاسباب الذاتية والحقيقية لقيام الطغمة العسكرية اليمنية بانقلاباتها الرجعية العسكرية .

كم كان مؤلفو الكتاب الانف الذكر محقين عندما كتبوا : " وعلى الرغم من الاستقلال النسبي الذي يتمتع به الجيش فهو لا يتقدم نحو السلطة في اي وقت من الاوقات لاسباب فقط، ولصالحه فقط . فهو يبرز دوما كمعبّر عن مصالح فئات اجتماعية معينة وطبقات بأكملها ، او حتى كمعبر عن المصالح القومية للامة. فالجيش المصري مثلا حقق ثورة حقيقية في عام ١٩٥٢ ، واصبحت مجموعة الضباط السرية القليلة العدد معبّرا عن ارادة كل الشعب المصري ، واخذت على عاتقها مهمة تحرير البلاد من التسلط الامبريالي ، والاستبداد الاقطاعي الملكي. ولكن هذه الحالات ليست كثيرة . فمن بين جميع بلدان آسيا وافريقيا لم يصبح الجيش اداة للثورة الوطنية الديموقراطية الا في ستة بلدان فقط (بورما ، مصر ، اليمن ، العراق ،سوريا ، الجزائر) . وفي عدد اكبر بكثير من البلدان الافريقية والاسيوية يقوم الجيش بدور المدافع عن الانظمة المحافظة ، واحيانا الرجعية ، بل حتى الموالية للامبريالية. لذا فمن غير الصحيح ابدا التأكيدات التي انتشرت مؤخرا في الغرب ، والتي تغالي في كيل المديح لجيوش البلدان الافروآسيوية ، باعتبارها قوة ديموقراطية وثورية. ولكن بالمقابل لا يمكن القاء اللوم دوما على الجيش بسبب عدم وقوفه ضد الانظمة القائمة. لقد جرى التنويه بامكان الجيش ان يصبح طليعة للحركات الاجتماعية او ممثلا لها . ولكن من الصعب ان يتوقع المرء انتفاضة يقوم بها الجيش، اذا لم ينشأ في البلاد وضع ثوري، ولم تنضج بعد التغييرات . ويجب الاشارة ايضا الى انه ليس من السهولة بمكان على الرجل العسكري ان يخرق الانضباط وان يتحمل خطر المحاكمة من اجل رفع السلاح ضد القيادة العليا التي هي في اغلب الاحيان ضد التغيير لهذا فان الانقلاب العسكري بحد ذاته لا يمكن ان يكون المقياس الرئيسي لثورية الجيش او رجعيته. ان تعقد الظروف التي يتم في ظلها تكوين الدول الفتيّة يحول دون وضع مقاييس ضيقة ، وصيغ مبدئية " (ص٤٢٠ ـ ٤٢١) .

ان ابتلاع البيروقراطية البرجوازية

Digitized by Birzeit University Library

العسكرية للثورة التي تكون قد اسهمت في صنعها او حتى قيادتها قبل تبرجزها وتحولها الى مؤسسة عسكرية معزولة عن جماهير الشعب ومحافظة ، ان ذلك يؤكد ان قيمة الانقلاب العسكري الثوري ، وقدرته على التطور والتحول الى ثورة اجتماعية عميقة يرتبط بمدى افساحه المجال للحركة الجماهيرية للاضطلاع بمسؤوليتها حياله، وتحوله الى قاعدة سياسية منظمة راسخة له .

ان الردّات التي حدثت في مصر، وفي السودان، واليمن الشمالي، والصومال، والعراق مردّها الى ان الفئات العسكرية الثورية لم تفسح المجال امام الحركة الجماهيرية، ولم تعط الديموقراطية السياسية للشعب لكي يتنظّم، ويتحوّل الى سياج للثورة، واداة قيادية لها .

ان ذلك قد قاد الى ان البعض منها سقط بانقلاب الجناح اليميني في الجيش عليه، والى ان البعض قد تبرجز وتبقرط، وتحول من ثم الى قوة رجعية معطّلة لحركة الثورة، بل وقوة ارتداد بها .

ان نجاح الثورة ومضيّها المطّرد إلى الامام، يرتبط اذن بمدى ارتباط الجيش بالحركة الجماهيرية، وتحوله الى اداة سياسية في يد الحركة الوطنية والشعبية، والى قوة ثورية من قواها الثورية .

ولقد نبّه لينين "إنه لا يمكن ان يكون هناك نضال جاد، ولا ثورة حقيقية ، اذا لم تصبح الثورة ذات طابع جماهيري، واذا لم تشمل جماهيريتها هذه الجيش الذي يتكون في معظمه من الفلاحين".

وتلك هي مهمة الحركات الوطنية والاحزاب الثورية ، مهمتها في النفاذ الى الجيش وفي استقطاب اكبر قطاع منه الى جانبها .

وذلك هو التحدّي الذي تواجه الحركة الوطنية اليمنية، اذ أن أي محاولة تغيير تقوم بها او تفكر في القيام بها، قبل اكساب صفوف واسعة من الجيش ، وتحويلها الى رؤوس جسور للانقضاض على نظام صنعاء البونابرتي ، لن يكتب لها النجاح .

ولدى الحركة الوطنية اليمنية رصيد كبير من التجارب يؤكد هذه الحقيقة .

وقبل لينين نبّه انجلز إلى أن اي ثورة او حركة ثورية لا تكسب القوة المنظمة، وهي الجيش، ولاتكسب القوة غير المنظمة. وهي الجماهير، هي ثورة فاشلة، وحركة ثورية خاسرة .

وضرب مثلا في هذا الصدد البورجوازية الالمانية التي من جهة " كانت تطالب بالسيادة السياسية لنفسها حصرا ، أي لوزارة منتخبة من الاغلبية البرلمانية في المجلس، والحال ان وزارة كهذه ستضطر الى النضال خلال عشر سنوات ضد النظام القديم الذي يمثله التاج قبل ان تحظى السلطة الجديدة بالاعتراف نهائيا " وكانت البرجوازية "تطالب من جهة اخرى بتحويل المانيا تحويلا ثوريا ، يجري عن طريق العنف فقط، وبالتالي بواسطة الدكتاتورية الفعلية فقط. بيد ان البرجوازية كانت تقدم البرهان ، ابتداء من سنة ١٨٤٨ المرة تلو المرة، في كل لحظة حاسمة ، على انها تخلو من أي اثر للعزيمة الضرورية لتطبيق واحد على الاقل من هذين المطلبين، وبالأحرى لتطبيق الاثنين. ففي السياسة لا يوجد غير قوتين فاصلتين : القوة المنظمة للدولة، الجيش، والقوة غير المنظمة، أي القوة العفوية للجماهير الشعبية. وقد فقدت

Digitized by Birzeit University Library

البرجوازية في سنة ١٨٤٨ عادة
الاتحاد بالجماهير. وكانت تخشى الجماهير
اكثر ما تخشى الحكم المطلق . اما الجيش
فلم يبق البتة تحت تصرفها ، بل كان بالطبع
تحت تصرف بيسمارك (١٢) .

قبل تعدو الحقيقة اذا ما قلنا اليوم ان
البرجوازية الوطنية اليمنية كما لم تكسب
الجيش الذي اطلق شرارة ثورة ٢٦ سبتمبر عام
١٩٦٢ لم تكسب ايضا الجماهير اليمنية ، مما
فسح المجال لظهور بيسمارك يمني صغير تمكّن
من وضع الجيش تحت تصرّفه ، ويريد فوق ذلك
كسب الجماهير الى جانبه ، ولو باستخدام
بعض الاساليب الدعائية الديماجوجية .

ان ما عجزت البرجوازية الوطنية عن
تحقيقه ، هو ما يواجه قوى الثورة اليمنية
الجذرية ، الوطنية ، والديموقراطية ، والاشتراكية
، ممثلة بالدرجة الاولى في الحزب والجبهة .

ذلك هو التحدّي الراهن والمستقبلي :
كسب القوة المنظمة ممثلة في الجيش ، وكسب
القوة غير المنظمة ، ممثلة في القوّة العفويّة
للجماهير الشعبية ، وتحقيق الوحدة بينهما ،
وحدة الجيش والشعب .

بذلك يثبت الحزب والجبهة انهما الخيار
البديل والوحيد القادر على قيادة الشعب
والجيش في طريق اقامة نظام وطني
ديمقراطي في شمال الوطن ، وطريق اقامة
اليمن الديموقراطي المتحرر الموحد ، وطريق
اقامة اليمن الديموقراطي الاشتراكي .

" انتهـــى "

الهوامـــش :

==========

(٩) ماركس ـ انجلس ، منتخبات في ثلاثة مجلدات ، المجلد الاول ، الجزء الثاني ، دار التقدم موسكو ١٩٨٠ ص ١٤٤ .

(١٠) المصدر السابق ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(١١) نفس المصدر السابق ص ٢٨٢ .

(١٢) ماركس ـ انجلس ، منتخبات في ثلاثة مجلدات ، المجلد الثالث ، الجزء الثاني ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨١ ، ص ٢٦٠ .

Digitized by Birzeit University Library

الاعلام الامبريالي ومضمونه الطبقي

ترجمة : قسم الترجمة في الكاتب

لم يمض وقت طويل على ظهور الصحف في انحاء العالم وانتشارها حتى استغل العالم الرأسمالي الاعلام ووسائل النشر كسلعة تشترى وتباع. كما قام اصحاب الصحف والمجلات (ولاحقا اصحاب محطات الاذاعة وشركات التلفزيون) باستعمال المعلومات وتجييرها لمنفعتهم الاقتصادية والسياسية .

وبالطبع (بطبيعة الحال) يخطئ المرء اذا ظن ان كل ناشر يعمل عامدا متعمدا على تضليل الحقائق . ولكن الحقيقة تبقى في ان الملكية الخاصة لوسائل نشر المعلومات كما اشار لينين تسهل موضوعيا عملية : "تضليل وافساد وخداع الفقراء ،أى الشعوب المضطهدة والمستغلة، يوميا دون انقطاع وبشكل منتظم ، ،من خلال اصدار وتوزيع ملايين النسخ"

ان عملية تشويه صورة العالم في نظر القراء من خلال تدفق الاخبار اليومية التي تصيغها الدعاية الغربية وتصبها فوق رؤوس الاف الملايين، لهي خطوة سياسية متعمدة تهدف منها الطبقات المستغلة " بكسر الغين) تثبيت وادامة سيطرتها على الجماهير عن طريق زرع العداوة والكراهية للاخرين وصرف انتباهها عن النضال من اجل حقوقها . وتعتبر عملية التشويه تلك مظهرا لسياسة تعرف باسم " عملية امبريالية الاعلام" والتي خلاصتها هي انتاج ضخم من الدعاية الامبريالية .

أدخلت فكرة (notion) في القاموس السياسي العالمي خلال العشر سنوات الاخيرة الماضية. ومن اوائل الذين استعملوا تعبير "امبريالية الاعلام" اورهو كيكونين رئيس جمهورية فنلندا في حينه، والذى اشار الى ان ثلثي المعلومات والانباء التي تنشر في العالم ، مصدرها الاصلي هو المجمع الامريكي للاعلام والدعاية الذى يشكل العمود الفقرى للاعلام الجماهيرى التابع للامبريالية العالمية

ان وكالات الانباء الغربية تحظى بدون شك (بسيطرة) كاملة على سوق الاعلام العالمي خـارج نطاق الدولة الاشتراكية .

وتدل احصائيات اليونسكو على ان هذه

Digitized by Birzeit University Library

الوكالات تسيطر على ٨٠–٩٠٪ من المعلومات التي توزع في الدول غير الاشتراكية. وفي الدول النامية تسيطر هذه الوكالات على مراكز تربة حيث تلعب دور العميل للاستعمار الجديد وتقوم يدا بيد مع الوسائل الاخرى للاعلام الغربي ببث ونشر الفكر المدمر الموجه ضد الدول حديثة التحرر.

هذا وقد ذكر تقرير اليونسكو الدور المسيطر للولايات المتحدة من حيث الانتاج الاعلامي لمحطات الاذاعة والتلفزيون، كذلك السيطرة الكاملة في مجال صنع وتسويق المعدات الفنية للاتصال الجماهيري.

وتقوم الدول الرأسمالية المتطورة وعلى رأسها الولايات المتحدة بصب المعلومات في اطار الاعلام الموجه سياسيا لخدمة مصالحها الذي يوزع الى العالم اجمع بما فيه الدول حديثة التحرر.

خلية مركزة الصحافة

في بداية هذا القرن، كانت ٩٥٪ من مجموع الصحف والمجلات في الولايات المتحدة، (مقدمة الدول الرأسمالية) عبارة عن مشاريع رأسمالية مستقلة. وبالتدريج أخذت خلية تكثيف ومركزة الانتاج الى جعل الاعلام (الجماهيري) ملحقا للاحتكارات.

ظهرت اول شركة اعلامية احتكارية في التاريخ عام ١٨٧٨ في الولايات المتحدة وهي شركة "سكريبس"، وتلتها بفترة وجيزة شركة هيرست، ثم مكروميك وباترسون وغيرهم. تحتكر اليوم اكثر من ٥٠٪ من مجموع المطبوعات والنشرات الدورية في الولايات المتحدة تعود ملكيتها الى كبريات الشركات "حسب تعبير اليونسكو، التي تضم العديد من الصحف والمجلات والتي تقع تحت سلطة هذه الشركات الاحتكارية. هذا وقد ورد في احدى الوثائق التي، قدمتها اليونسكو عام ١٩٤٥ بأن عدد "شركات الصحف" في الولايات المتحدة التي تضم ما بين ٨–٢٠ صحيفة يومية يملكها شخص واحد قد ارتفع عددها من ٦٠ الى ١٦٥ شركة. وتسيطر هذه الجماعات على اكثر من ٦٠٪ من مجموع الصحف اليومية التي تنشر في الولايات المتحدة.

كما نجد انه على مر الخمسين عاما الماضية انخفض عدد الصحف اليومية في الولايات المتحدة بشكل واضح بينما ارتفع عدد شبكات الصحف بنسبة ٥ره اضعاف وعدد الفروع الصحفية داخل هذه الشبكات قد ١ (ارتفع) بنسبة سبعة اضعاف.

ونلاحظ ان نسقا مشابها قد حدث في الدول الرأسمالية الاخرى، فمثلا في بريطانيا تسيطر تسعة صحف يومية من اصل ١١١ صحيفة على ٦٠٪ من مجمل التوزيع ويقوم القطب المالي، الصحفي روبرت ميردوك (والذي بالمناسبة كان قد منح الجنسية الامريكية عام ١٩٨٥). بصياغة "النغمة" داخل سوق الانباء البريطاني. اما في فرنسا فان المراكز الحساسة في مجال الاعلام الجماهيري فتسيطر عليها شركة "خيرسين" الاحتكارية والتي تضم ١٨ صحيفة يومية وتسعة صحف اسبوعية اضافة الى عشرة نشرات متخصصة.

وفي المانيا الغربية تعود ملكية اكثر من نصف مجموع الصحف والمجلات الغربية الى عشر شركات تجارية. ان عملية مركزة الاعلام

Digitized by Birzeit University Library

في المانيا الغربية قد عملت على تخفيض عدد الصحف المنشورة في معظم الاقاليم الى صحيفة واحدة. اما الصحف الاخرى فبعضها قد توقف عن العمل بسبب المنافسة الشديدة والبعض الاخر قد ابتلع من قبل تلك الصحف المنافسة .

ان تأثير هذه الاحتكارات على الصحافة يكون فقط من خلال الشركات الاحتكارية المتخصصة او شركات الصحف انما يكون التأثير ايضا مباشرة . وكما ذكرنا سابقا فان الوثيقة الصادرة عن اليونسكو توضح بأن عملية مركزة الاعلام تسير متوازية مع ظهور استقطاب القطاعات المتشابهة متنوعة في الوقت الذى تدمج فيه النشرات الدوريةمع وسائل الاعلام الاخرى وتسيطر فيه الشركات الصناعية والبنوك على الصحافة والاعلام .

اما في الولايات المتحدة فان افرادا ومجموعات مختلفة من اصحاب الصحف والناشرين يمتلكون حوالي ٦٥٠ محطة اذاعية و ١٩٠ محطة تلفزيونية في آن واحد. فنجد انه في ٦٠ موقع مختلف ،يدير اصحاب الصحف محطات تلفزيونية خاصة بهم وتغطى تلك المنطقة وفي ٢٠٠ موقع آخر يمتلك اصحاب الصحف محطات اذاعية خاصة بهم .

أما في بريطانيا فمنذ بداية السبعينات تمكنت ٥ شركات من السيطرة على ٧١ ٪ من التوزيع الكامل للصحف اليومية، وعلى ٧٤٪ من مجموع الذين يشاهدون شبكات التلفزيون الدعائية الخاصة، وعلى ٧٨ ٪ من مجموع بيع تذاكر السينما و ٧٠ ٪ من مجموع مبيعات الكتب و ٦٥٪ من مبيعات الاسطوانات .

وهنالك شكل آخر من السيطرة الاحتكارية على الصحافة والاذاعة والتلفزيون والذى يتم عن طريق الاعلانات المدفوعة التي تعمل على ترويج منتوجات الشركات الاحتكارية . الطريف في الامر ان ميزانيات الصحافة والنشر تعتمد بالاساس على هذه الاعلانات . ذلك ان مجمل مدخول الاعلانات يفوق بكثير مدخول مبيعات الصحف والمجلات نفسها . بالتالي فان معظم المطبوعات والنشرات الدورية في الغرب كان من الممكن ان تفلس لولا التحويلات المالية التي تجنيها من الاعلانات. واضح اذن كيف ان الاعلانات التي تسيطر عليها الشركات الكبيرة واسعة النفوذ ، هي اداة في ايديهم لممارسة الضغوطات السياسية واداة للسيطرة على الناشريـــن .

وتفيذ اليونسكو بأن المصاريف السنوية للدعاية والاعلانات في الدول الغربية تقدر حاليا بحوالي ٦٤٠٠٠ مليون دولار، وهذا المبلغ الضخم يدر ارباحا هائلة تفوق في قيمتها ارباح اى قطاع آخر في الاقتصاد . ومعظم المبلغ المذكور اعلاه يصرف في الولايات المتحدة، ومع ذلك فان الارباح التي تعود على الدول الرأسمالية الاخرى (بريطانيا ،فرنسا ، المانيا الغربية، اليابان ، وكندا) هي الاخرى مبالغ لا يستهان بها ، حيث تجني كل واحدة من هذه الدول اكثر من ١٠٠٠ مليون دولار سنويا .

وفي الولايات المتحدة تصل الارباح "المدخولات" التي تجنيها شركات الاذاعة والتلفزيون الى حوالي ١٠،٠٠٠ مليون دولار، وفي بعض شركات الاذاعة والتلفزيون في الولايات المتحدة وامريكا الجنوبية يصل دخل الاعلانات الى حوالي ١٠٠٪ من مجمل الميزانيـــة .

Digitized by Birzeit University Library

رأسمال الدولة المحتكرة والاعلام
(وعلاقته بالاعلام)

من الطبيعي ان تؤثر عملية امتزاج الاحتكارات بجهاز الدولة التابع للقوة الامبريالية مرفقة بظهور رأسمالية الدولة State monopoly Capitalism المحتكرة تأثيرا جذريا في مجال وسائل الاتصال.

وقد بدأت الحكومات المختلفة في الغرب بالتدخل تدريجيا بشؤون الصحافة والاذاعة والتلفزيون. وكان الهدف الاساسي لهذا التدخل هو التأثير على الرأي العام والاستمرار في خداع الجماهير على نطاق البيت وخارجه، من اجل تحريض وسائل الاعلام ضد الاشتراكية وحركات التحرر الوطني.

وتبرز بوضوح آلية تدخل الدولة المحتكرة في مجال الاعلام والاتصال في الولايات المتحدة، حيث انه قبل نهاية الحرب العالمية الثانية خطى رئيس الولايات المتحدة هاري ترومان الخطوة الاولى نحو تأسيس نظام متكامل من الاجهزة الحكومية والتي تضطلع بمهمة السيطرة على تحضير وتوزيع (ونشر) المواد الدعائية التي تدعم سياسة الاحتكار. وفي عام ١٩٥٠ قام هاري ترومان بصياغة فكرة الهجوم الاعلامي الامريكي بقوله "ان العالم يجب ان يصغي لما يقوله الامريكيون" وأعلن بأن تلك المهمة لا تقل شأنا عن العناصر الاخرى التي تكون السياسة الخارجية للولايات المتحدة حيث انها جزء لا يتجزء من تلك السياسة.

وفي ذلك العام وافق الكونجرس الامريكي على زيادة مخصصات الدعاية الخارجية الى ثلاثة اضعاف ما كانت عليه. تلك كانت بداية تأسيس وكالة الانباء الامريكية USIA. كما قام المسؤولون في الادارة الامريكية بتحريض الاعلام على تكثيف الحملة الواسعة ضد الاتحاد السوفييتي. وقد اشتكى جون فوستر دالاس، وزير الخارجية آنذاك من ان الولايات المتحدة تصرف القليل القليل في مجال "حرب الافكار". وقد ساعد اهتمامه ذلك على دفع (مديري المسرح) المتخصين بالحملة الصليبية الفكرية" على بناء قاعدة قوية الاساس للاستعمال من قبل المجمع الرسمي للاعلام والدعاية الامريكي (IPC)). وتبلغ نفقات هذا المجمع في يومنا هذا حوالي ٥٠٠٠ مليون دولار تصرف على نشاطات خارج الولايات المتحدة يقوم بها موظفون يفوق عددهم الـ ٣٥٠,٠٠٠ موظف (يعملون في ذلك المجال).

وفي الاول من آب عام ١٩٥٣ اتخذ الكونجرس الامريكي قرارا رسميا بجعل وكالة الانباء الامريكية في المقدمة لنشر فكر الاستعمار الجديد. وقد كتب الباحث الامريكي ثيودور سورينسين لاحقا بأن تلك الوكالة قد صعدت حملتها بالارتباط مع تقلبات الحرب الباردة.

وعندما اصبح جيمي كارتر رئيسا للولايات المتحدة، قام بأعادة تنظيم وكالة الانباء الامريكية وأدخل تغييرا على اسمها فأصبحت الوكالة العالمية للاتصال (ICA) واصبحت بعض الوحدات في وزارة الخارجية بما فيها برنامج التبادل الثقافي، جميعها تم تسليمها الى الوكالة الرئيسية للدعاية الاجنبية (في الولايات المتحدة) والى جانب توسيع

Digitized by Birzeit University Library

الدعاية من خلال المحطات الاذاعية قامت الوكالة العالمية للاتصال بزيادة عدد التقارير التي تنشر في الاعلام الخارجي الى حوالي ١٢٠٠٠ كلمة في اليـــوم .

هذا وتقوم الوكالة العالمية للاتصال بتوزيع خدماتها من انباء واخبار عن طريق التلغراف وعن طريق التصريحات الرسمية الصادرة عن الحكومة الامريكية الى جانب الكتب والكراسات التي توزع جميعها على نشرات خارج الولايات المتحدة. وبلغ عدد النشرات التي توزع عليها الوكالة العالمية للاتصال ٢٧٠٠ نشـرة .

وقام الرئيس اللاحق رونالد ريغن باعادة الاسم الاصلي للوكالة فاصبحت الوكالة العالمية للولايات المتحدة. وسوف تسجل ميزانية هذه الوكالة في السنة المالية ١٩٨٦ رقما قياسيا يصل الى ٩٧٤ مليون دولار. ويصرف معظم المبلغ المذكور على فروع هذه الوكالة في الدول الاخرى، حيث يبلغ عدد الفروع ٢١٤ مكتبا خارجيا في ١٢٩ دولة. وينفق الباقي على التوسع التقني لاعادة تجهيز خدمات تلك الوكالة في الولايات المتحدة وخارجها .

وتتقاسم الوكالة العالمية للاتصال مهمة صياغة وتشكيل الرأي العام والتأثير عليه في اطار البيت وخارجه مع وكالة الاستخبارات الامريكية CIA التي تعتبر جهازا حكوميا اخر يسير في نفس المسار .

والى جانب استغلال الفرص التي تقدمها الوكالة العالمية للاتصال تتمتع السي .أي.ايه باساليب خاصة بها وتدل التقارير المنشورة في الصحافة الامريكية على ان هذه الوكالـــة (سي.اي. ايه) قد قامت ببناء شبكة دعائية عالمية تقوم بتزويد الصحافة ومحطات الاذاعة والتلفزيون بكميات هائلـة من المعلومات المغلوطة الكاذبة ودور السي.اي.ايه. هنا هو شن حملة من "الدعاية السوداء" و"الدعاية الرمادية" الى جانب اعاقة (صد) عملية التخلص من استعمار وسائل الاعلام في الدول النامية .

اما القناة الاخيرة التي تمارس من خلالها الدولة المحتكرة الرأسمالية (الولايات المتحدة) تأثيرا على الرأى العام في مجال الاعلام فهي وزارة الدفاع الامريكية. وتشير الصحافة الاجنبية الى ان منشورات البنتاجون الخاصة به تحتوى على اكثر من ١٠٠ صحيفة وحوالي ٤٠٠ مجلة اضافة الى نشرات اخرى متنوعة . ويصل مجموع توزيع هذه المواد الى اكثر من ١٢ مليون نسخة يوزع معظمها على العاملين في جهاز الحكومة والجيش (Service men) علما بأن القيادة الحربية العليا تحاول التأثير على القراء بدون استثناء . والدليل على ذلك هو ان جهاز الدعاية التابع للبحرية الامريكية يقوم بتوزيع اكثر من ١٫٠٠٠ تصريح صحفي وعشرات الالاف من الصور على القطاع المدني من الاعلام .

وعلى مر العشرين عاما الماضية زادت مصروفات البنتاجون على الدعاية الخارجية الى ١٥ ضعف. ونتيجة لذلك، اصبح البنتاجون اكبر جهاز للاعلام في العالم اجمع واصبح ايضا جهازا منظما غرضه التلاعب بوعي القراء، كما اشار الباحث الامريكي هيربيرت شيرليـر .

ان الهجمات التي تشنها القوى الغربية من خـلال صحافتهـا واذاعاتها ومحطات

Digitized by Birzeit University Library

المقربون ضد الدول الاشتراكية والدول النامية تتم بالتنسيق مع مكتب الخدمات الاطلاعية التابع لحلف الشمال الاطلسي، حيث تسيطر (القيادة) الحربية للولايات المتحدة على المراكز الرئيسية داخل ذلك الحلف. وبهذا يسخر المجمع الامريكي للدعاية والاعلام أجهزة الترويج والدعاية في الدول الامبريالية الاخرى لخدمة مصالح الولايات المتحدة.

شركات الاتصال الاحتكارية فوق القومية
Trans national

وتضطلع هذه الشركات في المرحلة العالمية بمهمة تثبيت عملية التوسع الرأسمالي وتدل تسمية هذه الشركات على ان طبيعة عملها لا تقتصر على اطار دولة واحدة انما تمتد عبر العالم الرأسمالي بأجمعه. علما بأن مقر الرئاسة لمعظم هذه الشركات هو الولايات المتحدة.

وقد ورد في برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي بأن تعزيز قوة الشركات فوق القومية والتي تجني ارباحا هائلة عن طريق استغلال العمال على مستوى عالمي، هو نتيجة مباشرة لعملية مركزة الرأسمال وتدويل الانتاج. فهذه الشركات لا تكتفي بعملية خضعة سيادة الدول حديثة التحرر بل لا تتردد في تخطي المصالح الوطنية للدول الرأسمالية الغربية المتطورة (٧) وقد بلغ تعداد هذه الشركات في نهاية السبعينات الى اكثر من ١١٠٠٠ شركة لديها ٨٢٠٠٠ فرع خارجي. وكانت حينها تسيطر على اقتصاد المستعمرات السابقة مثلما كانت تسيطر على اقتصاد الدول الغربية.

كما كانت هذه الشركات تمتلك ما يقارب ٤٠٪ من الانتاج الصناعي في الدول النامية وحوالي ٥٠٪ من التجارة الخارجية.

وبطبيعة الحال لم يكن بالامكان ان تغفل هذه الشركات اهمية مجال رئيسي مثل طرق الاتصال وكما ورد في تقرير مكبرايد فان توسع نشاطات هذه الشركات في مجال الاتصالات يؤثر على السوق العالمي كما يؤثر على التجارة والتوظيف وحتى على استقرار واستقلال بعض الدول.

هذا وقد اشار مؤلفو التقرير الى ظاهرة فوق ـ القومية في مجال الاتصال حيث انه في ذلك المجال كما هو الحال في القطاعات الاخرى للاقتصاد فوق القومي (كالعمليات المالية والصناعية) توجد مراكز تسيطر على عملية الانتاج والعمليات الخدماتية والسوق الخارجي الذي تزوده بالمعلومات.

وقد ثبت هذا الاستنتاج في دراسة اليونسكو التي قام بها دينيس بيجوين عام ١٩٨٣ والذي يشغل منصب عضو في المركز العالمي لشؤون المالية والاقتصادية في جامعة مارسيليا (فرنسا). فقد قام بتحليل النشاطات التي تقوم بها ١٩٨٠ شركة فوق قومية، ووصل الى استنتاج يؤكد بأن سوق الاعلام يدار ليس فقط من قبل شركة واحدة متخصصة في مجال الاعلام والاتصال، انما تديره ايضا شركات الاحتكار الصناعية البحتة. وبمعنى آخر ليس من الضروري ان يستعمل رأس المال الاحتكاري دائما لخدمة الشركات فوق القومية في مجال تخصصها، اي التأثير على الرأي العام، انما وفي كثيرمن الاحيان تعمل مباشرة بغض النظر عن مجال تخصص هذه

Digitized by Birzeit University Library

الشركات سواء كان في الالكترونيات او في صناعة استخراج المعادن او الهندسة الكهربائية او انتاج الاسلحة اواي تخصص آخر.

وتدل المعطيات في دراسة بيجيوين على ان ٨١ شركة فوق قومية تسيطر لوحدها على ٧٥٪ من محصول انتاج وتوزيع الانباء العالمية

ان وكالات الانباء العالمية والتي تزود معظم الانباء للصحافة والاذاعة والتلفزيون في الدول المختلفة هي مشاريع تجارية تعود ملكيتها للشركات الكبيرة فوق القومية. واكثر هذه المشاريع نفوذا هي الاسوشيتيد بريس والصحافة العالمية المتحدة UPI وروبتر (ووكالة الانباء الفرنسية) فرانس بريس وتقوم جميع هذه الوكالات بتجميع المعلومات وتوزيعها على مدى الاربع والعشرين ساعة (يصل مجموع هذه التقارير الى بضعة ملايين كلمة) توزع على حوالي ١٠٠ دولة مشتركة. كما تدير هذه الوكالات فروعا ومحطات مراسلة في جميع القارات .

أما عالم الاجتماع البريطاني بويد ـ باريت وام بالمير من المركز الوطني الفرنسي للابحاث، فقد قاما بتحليل نشاطات وكالات الانباء فوق القومية في كتاب مستندين الى مواد مأخوذة من الواقع وعلى نطاق واسع. وقد اشار المؤلفان الى النشاطات ذات الصبغة العالمية لهذه الشركات والى السرعة التي تقوم فيها بجمع وتنسيق ونشر الانباء . ويصل المؤلفان الى الاستنتاج بأن هذه المعلومات توجه بشكل رئيسي نحو تدعيم" القيم الحضارية والاجتماعية للطبقات الحاكمة" بهدف " مساعدتها في السيطرة" على الجماهير. ومما يلفت انتباه القارئ في هذا التقرير الاعتراف الذى ورد على لسان الباحثين ومفاده ان وكالات الانباء تلك غالبا ما تكون على علاقة وثيقة بأجهزة المخابرات في الدول الغربية .

ويحتوى الكتاب على ارقام تظهر منهاج عمل تلك الوكالات. ففي اوائل الثمانينات بلغ عدد مراسلي وكالة الاسوشيتيد بريس ٦٥٧ مراسلا في الخارج و ٤٤١ مراسل لوكالة الانباء الفرنسية، اما رويتر فكان نصيبها ٤٠٠ مراسل ٣٤٪ من مجموع هؤلاء المراسلين كانوا معتمدين في امريكا الشمالية ، و٢٨٪ منهم في اوروبا و ١٧٪ في آسيا وجزر المحيط الهادئ و ٦٪ في الشرق الاوسط بينما كان ٤٪ منهم فقط في افريقيـــا .

وتظهر هذه الارقام بوضوح بأن الوكالات الغربية تعتبر ان الدول النامية ليست سوى مصدرا ثانويا للمعلومات ، وهي لذلك تركز عملية جمع الانباء بشكل رئيسي على الدول الرأسمالية المتطورة .

اما الباحث الامريكي ويليام ريبد الذى كان يشغل منصب مدير الفرع الاقليمي في شرق آسيا التابع لصوت امريكا ، فانه يقول بأن شركات الاعلام الاحتكارية فوق ـ القومية قد ثبتت جذورها في الدول المختلفة الى حد يمكن ان نصف وجودها هناك بانه " كلية" "حضور كامل". وحسب تقديراته فان الاسوشيتد بريس والصحافة العالمية المتحدة تحاولان معا استيعاب اكثر من ١٠٠٠ مليون نسمة في بؤرة واحدة تقومان من خلالها بتقييم الاحداث العالمية .

وقد ادت تلك الهيمنة الغربية الى وجود (تباين كبير) في المصادر وفي وسائل الاتصال وفي التداول العالمي للانباء. نذكر هنا بعض الارقام التي ذكرت اثناء اجتماع لرجال

Digitized by Birzeit University Library

الصحافة والذى عقد في سرى لانكا عام ١٩٧٧ .

تبث الاسوشيتد بريس عبر قنواتها من نيويورك الى آسيا معدل ٩٠,٠٠٠ كلمة في اليوم بينما يصل عدد الكلمات عبر نفس القنوات في الاتجاه المعاكس الى ١٩٠٠٠ كلمة يوميا .

اما الصحافة العالمية المتحدة فتبث بدورها من نيويورك الى آسيا ما يقارب ١٠٠,٠٠٠ كلمة يوميا وتستقبل من آسيا ما بين ٤٠ الف الى ٤٥ الف كلمة في اليوم .

وهنالك دراسة اخرى حول مضمون البرامج التلفزيونية في واحد وتسعين دولة نامية وتشير هذه الدراسة الى ان البرامج المستوردة تستحوذ على ٣٠ الى ٧٥٪ من مجموع البرامج التي تبث عبر محطات التلفزيون المحلية .

اما عن توزيع المطبوعات والنشرات الدورية في الصحافة العالمية فان المعطيات الاحصائية تشير ايضا الى تباين في ملائمة المتطلبات الاعلامية للجمهور في المناطق المختلفة . فمثلا نجد انه في بداية الثمانينات وصل عدد نسخ الصحف اليومية في الدول المتطورة الرأسمالية الى ٣٢٤ صحيفة لكل ١٠٠٠ شخص بينما كان نصيب الدول النامية اقل بكثير : ٩٥ صحيفة في امريكا اللاتينية و ٧٠ في آسيا و ٢٠ في افريقيا لكل ١٠٠٠ شخص .

امبريالية الاعلام وعلاقتها بالنشاطات الهدامة

ان امبريالية الاعلام لا تعني فقط التفوق التقني في مجال الاعلام الغربي او استخراج الارباح من الدول النامية انما هي ايضا توسع الفكر الغربي ورغبة قوية لامتهان الاستقلال السياسي والخصوصيات الثقافية للدول والشعوب الاخرى .

نورد فيما يلي بعض المظاهر المادية "لامبريالية الاعلام" :

× مركزة الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة والتلفزيون اضافة الى وسائل النقل الاخرى ، ووضعها تحت سيطرة بضعة شركات متخصصة تتمتع بنفوذ واسع .

× النفوذ المباشر للاحتكارات متعددة الصناعات على نطاق لا يستهان به من وسائل الاعلام والتسهيلات والتجهيزات في مجال الاتصالات .

× التدخل المكشوف من قبل اجهزة رأسمال الدولة الاحتكارية بما فيها آليات الدولة (والتي تسيطر عليها الاحتكارات) في مجال الفكر والاعلام .

× ظاهرة الشركات فوق القومية التي تعمل في مجال الاعلام والتي تغلب عليها صفة السيادة التامة على مستوى سوق الانباء العالمي .

× الاستعمال دائم التوسع للمعلومات المغلوطة من قبل الصحافة ومحطات الاذاعة والتلفزيون الغربية من اجل توفير دعم للدعاية وترويج للسياسة الامبريالية التي تستعمل على نطاق محلي وخارجي .

ويلقي التصريح الفظ الذي ادلى به ايه. سيلفيستر ضوءا اخرا على ظاهرة " امبريالية الاعلام" . هذا وقد كان الاخير يشغل منصب مساعد وزير الدفاع لشؤون العلاقات مع الاعلام في الولايات المتحدة ." ان الحكومة الامريكية تمتلك حقا غير منقوض في الكذب" .

Digitized by Birzeit University Library

هذا ماأعلنه الموظف الامريكي ذو المكانة المرموقة. وأضاف قائلا اذا ظن احدكم ان اى موظف رسمي في الولايات المتحدة سوف يقول الحقيقة فانتم ببساطة تخدعون انفسكم

ان سياسة " امبريالية الاعلام" موجهة ضد جميع الدول والشعوب بما فيها الجمهور الغربي والذى يتم تزويده بمعلومات مغلوطة يوما بعد يوم. كما تهدف هذه السياسة الى توجيه اقوى افتراءاتها الى السياسة الاشتراكية والدول النامية ونضال الشعوب من اجل الامن والسلام.

وبالرغم من ذلك فان الدول النامية هي التي تعاني اكثر من غيرها من "امبريالية الاعلام" ذلك ان المفاهيم الغربية والتي تدعي بانها تعتمد على " حرية سريان تيار الاعلام" انما هي في الحقيقة تقتصر على اتجاه واحد للافكار والانباء. ويسير ذلك الاتجاه من الدول الغربية الى مستعمراتها السابقة التي تفتقر الى الوسائل والمقدرة على تحويل تيار المعلومات الى تيار ثنائي الاتجاه.

وقد صدر في نشرة الانباء الناطقة باسم الدول غير المنحازة والتي تصدر في دلهي (الهند) مقالا في سياق قضية الاعلام اوضحت فيه ان القوى الامبريالية تعمل على اعاقة تطور ونمو الثقافة الوطنية في الدول الاسيوية والافريقية واللاتينية. وتعجز هذه الدول عن تحقيق التقدم الثقافي الحقيقي طالما بقيت الدول الغربية محتفظة بهيمنة كاملة على الاعلام .

أما ناشيونال هيرالد الصادرة في الهند فقد اشارت بدورها الى استخدام الاعلام الغربي سيادته المطلقة في مجال سوق الانباء الدولي بهدف الاستغباء الفكري والايديولوجي في الدول النامية .

وهكذا يتضح لنا ان "امبريالية الاعلام" لا تقتصر فقط على مركزة الاعلام بوسائله المختلفة في ايدى بضعة كبار ملاكي الصحافة. لكنها ايضا تعني تدخل رأسمال الدولة المحتكرة في شئون الصحافة والاذاعة والتلفزيون. وهي اضافة الى ما ذكر عملية مختصة لتحريف الحقائق على مستوى عالمي تؤثر بشكل خاص على الدول حديثة التحرر.

ان " امبريالية الاعلام" تهيئ قاعدة من اجل تكثيف ما يعرف بالحرب النفسية، وهي كذلك رأس الحربة ضد العالم الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية وحركات التحرر الوطني والحركات الجماهيرية الديموقراطية. ان المحافل الامبريالية الرجعية والتي تقودها الولايات المتحدة قد كثفت محاولاتها الهادفة الى فرض افكارها على شعوب العالم عن طريق الاعلام والدعاية. وتهدف هذه المحافل الى خلق غطاء بهدف صرف الانتباه عن خطها الواضح في سياستها الخارجية والتي تتميز بصفة عسكرية (حربية) . وفي نفس الوقت تعمل على الطعن بسياسة السلم التي يضطلع بها الاتحاد السوفييتي وأسرة الدول الاشتراكيـــة .

هذا وقد صرح ميخائيل جورباتشوف في اجتماع دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي المنعقد في نيسان عام ١٩٨٥ بما يلـي :

" ليس هناك حاجة لوجود رؤية سياسية خاصة لكي يتضح لنا انه في السنوات القليلة الماضية كثفت الامبريالية نشاطاتها الارهابية كما انها تعمل على تنسيق نشاطاتها ضد الدول الاشتراكية. والكلام ينطبق على جميع

Digitized by Birzeit University Library

المجالات : السياسية والاقتصادية والفكرية والعسكرية "

هذا وقد تم تطوير ابعاد هذه الفكرة في التقرير السياسي للجنة المركزية للحزب، الشيوعي السوفياتي المقدم للمؤتمر ٢٧ للحزب .

حيث تم التركيز على ما يلي :

" ليس بالامكان تصنيف الحرب النفسية التي تشنها الامبريالية سوى انها شكل خاص من العدوان وامبريالية الاعلام التي تتعدى على سيادة وتاريخ وثقافة الشعوب . علاوة على ذلك فان تلك السياسة تشيرالى ترتيبات واعدادات واضحة على الصعيد السياسي والنفسي تؤدي الى هلهلة الحزب . ذلك انه طبيعة الحال لا يوجد اى تشابه بين مقارنة حقيقية لاوجه النظر المختلفة او لحرية تبادل الافكار التي طالما يتغنى بها العالم الغربي" خاصة وانه ليست هناك طريقة اخرى لتقييم هذه النظرة للامور عندما يفرض على الناس النظر الى مجتمع لا يتوافق او يتجانس مع الامبريالية الا من خلال فوهة البندقية .

ان الدول الرأسمالية المتورطة في نشاطات " امبريالية الاعلام " قد صعدت تنسيق الجهود فيما بينها على المستوى الفكري والايديولوجي بهدف ممارسة الابتزاز والضغوطات من اجل الحصول على مكاسب وامتيازات في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية .

ويتصدر مجمع الاعلام والدعاية التابع للولايات المتحدة والذى يشكل نواة عملية "امبريالية الاعلام" ، دورا قياديا في تنسيق هذه الجهود .

ان وسائل الاعلام في يومنا هذا تتحمل مسؤولية المهام التالية امام الشعوب اكثر من اى وقت مضى :-

١) احياء سياسة الانفراج .

٢) العمل على تحويل المواجهة بين الدول الى تعاون فيما بينها .

٣) استبدال العلاقات الاقتصادية غير المنصفة بنظام اقتصادى عالمي جديد يكون اكثر عدالة .

٤) نبذ اساليب "الحرب النفسية" .

وفي ظل هذه المهمات التي تواجه المجتمع الدولي ، يصبح من الضرورى اكثر من ذى قبل محاربة "امبريالية الاعلام" المتمثل في مجمع الاعلام والدعاية التابع للقوى الامبريالية ، والذى يستعمل كأداة في ايدي المهيمنين ودعاة الاستعمار الجديد .

عن مجلة انترنيشنال افيرز السوفييتية

Digitized by Birzeit University Library

د. حسين مروّة
شهيد الفكر التقدمي والانساني

أسعد الأسعد

كان لنبأ اغتيال الكاتب التقدمي، والمفكر الفذ الدكتور حسين مروّة، وقع مرير،وذلك انّاغتيال شيخ في السابعة والسبعين من عمره ،امام زوجه وابنائه، وهو الذى ما حمل سلاحا غير يراعه، امر لا مبرر له ،ودليل آخر على فاشية القتلة وحقدهم المجنون، على كل ما هو تقدمي ووطني وانساني .

لقد حاز الدكتور مروة، على محبة واحترام حتى اولئك الذين لم ترق لهم كتاباته وأفكاره، فقد احتلمكانة مرموقة ومحترمة، في الصفوف الاولى للحركة الثورية العالمية، والمدافعين عن فكرها الاشتراكي والانساني ، وقدم فيضا من المقالات والابحاث المختلفة، في الادب والسياسة والعلوم الاجتماعية والفلسفية، التي نشرها عبر سنوات حياته، والتي كرّسها للبحث والدراسة في مختلف اوجه الحياة وشؤونها .

فقد كان الدكتور حسين مروّة، واحدا من ابرز الباحثين التقدميّين، ليس في العالم العربي فحسب،بل وفي العالم ايضا، لما قدّمه للانسانية من تراث خالد، يشهد على وعي

كبير، وفهم دقيق ،يستند الى فكر علمي خلاّق ، ومقدرة على التحليل والمتابعة، اكتسبها عبر دراسة جادة ، للماركسية ـ اللينينية ، أغنته ،وزودته بسلاحه العلمي الذى استند اليه طيلة حياته . .

Digitized by Birzeit University Library

ولد الدكتور حسين مروة في قرية "حداثة" في جنوب لبنان، وهو ينتمي الى اسرة شيعيّة، بدأ دراسته في مدينة النجف العراقية، حيث درس العلوم الدينيّة وتخرّج منها عام ١٩٣٠، ومن ثم عاد الى لبنان حيث درس الادب العربي في الجامعة اللبنانية، وكان لتمرّنه واطلاعه على الفكر الماركسي — اللينيني أثره الكبير في تطوره الفكري، وتقدمه العلمي، حيث انتسب للحزب الشيوعي اللبناني سنة ١٩٥٠ وكان آنذاك في الاربعين من عمره، ومنذ المؤتمر الاول للحزب حيث انتخب عضوا في اللجنة المركزية عام ١٩٦٤، ظل محتفظا بعضويته في اللجنة المركزية نتيجة انتخابه من قبل مؤتمرات الحزب، وقد اعيد انتخابه في المؤتمر الخامس الذي انعقد مؤخرا.

وقد كان واحدا من اكثر الكتاب العرب وفيا وحضورا، وتفاؤلا بانتصار قضيته وفكره، وكرّس جل وقته لخدمة قضايا شعبه، برؤية ثاقبة، مسترشدا بوعيه الطبقي، وفكره الماركسي — اللينيني، منارته التي اهتدى بها طيلة حياته، ما حاد عنها، وما ضيّعته، بل فتحت امامه افاقاً رحبة، فاعطى ولم يبخل.

قام الدكتور حسين مروّة بدور هام في الحياة الثقافية والفكرية اللبنانية والعربية، وكان له دور رئيسي في تأسيس اتحاد الكتاب اللبنانيين، كما شارك في العديد من المؤتمرات العربية والدولية، وحاضر في الثقافة والفلسفة في العديد من الجامعات العربية ومعاهدها المتخصصة، وخاصة في جمهورية اليمن الديمقراطي، كما كان له دور كبير في حياة ونشاطات اتحاد الكتاب العرب المختلفة، كما ان اربعين سنة قضاها في حقل التعليم، مدرسا لمادة الادب والثقافة، كان خلالها مثال المعلّم المتمكّن من مادته، المُلِمّ بموضوعه، الامر الذي اكسبه محبّة واحترام تلامذته وزملائه، وما اكثرهم.

أما على الصعيد العالمي، فقد كان عضوا في مجلس السلام العالمي، وقد شارك في العديد من نشاطاته، كما انه عضو في اتحاد كتاب اسيا وافريقيا، وقد حاز على جائزة "لوتس" للاداب.

وكان اتحاد الكتاب العرب قد منحه جائزة "بيروت" تقديرا لصموده اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان، وحصار بيروت عام ١٩٨٢ كما حاز على وسام "الادب والفن" من جمهورية اليمن الديموقراطية والتي عمل محاضرا زائرا في معاهدها وجامعتها الفتيّة. وتقديرا لجهوده الكبيرة ودوره العلمي والثقافي الهام، فقد منحته وزارة التربية الوطنية اللبنانية وسام المعارف من الدرجة الاولى، ووسام الارز من رئاسة الجمهورية اللبنانية، وقد عمل الدكتور حسين مروة في مجال الصحافة منذ حداثته، حيث اسس اثناء اقامته في العراق مجلّتي "الهدف" و"الحضارة"، ثم "الرأي العام" و"الساعة".

وللشهيد الاف المقالات التي تناول فيها مختلف القضايا السياسية والادبية والثقافية الفلسطينية وغيرها، وقد برز من مؤلفاته "دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي" "مع القافلة" "الثورة العراقية"، قضايا ادبية، "دراسات في الاسلام" بالاشتراك مع محمود امين العالم، وسمير سعد، و"عناوين قديمة لوجوه جديدة"، "تراثنا كيف نعرفه"

Digitized by Birzeit University Library

،و" التراث والشريعة " بالاضافة الى مؤلفه القيّم " النزعات المادية في الفلسفة العربية والاسلامية" في جزئين .

ولا شك ان الذين اقدموا على اغتيال حسين مروة، ارادوا بذلك اغتيال فكره، وهدفوا الى توجيه حرابهم لما يمثله هـذا المفكر الكبير، من قواعد واسس ، تحمل كل مقوّمات الحياة والاستمرار ،وتبشّر بتغيير خريطة العالم ، وبضمنها خريطة لبنان نفسه .

ان اغتيال الدكتور حسين مروة، يحمل اكثر من معنى، واكثر من رسالة، وعلى القوى الوطنية والتقدميّة ،ان تعي مغزى هذا الاغتيال ، ومعناه، ذلك ان القتلة لم يتوقفوا عند قصف المخيمات الفلسطينية ومحاصرتها ، وقتل ابناء الشعبين الفلسطيني واللبناني ، في محاولة منهم لتكريس واقع يسعون الى فرضه ، واقع يتعارض والمصالح الوطنية لكلا الشعبين اللبناني والفلسطيني،ليس ذلك فحسب ، بل ان هؤلاء القتلة، يسعون الى قتل كل ما من شأنه عرقلة خططهم ومساعيهم ، وبضمنها الفكر التقدمي الذى يمثله الدكتور حسين مروة ، الامر الذى يستدعي ادراك المخاطر المترتبة على ذلك ، وما يحمله من ابعاد على حركة التحرر العربية وقواها التقدمية سواء في لبنان او غيرها .

ان الدكتور حسين مروّة ، بكلّ ما يمثله من فكر خلاّق ، سوف يظل في قلوبنا وقلوب محبّيه جميعاً، رمزاً خالداً لفكر الطبقة العاملة، والذي كرّس حياته من اجله ، ونحن على يقين من ان القضية المقدّسة والعظيمة، التي ظلّ فقيدنا مخلصاً لها ، مدافعا عنها ،ومهتـديا بها ، سوف تظل الهدف المركزي والسبيـل الوحيد للعبور بهذا العالم الى شاطئ الامان ،شاطئ المحبّة والسلام ، وان كانوا نجحوا في اغتيال حسين مروّة، فان احداً لايمكنه ان يغتال فكره ومبادئه ، لانها الباقية الخالدة، والمنتصرة حتماً .

Digitized by Birzeit University Library

التعاونيات الزراعية ومكانة المرأة التجربة الفيتنامية

بقلم : كريستين بيلزر وايت . ترجمة : سامي خضر

(الكاتبة باحثة في معهد الدراسات التنموية في جامعة سسكس ـ برايتون في بريطانيا ، متخصصة في حقل الزراعة التعاونية ودور المرأة في عملية التنمية . كانت قد قامت برحلة ميدانية الى جمهورية فيتنام عام ١٩٧٩م لدراسة دور التعاونيات في التنمية الريفية . نشرت هذه الدراسة في مجلة سيريس(Ceres) مجلد ١٦/٤/١٩٨٣ . وهي نشرة نصف شهرية حول التغذية وتنظيم الزراعة) .

منذ بضع سنوات نشر مقال في مجلة "سيريس" عن المرأة والتنمية الريفية تحت عنوان مثير " الزوج هو المستخدم " . وقد اكد كاتب المقال وجيه الدين احمد ، في المقال المذكور بأن وضع المرأة في العالم الثالث لا يمكن تغييره بشكل ملحوظ طالما لم تتوقف المرأة عن الخدمة كأداة عمل لصالح الرجل . ففي المزرعة تبقى المرأة تعمل ولكن بصورة غير ظاهرة . بينما تشكل التعاونيات الزراعية وسائل هامة لتوفير العمل للنساء خارج نطاق الاقتصاد المنزلي بالاضافة الى خلق الحوافز لاكساب اشكال جديدة من العمل الجماعي . وذلك بابتعادها عن النمط الابوي في الانتاج الذي اختتم وجيه الدين احمد : مجادلا بأنه سواء على طريق العمل الجماعي او اسلوب آخر ،فعلى التنمية الريفية الجديرة يحمل هذا الاسم ان تمكن الرجال والنساء على حد سواء من الابتعاد عن ضيق الافق الذى يسمم الاقتصاد الزراعي الريفي التقليدى ، وذلك عن طريق التدريب على مهارات تقنية واقتصادية واجتماعية متنوعة في مؤسسات الانتاج الريفي غير الزراعي ، كالصناعة الخفيفة والبضائع الاستهلاكية .

ان فيتنام ، وعلى وجه الخصوص في الجزء الشمالي منها حيث ظهرت التعاونيات الزراعية عام ١٩٥٩ وعمت البلاد عام ١٩٦٠ ،مثال جيد للدراسة والبحث واختبار قدرة التعاونيات المعروفة باسم " تعاونيات المنتجين الزراعيين " ، على تحسين وضع المرأة في الريف من النواحي السياسية

Digitized by Birzeit University Library

والاقتصادية والاجتماعية .

ولقد ساعدت التعاونيات على اضعاف السلطة الابوية المهيمنة وخلقت بناء وظيفيا متنوعا ، ورفعت من المستوى المعيشي في الريف. وقد ضمنت المرأة هذه الفوائد ، اذ جرى تطبيق النظام المعدل للتعاونيات الزراعية في البلاد الذى أدى الى تعميق المساواة بين الرجل والمرأة في مجالي العمل والزواج . فقد اصبح تعدد الزوجات غير شرعي مع بداية تأسيس التعاونيات وقد ساعـــدت التعاونيات الزراعية على تحويل العلاقات بين الرجل والمرأة من المستويات الشخصية والخاصة بالعلاقات العائلية الداخلية الى حقل السياسة العامة، مما يسهل على المرأة دخول المعترك السياسي سواء عبر الحكومة او الاتحادات النسائية، وقد نشر في فيتنام دراسة جيدة بعنوان " المرأة في فيتنام"، ترسم بدقة التأثير التحرري للتعاونيات على المرأة وقد جاء فيها : " لقد اصبحت الفلاحة الفيتنامية عضوا فعالا في التعاونيات الزراعية وعلى قدم المساواة مع الرجل لا سيما مـع زوجها . لقد ولّت الى غير رجعة تلك الايام ، عندما كانت المرأة تقوم وحدها بأعمال الحقل وتربية الحيوانات ومسؤوليات البيت والعناية بالاطفال ، اضافة الى عدة نشاطات اخرى، بينما كان زوجها ، العاطل عن العمل ،يسترخي في الباحة الرئيسية للبيت ومع ذلك ظل يعتبر الدعامة الرئيسية للاسرة ـ اما الان فقد اصبحت الاجرة تدفع بشكل منفصل، فكان ذلك دليلاساطعا على مساهمة كل منهما في الدخل المشترك. وغالبا ما كانت المرأة الصبورة بدأبها المتواصل تحصل على نقاط عمل اكثر من زوجها . ان هذا التقييم للعمل على اساس النقاط قد اظهر زيف الاسطورة القائلة بتفوق الرجل على المرأة . (١) .

وقد اظهرت دراسة، اجريت مباشرة بعد اقامة تعاونيات زراعية في ثلاث وثلاثين قرية تابعة لمنطقة "فين فو" ، أن عمل النساء لا ينحصر في حقول الارز المعروفة تقليديا بانها من صميم اعمال المرأة (تجهيز الارض للزراعة ٦٥ ٪ من ايام العمل ،زراعة الحبـوب وبذرها ٩٨ر٣٪ والحصاد ٩٨٪) بل انها ساهمت ايضا في الاعمال التي تعتبر من اعمال الرجال (حراثة ١٤ ٪من ايام العمل ، تذرية ٣٥٪) ، وبالاضافة الى ذلك قامت النساء بمعظم عمل زراعة الشاي ٧٥٪ من ايام العمل ،وانتاج الذرة ٨٥٪ كذلك .

اضـواء على مدى مساهمة النسـاء :

سلّطت التعاونيات الاضواء ولأول مرة، على مدى مساهمة المرأة في الانتاج الزراعي. انه يبدو من غير المعقول في ظل نظام زراعي ، حيث تقوم النساء عادة بقدر كبير من اعمال الحقل ، ان يرى الرجال انفسهم المنتجين الرئيسيين ويعتبرون النساء مجرد تابعات لهم، لكن ظاهرة ضمور عمل المرأة كعمل غير مدفوع الاجر في مجال الزراعة قد تم توثيقها في عديد من دول العالم الثالث .

ولكن الحالة الفيتنامية تعتبر حالة فريدة من نوعها . ويوجد دليل قوي يشير الى انه فـي المراحل الاولى من عملية تأسيس ودعـم التعاونيات كان الازواج يترددون في دخول التعاونيات وان دخلوها اسرعوا في تركهم لها

Digitized by Birzeit University Library

انها تهدد مكانتهم المستقلة كأرباب لاسر يديرون اعمال مزارعهم. وفي احدى القرى كان الفرق في التوجهات شاسعا جدا لدرجة انه تم تقسيم الارض الزراعية وقامت النساء بالاشتراك بحصصهن في التعاونيات الزراعية فيما بقي ازواجهن خارج العمل التعاوني.

وبدخول النساء الى التعاونيات الزراعية فانهن لم يكتسبن الحق في نقاش قضايا العمل الزراعي المشترك وحسب بل تلقّين المساعدات فيما يتعلق بحل المشاكل الخاصة كالحمل والولادة والعناية بالاطفال. وقد تم تدريب القابلات القانونيات وعاملات الصحة في القرية، وجرى تأسيس عيادات الامومة ومراكز الحضانة للاطفال بمساعدة الحكومة (خصوصا فيما يتعلق بتدريب الكوادر). وقد اسهم ذلك في تحسين الاوضاع الصحية للنساء ووفر امكانية خلق وظائف جديدة في القرية كالعمل في الحضانة او في الصحة. اضافة الى ذلك فان الحوامل والمرضعات اصبح بامكانهن الحصول على اعمال خفيفة وقريبة من بيوتهن بينما في نظام الزراعة العائلية كان على النساء ان يقمن بالزراعة والحصاد في حقول العائلة دون الاخذ بالاعتبار حالتهن الصحية.

ان اعادة توزيع العمل مكن النساء من اقتسام فرص للتعلم والتدريب. حيث لم تعد قوة عضلهن اساسية بالنسبة للعائلة. وقد عززت تلك الفرص مع توفير حاضنات للاطفال والمساعدات المالية للتعاونيات من اجل تدريب وتعليم النساء مما مكن عددا مختارا من النساء من تلقي تدريب خاص بوظائف جديدة في مجال المحاسبة التعاونية والتقنية الزراعية.

ولاعطاء صورة عن اثر التعاونيات، سأصف باختصار بعضا من الخصائص الرئيسية لقرية "ثوي ترين" من مقاطعة "تاي بن" التي زرتها في ايلول من سنة ١٩٧٩، ومرة اخرى في اذار ١٩٨٣، ففي سنة ١٩٧٩ كان معدل التعاونيات الزراعية في القرية يتألف من: ٨١٣ عائلة تعيل ٣٨٠٠ فرد، من بينهم ١١١٣ شخصا كانوا يعملون كعمال تعاونيين متفرغين. و٨٧٪ من القوة العاملة كانت نساء. وبلغت المساحة المزروعة للتعاونية ٢٢٥٫١٦ هكتارا. هذه القرية لم تكن تعاونية نموذجية. وبذلك كان عليّ ان اذهب الى مكان آخر يتسم بالانتاج التعاوني العالي في منطقة فوثونج كما فعل الباحثون والصحفيون الاجانب في تلك الفترة

لقد اختار "لي ناط كوانج" وهو اقتصادي زراعي من المعهد الاقتصادي ـ هذه التعاونية لاجراء دراسة مكثفة، تحديدا بسبب اوضاعها الطبيعية غير المواتية :ـ فبكونها قريبة من البحر فهي معرضة لتسرب المياه المالحة، وبسبب قربها ايضا من البحر فهي معرضة للقصف البحري. وقد اختارها المعهد الاقتصادي خلال الحرب، من اجل دراسة ما يمكن عمله لتحسين الوضع الاقتصادي لمثل هذه التعاونية المهددة دائما بنتائج الحرب.

وكانت الاولوية للتعاونية تتمثل في تحسين الارض بواسطة تطوير شبكات الري والاقنية، وفي زراعة نباتات الازولا (التي تعمل على تثبيت نسبة النيتروجين في التربة) وفي عام ١٩٦٦ بدأت التعاونية في تطوير قطاع الحرف اليدوية بتأسيس مشغل الانتاج (الطواقي) المخروطية، ومعمل للقرميد والطوب وتنوّر (تشمل القوة العاملة فيه على

Digitized by Birzeit University Library

بعض النســـــاء) .

لقد ادى ذلك الى تحسين مستوى الحياة في القرية : فخلال سنوات الحرب ، كان معظم اعضاء التعاونيات وغالبيتهم من النساء يعلن اسرهن (كأرباب اسر) بسبب وجود ازواجهن في جبهة القتال ، بنين بيوتا من الطوب والقرميد والعديد منها لها ساحات بنيت ايضا من الطوب ، وكذلك بنيت حظائر للخنازير من الطوب ، وبئر وحمام للاغتسال ، لتحل مكان تلك الاكواخ القديمة المتداعية. فقبل التعاونيات كانت هنالك حفنة من الاغنياء فقط، تسكن بيوتامبنية من الطوب ، وهذا ، كما كان يقال لي غالبا ، كان نموذجا للتحول الذى استطاعت النساء في التعاونيات تحقيقه خلال فترة الحرب. فالرجال قد تركوا اكواخهم المتداعية ، والقلق ينتابهم حول الكيفية التي ستتمكن فيها زوجاتهم من تدبير امورهن المالية خلال فترة غيابهم ، وقد عادوا ليجدوا بأن الانتاجية التعاونية قد استمرت ، بل تويت ، وان بيتا من الطوب قد تم بناؤه للاسرة في فترة غيابهم . وفي سنة ١٩٧٣ ومن اجل امتصاص الفائض في قوة العمل

جرى تنظيم مشاغل خاصة بالصناعات الخفيفة كصناعة السجاد والحصر من القنب والقصب للتصدير وتزويد العاملات الشابات في القرية بوظائف تتطلب مهارات.

وفي احدى التعاونيات ، كان رئيس التعاونية رجل يدعى فام دوي خو . وعندما سألته عن نظام (تخصيص العمل تبعا للجنس) في مشغل الطواقي المخروطية ، حيث تقوم النساء بجميع اعمال الخياطة ، اسرع الى اظهار مهارته الخاصة في استعمال الابرة. وقد ذكر بأن عمه كان خياطا وانه قد تعلم المهنة عنه. اما منصب رئيس المجلس القروى وهو اعلى منصب اداري ، فقد كانت تشغله " دوان ثاي باب" وهي سيدة معتدة بنفسها وكفاءتها

وقد بدت راضية وغير متكلفة بمركزها القيادي تماما مثلما هو الحال مع المدير الادارى للتعاونية. وعندما عدت الى القرية عام ١٩٨٣ وجدت بأنها ــ اي "دو ان ثاي باب" ــ قد غيرت وظيفتها وأصبحت مسؤولة عن تجارة التعاونية (بيع شراء) . وأخذت مكانها كرئيسة للمجلس القروي" تفوين تي نهو" ، التي كانت رئيسة الاتحاد النسائي في القرية عام ١٩٧٩.

مشاكـــل المســـاواة باقيـــة:

على الرغم من انه لا جدال بأن المؤسسات التعاونية الريفية قد عملت علـى تحسين مكانة المرأة ، الا ان الامور لا تخلو من المشاكل . فعلى سبيل المثال ، ومع ان عمل المرأة اصبح ظاهرا للعيان عبر احتساب ايام العمل الذى شكل انتصارا هاما. فقد ظهرت مشكلة القيمة النسبية لكل من عمل الرجل والمرأة .اذ تبين ان الذكور يحصلون على نقاط اكثر من الاناث رغم التساوي في عدد ساعات العمل وذلك لان عمل الرجل اصعب واكثر تعقيدا ، فيما ان عمل المرأة اسهل واقل صعوبـــة .

في هذا المجال تتشابه التجربة الفيتنامية مع تجارب دول الغرب الصناعية ، حيث الصراع على المساواة في الاجور قد وصل الى اشده في موضوع معدل الفرق او التمايز بين

Digitized by Birzeit University Library

عمل الرجل الذي يتصف "بالمهارة" وبين عمل المرأة الذي " لا يتطلب المهارة". كانت تلك هي احدى نقاط التشابه في المشاكل التي واجهت الحركات النسائية في دول الغرب وفي فيتنام، والتي اثيرت في مؤتمر حول المرأة (عقد في هانوي في آذار ١٩٨٣) بمبادرة مؤسسة (SIDA) ونظمته لجنة الابحاث والعلوم الاجتماعية الفيتنامية بالاشتراك مع معهد الدراسات التنموية في (سكس/بريطانيا).

لقد وصفت احدى المشاركات في هذه الندوة، وهي السيدة "منه" (باحثة ومنظمة في الاتحاد النسائي الفيتنامي) النضال الذي خاضته النساء في عدد من القرى من اجل الحصول على نفس عدد النقاط مقابل عملهن في بذر الحبوب ازاء عمل الرجال بالحراثة. هؤلاء النساء افتقدن التقييم المتبع عادة وهو منح (١٠) نقاط لقاء متوسط يوم عمل في بذر الحبوب مقابل ١٤ نقطة للحراثة، على اساس ان على الاثنين العمل في الارض: فالاصابع الماهرة في بذر الحبوب هامة وحاسمة بالنسبة للزراعة مثل اهمية عضلات الرجل فيما يتعلق بالحراثة ،وان كيفية البذر هي اكثر عامل حاسم من اجل الحصول على انتاج وفير. في بعض القرى تم اعادة تقييم يوم العمل في بذر الحبوب بـ ١٤ نقطة لليوم الواحد.

هنالك ميل نحو توظيف رأسمال اكبر في اعمال الرجال، فبامكان رجل معه ثور ان يحرث في مساحة اكبر مما تستطيع عاملة ان تزرع في يوم واحد. اضافة الى ذلك فان الجهد يزداد مع مكننة عملية الحراثة ،مقابل عملية بذر الحبوب، ولهذا السبب يصعب على الرجل ان يكف عن الاعتقاد بأن عمل الرجال اكثر انتاجية وبالتالي يستحق نقاطا اكثر. ان الهجوم على سلطة الرجل، "رب الاسرة" وامتيازاته من خلال التعاونيات وانبثاق الادوار القيادية للمرأة في القرية (والتي لم يكن يسمع بها قبل الثورة الزراعية في فيتنام) كان له اثر حاسم رغم انه لم يؤد الى مساواة كاملة بين الرجال والنساء.

ومن اكثر القضايا اشكالا، ان اعادة تنظيم الانتاج لا تستطيع ان تضمن عدم هيمنة النظام الابوي الذي ساد قبل الثورة، وهذا ما حصل بالفعل، ففي فيتنام وغيرها من الدول كان الرجال هم السباقون الى تولي المناصب القيادية حال قيام التعاونيات.ويعزى ذلك الى ميزات الرجل التعليمية وخبرته في مجال العمل. وفي عام ١٩٦٦ وقع التحول التدريجي الى تعاونيات اشتراكية كاملة، شكلت المرأة ٣٫٣٪ من رؤساء التعاونيات و ٣٫١٨٪ من اللجان الادارية للتعاونيات و ٩٫٦٥٪ من رؤساء فرق العمل.

قضايا حول الدور القيادي للمرأة :

ومع مرور الوقت وخصوصا خلال سنوات الحرب، ارتفعت اسهم المرأة في المناصب القيادية والمواقع الادارية، ولكن وبما ان اعادة تنظيم انماط العمل في الحقول لم يرافقها تقسيم جديد للعمل وفق الجنس في اعمال البيت والعناية بالطفل، فقد استمر الرجال يحظون بوقت اكثر من زوجاتهم يكرسونه للتعلم والتدريب والنشاطات

Digitized by Birzeit University Library

السياسية. وجدير بالذكر انه بعد الحرب ايضا تم توسع كبير في تنظيم التعاونيات واصبح المستوى التعليمي وتوفر الوقت متطلبات هامة للوصول للمواقع القيادية .

كما برزت مشكلة اضافية تتركز حول رفض الذكور لفكرة كون المرأة في موقع السلطة على الرجل الا اذا كانت المرأة متفوقة وبشكل واضح على جميع الرجال الذين يعملون تحت اشرافها وفي جميع المجالات . وهذا شرط صعب تحقيقه تحت اية ظروف عند كثير من النساء الريفيات وخاصة بعد عودة المقاتلين من جبهة القتال بثروة من الخبرة التنظيمية في الجيش . ففي تشرين اول ١٩٧٤ كان هنالك (٧٠٠٠) امرأة يشغلن منصب رئيس او نائب رئيس للتعاونية. بعد سنة من هذا التاريخ انخفض هذا الرقم ليصل الى (٣٥٨٠). ورغم الانخفاض فان دور النساء القيادى بقي ذا معنى هام: ففي عام ١٩٧٨ ووفق احصائيات غير مكتملة، كان ٣٠٪ من جميع رؤساء فرق الانتاج والكتبة ورؤساء ونواب رؤساء هم من النساء .

وبتعبير نسبي، فان هذا الرقم، المذكور سابقا، مثير للاعجاب، حتى مع الاخذ بعين الاعتبار ان الاحصائيات غير مكتملة واحتمال ان يكون التقدير عاليا. ومع ذلك تبقى الحقيقة ماثلة: فبينما تشكل النساء اغلبية القوة العاملة في العمل الزراعي الجماعي (٦٠٪ وفق الاحصائيات الرسمية) فانهن يعتبرن اقلية في ادارة التعاونيات. ان الاتحاد النسائي، الذى له فروع نشيطة في كل منطقة وقرية، ناضل من اجل ادراج اسماء المرشحات على اوراق التصويت والاقتراع للتعاونيات .

ولا تزال هذه المؤسسة تقود نضالا متصاعدا في مهمتها من اجل المساواة بين النساء والرجال في الريف الفيتنامي. وللاسف لم تتوفر التسهيلات اللازمة، ففي عام ١٩٧٩ فان الصحيفة الاسبوعية للاتحاد النسائي الممتازة والواسعة الانتشار والمعروفة باسم (المرأة الفيتنامية) قد قلصت اعدادها من (٢٠٠٫٠٠٠) الى ٨٠ الف نسخة بسبب النقص في الورق، وفي سنة ١٩٨١ تقلصت من ١٦ صفحة الى ثماني صفحات .

ان زيادة نسبة مشاركة المرأة في المراكز القيادية في التعاونيات ماهو الا وسيلة لزيادة المساواة بين الرجال والنساء في الريف. هنالك مشكلة، ومن المرجح ان تكون اكثر اهمية، وهي علاقة الاداريين بأعضاء التعاونية. ان هذه قضية حاسمة في الديموقراطية، او حسب التعبير الفيتنامي " الحق بأن تكون مسؤولا جماعيا". وهذا يعني تحديدا أن الاعضاء يجب ان يشعروا بأنهم المالكون الجماعيون للتعاونية وليسوا عمالا او موظفين فيها . ويحتوى كتاب" النساء في فيتنام" حكاية ذات دلالة: في السنوات الاولى للتعاونيات يذكر بان احد الازواج الغاضبين قال لزوجته :"يمكنك ان تكوني رئيسة التعاونية ، ولكن في البيت فانا المسؤول والرئيس ". وهذا يسلط الاضواء على مقاومة الرجل لخسارته لسلطته الابوية وعلى الاطاحة بالعلاقات التقليدية. ومما يذكر بأن رئيسات التعاونيات اقل نزعة نحو السلطوية ويتمتعن بنمط اكثر ديموقراطية في القيادة من الرجال ، وبأنهن اقل عرضة للرشوة والفساد. ولكن صلب المشكلة هو معطيات التركيبة للمؤسسة والحقوق النسبية ، والقوى التي

Digitized by Birzeit University Library

تحكم بالقرار، وليس الصفات الشخصية للقياديين .

ان الدفاع عن حقوق النساء العاديات من اعضاء التعاونيات ضد انتهاكات قيادة التعاونيات كانت المهمة الاساسية لفروع الاتحاد النسائي التي كانت تعمم من خلال صفحات جريدة " المرأة الفيتنامية" (الصحيفة الاسبوعية للاتحاد) . وقد كان للتغييرات البنيوية الاخيرة في تنظيم التعاونيات تأثير هام وبارز .

وقد جرى مؤخرا اعادة تقييم وانتقاد اتساع المراقبة والسيطرة على الاقتصاد واتخاذ القرارات فيما يخص الانتاج والتجارة والتوزيع ، والتي كانت جميعها مركزة بأيدي ادارة التعاونيات الزراعية . وقد انتقد التقرير الصادر عن الحزب (المقصود حزب العمال الشيلة الفيتنامي) لمؤتمره الخامس، والذي انعقد في آذار ١٩٨٢، نتائج الاسلوب البيروقراطي في ادارة الاقتصاد والذي ادى الى خنق النمو الاقتصادي. ان اتساع صلاحيات الاداريين وقوة نفوذهم خلق صعوبات في السيطرة على النساء الذي مارسته بعض القيادات التعاونية مما الحق اضرارا بالروح المعنوية في العديد من المناطق .

ان السياسة الجديدة التي بوشر العمل بها منذ بداية عام ١٩٨١ ،والتي ارتكزت على ابرام عقود لخطوات العمل المكثف لعمليات الانتاج لدى اعضاء التعاونيات ،شكلت تقليصا فعليا لصلاحيات قيادة التعاونيات وفي جعل القرارات الاقتصادية اقل مركزية .

ولسخرية الاقدار فقد شكلت هذه الخطوات عودة جزئية الى تنظيم الانتاج الزراعي العائلي. ومع ذلك ، فهناك اختلاف شديد عن الوضع الذى كان سائدا قبل تطبيق نظام التعاونيات فان نسبة عالية من الملكية العائلية الريفية ترأسها حاليا، نساء ، (ارامل ، او نساء ازواجهن في الجبهة او يعملون في قطاع الدولة) وقد وزعت الاراضي، مؤقتا، على الاسر على اساس قوة عمل المرأة. وبعد توزيع حصة من الارض على التعاونية (محددة بخمس سنوات على اساس معدل الانتاج خلال السنوات الخمس الماضية) مقابل مجموعة من نقاط العمل، اصبحت المرأة قادرة على تصريف اى فائض في الانتاج، سواء من اجل الاستهلاك او للبيع في السوق الحرة، (هناك علاوات تدفع مقابل تحقيق مزيد من الانجازات على صعيد الانتاج). والجدير بالذكر انه ضمن الظروف الجديدة استطاعت المرأة ان تختصر الوقت الذى تقضيه في مهمة التجارة التي كانت احدى الامور التي حاول النظام التعاوني السابق "تحرير" النساء منها ان الشعارالجديد هو " من اجل تجانس مصالح الدولة والتعاونية والاسرة ".

اصلاح العيوب والنواقص:

عند عودتي الى قرية ثوى ترين في آذار ١٩٨٣ كان نفس رئيس التعاونية "فام ديوكيو" ما يزال في منصبه، وقد تحدث مازحا ، بأنه الان انحف مما كان عليه عندما زرته قبل تطبيق الاسلوب الجديد والحقيقه انه لم يكن انحف بكثير عن السابق ، انه لم يكن على الاطلاق سمينا ولا مسؤ ولا مرتشيا. ولكن ليس هذا المقصود بالطبع ، وان ما اردت أن

Digitized by Birzeit University Library

أبينه هو ان صلاحياته قد تقلصت عن السابق . ولقد وافق رئيس التعاونية ونساء القرية وكوادر الاتحاد النسائي الحضور على ان السياسة الجديدة قد ادت الى زيادة الانتاج والى اشاعة اجواء الديموقراطية" فالشعب هو سيد مصيره ولا احد يستغل الاخر". وبوصف آخر فقد افرزت السياسة الجديدة عدة مشاكل من اكثرها ،وجود هبوط في تسهيلات الرفاه الاجتماعي في الريف. وعلى سبيل المثال واجهت حضانات الاطفال في القريةمشاكل تمثلت في ان بعض الموظفين فيها فضلوا العودة الى الزراعة لانها اصبحت اكثر ربحا ، مع ان لجنة حماية الامهات والاطفال اتخذت اجراءات فعالة للعمل على استقرار الوضع. ومع ذلك ،يبدو ان نمط التنظيم التعاوني السابق كان يميل باتجاه زيادة العمال غير المنتجين. (فعلى سبيل المثال فان قريـــة (ثيوترين) كان لديها خبيران متفرغان يعملان في وسائل الاعلام والاتصال ، يقومان بعمل محدود ، وكان يقتصر عملهما على التحدث عبر اجهزة مكبرات الصوت في القرية وتخطيط اللوحات الجدارية الكبيرة والشعارات البراقـــة .

ان كون العدد الاكبر من اعضاء التعاونيات يتقاضون نقاط عمل مقابل جهدهم خارج الانتاج الزراعي اواليدوى المباشر (في الصحة ومراكز الامومة والطفولة) قد ابقى قيمة نقاط العمل للزراعة منخفضة. وقد اسهم هذا في وجود ظاهرة استبعاد مساحات اكبر من الاراضي من عملية الانتاج. ذلك لان اعضاء التعاونيات لم يرغبوا في بذل جهود كبيرة في العمل الزراعي مقابل اجور منخفضة. وباختصار فان نظام العقود الفرعية قد اصبح ضروريا من اجل اصلاح بعض العيوب للنمط التعاوني السابق ، دون الاخذ بالاسلوب البولندي واليوغسلافي المتطرف فيتفكيك التعاونيات والعودة الى الزراعة ذات النمط العائلي .

ويبدو واضحا من تاريخ الزراعة الجماعية في فيتنام ، انه بقدر ماتكون التعاونيات مصحوبة بـ :

١) التزام حازم من قبل الدولة بالمساواة بين الرجل والمرأة .

٢) نشاطات اتحادات نسوية قوية .

٣) الرغبة في ادراك المشاكل وتجريب انماط جديدة ومرنة في التنظيم .

فان مفهوم الزراعة التعاونية فيما يتعلق بالمرأة يكون ايجابيا جدا ويشكل اسهاما هاما لتحرر المرأة الريفية وانخراطها الفعال في التنمية الريفية .

المصـــدر : مجلة Cenvergence ،مجلد ١٧، عدد رقم (١)، ١٩٨٤ من صفحة ٤٦ – ٥٥ .

الهوامـــش :

---

١) مايثي توليتي نام تويت ، المرأة الفيتنامية . هانوى دار النشر للغات الاجنبية ١٩٧٨ صفحة ٢١٤.

ستصدر قريبا ضمن كتاب حول المرأة وتعليم الكبار والتنمية في العالم الثالث مترجم من قبل مكتب محو الامية وتعليم الكبار / جامعة بيرزيت .

Digitized by Birzeit University Library

حول وضع القراءة في الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة

* نصف سكان الولايات المتحدة لم يقرأوا كتاباً ..
وبعض الولايات تمنع كتب همنغواى وشتاينبك ..!
* معطيات اليونسكو : الاتحاد السوفييتي البلد الاكثر مطالعة والمترجم الاول في العالم

المعطيات عن وضع الثقافة في كل من العالمين الرأسمالي والاشتراكي تغري دائما بالمقارنة. كيف هي في المجتمع الاشتراكي تشكل سموا بالانسان وتطويرا لشخصيته، وكيف هي في المجتمع الرأسمالي نقيضا لذلك . ففيه ازمة حقيقية في الثقافة تعجز كل المؤسسات الاعلامية والاحصائية في الغرب التي يهمها تبييض صفحة هذا المجتمع عن حجبها.

ومع ذلك فان المولعين بالحضارة الرأسمالية والامريكية تحديدا، ما زالوا يتشبثون بالصورة " النموذجية" الكاذبة للرأسمالية ويتغافلون عن مظاهر السقوط التي تشهدها الولايات المتحدة الامريكية قائدة هذا المجتمع الرأسمالي .

نحن بصدد معطيات عن وضع الكتاب والقراءة في كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية ، وهما ليسا من وضع جبهة واحدة ،بل هما من مصدرين مختلفين .. ونحن ننشر هذه المعطيات وندعو القارئ ليقارن بنفسه ..

الاتحاد السوفييتي :

نظهر معلومات دائرة الاحصاء المركزية للاتحاد السوفييتي الى انه في عام ١٩٨٤ صدر في الاتحاد السوفييتي الذي يعتبر اكبر ناشر للكتب في العالم ٢ر٣ مليار نسخة من

Digitized by Birzeit University Library

الكتب والكراريس. ويشكل قراء المطبوعات الادبية في الاتحاد السوفييتي ٤٥ بالمئة من سكان المدن في الشطر الاوروبي للبلاد. ويشير الباحث الفرنسي ر.استكاربي الى ان عدد الناس الذين يقرأون المطبوعات الادبية بصورة دائمة في اوروبا الغربية لا يتجاوز الـ ٣ ـ ٥ بالمئة.

توجد في الاتحاد السوفييتي اكثر من ٢٠٠ دار للنشر، وهذا اقل مما في الكثير من بلدان الغرب. بيد انه ينبغي اعتبار واقع انه لا توجد في الاتحاد السوفييتي دور نشر صغيرة فاكثريتها تصدّر سنويا مئات الكتب بعشرات الملايين من النسخ.

يعتبر كل من يقرأ كتابا واحدا في الشهر من القراء الدائمين في البلدان الرأسمالية المتطورة في اوروبا. اما في الاتحاد السوفييتي فلا يعتبر قارئا دائما الا كل من يطالع ما لا يقل عن كتابين في الشهر الواحد وتشير معطيات اليونسكو في هذا الصدد الى ان الاتحاد السوفييتي هو البلد الاكثر مطالعة و" المترجم رقم ١" في العالم. كما ان الاتحاد السوفييتي هو البلد الوحيد في العالم الذي اصبحت فيه الكتب " مادة ناقصة وتجاوز فيه الطلب امكانات العرض. ففي اواخر القرن الماضي مثلا صدرت مؤلفات ليو تولستوي في ٣ الاف نسخة ولم تنفذ من الاسواق بكليتها. واليوم تصدر مؤلفات تولستوي بملايين النسخ ومع ذلك لا يلبي العرض الطلب.

طوال السنوات الاخيرة لم تخل صفحات الكثير من الجرائد والمجلات السوفييتية من مفهومي" الجوع الى الكتب"و" حمى الكتب" وقد يتكون انطباع وهو انهما ظهرا كنتيجة اجراءات غير متوقعة في مجال تطور صناعة الكتب. وفي الحقيقة فان تاريخ هذه "الحمى وهذه" المجاعة" يبدأ من عام ١٩١٧. العام الذي انتصرت فيه الثورة الاشتراكية في روسيا. وفي حينه اشار الصحفي الامريكي جون ريد الى ان روسيا الجديدة تلتهم المطبوعات بنهم مثلما تمتص الرمال الجافة الرطوبة. وفي الثلاثينات كتب مكسيم غوركي الى رومان رولان يحدثه عن " الجوع الى الكتب" في الاتحاد السوفييتي وعن اسبابه التي تتلخص في نزوع الناس المتعاظم بلا انقطاع الى استيعاب المعارف، والثقافة.

وبالمقارنة بمرحلة ما قبل الحرب ازداد اصدار الكتب في الاتحاد السوفييتي ٤ مرات. وفي العقد الاخير فقط ازدادت الحاجة الى المطبوعات ٣ مرات. والغريب في الامر ان اغراق سوق الكتب بالمطبوعات لم يحل مشكلة النقص في الكتب. ظاهرة غير مألوفة؟ كلا، بل ظاهرة طبيعية.

فمن المعروف منذ زمن بعيد انه كلما ارتفع مستوى المجتمع الثقافي اشتد طموح الناس الى الثروات الروحية الجديدة اكثر فاكثر. كان استهلاك الكتب في روسيا ما قبل الثورة يشكل ٩٦ نسخة في السنة للفرد من السكان. وهو اليوم يعادل ٧ كتب، ولكن هذا ايضا لا يعتبر كافيا بعد.

تصدر مؤلفات عدد كبير من الكتاب الكلاسيكيين والمعاصرين الاجانب في الاتحاد السوفييتي بكميات من النسخ اكثر بكثير مما في اوطانهم نفسها. ومع ذلك فان اقتناء تلك المؤلفات من الامور الصعبة شأن اقتناء مؤلفات الكلاسيكيين الروس والسوفييتيين وشأن الكثير من المراجع والمطبوعات

Digitized by Birzeit University Library

الساسية والعملية ومطبوعات الاطفال. فهي
عد على الفور. وعلاوة على ذلك فان اسعار
كتب تجعلها في متناول جميع فئات السكان
يعتبر البعض ان السبب الرئيسي لـ
"الجوع الى الكتب" تتلخص في النقص في
يات الورق. بالفعل. هذا صحيح. بيد ان
شكلة تتلخص كذلك في شيء آخر.. في ان
عددا كبيرا من القراء يرغبون اكثر فأكثر في
قتناء كل ما هو علمي، أي ان تكون لهم
كتباتهم. مجموعاتهم. الخاصة. وبديهي
ن ذلك لا يتسّم بأي طابع جنائي، ولكنه امر
طبقي في بلد تعمل فيه شبكة ضخمة من
المكتبات العامة. وفي غضون ذلك يزداد بلا
انقطاع عدد هواة جمع الكتب. ويمكن
التأكيد ان ٩٧ بالمئة من العائلات السوفييتية
تملك مجموعاتها، وهي تضم ٤٠ مليار مجلد
أي اكثر بكثير مما تضمه مكتبات الدولة
والمكتبات النقابية.

الولايات المتحدة الامريكية:

يزين القبب المرموقة لاكبر مكتبات الولايات
المتحدة قول مأثور لتوماس اديسون المخترع
الامريكي المشهور: "ان الكتب هي ذلك
التراث الذي خلّفه العباقرة العظام للبشرية
والذي ينتقل من جيل الى جيل ويظل هدية
لمن لم يولدوا بعد" ولا شك ان دهشة كبيرة
كانت ستنتاب هذا المخترع الامريكي العظيم
لو انه اطل، ولو بطرف عينيه، ليرى صورة
الحياة المعاصرة في الولايات المتحدة. ولا يتضح
لنا، على سبيل المثال، ان نصف السكان
تقريباً، وان (٣٩) بالمئة من المواطنين الذين
تعدوا السادسة عشرة لا يقرأون سوى الصحف
والمجلات. وما تبقى منهم فان واحدا من كل
خمسة يشترى كتابا لكنه لا يفتحه اطلاقا وانما
يؤجل هذا العمل الى الغد. ان القراءة في
هذه الحالة، كما يبدو، لا تجلب لصاحبها
شرفا.

وعاما بعد آخر يتزايد عدد الاميين
الامريكيين وحول هذا الموضوع علقت مجلة
يو اس نيوزاند ورلد ريبورت "معبرة عن
دهشتها وقلقها قائلة :" في الولايات
المتحدة الان فعلا (٢٥) مليون امي". وصرح
جون سيلتر، رئيس جامعة بوسطن في حديث
صحفي لهذه الجريدة الاسبوعية ان شهادة
الدراسة الثانوية ليست سوى "ورقة لا تطابق
مستوى تعليم الخريجين الذين ليست لديهم
حتى المعارف الاولية.

ومعظم الامريكيين الذين تلقوا تعليما
ثانويا على نحو سيء وليس لديهم شغف
بقراءة الكتب لا يعرفون شيئا عن اكبر الاحداث
العالمية حتى تلك التي ترتبط ارتباطا مباشرا
بتاريخ امتهم. وتبلغ نسبة الامريكيين الذين
لا يعرفون شيئا عن الحرب العالمية
(٩٤) بالمائة، و(٦٨) بالمائة منهم لا
يعرفون شيئا عن الحرب العالمية الثانية، و
(٤٤) بالمائة لا يدرون بمصرع الرئيس
الامريكي كيندى، كما ان هناك (٣٢) بالمائة
من مواطني الولايات المتحدة الامريكية لم
يسمعوا بهبوط مواطنيهم على سطح القمر.

وفي النهاية اذا كان الامريكيون على
هذا القدر من الجهل بقضايا تاريخ بلادهم
فهل يكون مدهشا اذا صدّق خُمس المواطنين
الامريكيين، وفقا لبحوث اليونسكو الرسمية.
ان تعداد سكان الويات المتحدة يفوق

Digitized by Birzeit University Library

تعداد سكان الصين والاتحاد السوفييتي؟ وان تايلاند هي جزيرة صغيرة تقع على ساحل الصين ويحكمها الرئيس شان كاي شيك؟ويعتقد معظم الامريكيين ان الناس في الملايو المجاورة لتايلاند يعيشون فوق الاشجار ؟.

كم من المعلومات القيمة التي يستطيع ان يحصل عليها مواطنو الولايات المتحدة من " موسوعة الاطفال" على سبيل المثال التي اصدرتها دار " ورلد بوك تشايلد كرافت انترناشيونال للنشر" ؟ وهكذا نجد ان الناس في الملايو" لا يعيشون فوق الاشجار " وانما بعض ناشري الكتب الامريكيين هم الذين يعيشون في اجواء الجهل والتحامل المبنية على الطموحات التوسعية وعلى العنصرية المتطرفة .

وقد ألغيت في ولاية فرجينيا من هذه الكتب المؤلفات " المربحة" (اطلق هذا المصطلح على هذه النوعية من الكتب) من نوع " مغامرات هيكير فين". ويؤكد شياطين الظلام ان كاتبا مثل مارك توين ".. ضار بالشباب". وتدخل ضمن قائمة الكتب "الراديكالية" المعادية لامريكا والتي لا تلائم القوى الرجعية في الولايات المتحدة.أصحاب البيت الابيض، كتب مثل "وداعا ايها السلاح لارنست همنغواي و" عناقيد الغضب" لجون شتاينبك و" العجزرة رقم ٥) لكورت فونيجوت

وبالطبع فقد ادرج في " القائمة السوداء في ولاية مان كتاب الطبيب ر. غليسر" ٣٦٥ يوما" الذى يتحدث فيه عن الجرائم التي ارتكبتها العسكرية الامريكية في فيتنام. وقد تعرض كتاب ب.توماس" هذه السواحل الفظيعة" لنفس المصير. والكتاب يصف المصير المأساوي لابناء بورتوريكو الذين يعيشون في نيويورك .

وفي الوقت نفسه لا يمس اطلاقا" في النضال من اجل النقاء الاخلاقي" الادب الذى يمجد العنف والخلاعة. وبالطبع فان، هذه المقاييس لا تنطبق على الكتب التي تنادى بالعنصرية والحرب. وعلى اساس هذه المقاييس يتم كما في السابق (وحتى اطار بدرجة اكبر من ذي قبل) اغراق سوق الكتب الامريكية ، واخيرا يتم احراق الكتب "غير الملائمة ".

ففي ولاية مينيسوفا تم احراق رواية هاربر لي" اقتل المهرّج (التي تفضح العنصرية في الولايات المتحدة. وفي ولاية داكوتا الشمالية نظمت عملية احراق فونيجوت وشتاينبك وفولكلر وازيموف علانية... ويبتهج جورج زاريس، وهو واحد من المبادرين لاجراء هذا الحرق العلني على الطريقة الامريكية" انها لسعادة ان تتملك الرغبة في احراق كتاب يتضمن افكارأضارة".

على أية حال،فان احراق الكتب ليس امرا جديداًفي تاريخ البشرية. فقد حدث هذا في عصور محاكم التفتيش...

وحدث هذا منذ مدة غير بعيدة في عهد النازية .

ان جنون الجهل في مسيرته واكوام الكتب المحروقة، "الحملات الصليبية" الامريكية المعادية للانسانية ، كل هذه الامور هي الاغراض البادية تماما في الحياة المعاصرة للولايات المتحدة الامريكية .

"عن " طريق الشباب" مجلة يصدرها اتحاد الشباب الديمقراطي اليحراني

Digitized by Birzeit University Library

كم «يكلف» الطفل !

كل سنة يرى النور في الاتحاد السوفييتي أكثر من ٥ ملايين طفل ، ولكن العناية بكل منهم تبدأ قبل الولادة بزمن طويل ، فان الام المقبلة تخضع لرقابة اطباء المركز الاستشاري النسائي . والولادة الطفل تكلف (مع المساعدة المالية) الفي روبل . والرعاية بالطفل ، وخدمات اطباء الاطفال والملقحات ، والتحاليل ـ كل هذا ، مثل اى من الخدمات الطبية ، على حساب الدولة .

والدولة تقدم كذلك للعائلة مساعدة مادية مباشرة تتزايد مقاديرها باستمرار ، مع نمو القدرات الاقتصادية لدى الدولة . ففي سنوات الخطة الخمسية الحادية عشرة (١٩٨١ ـ ١٩٨٥) بالنسبة الى اجازة الاربعة اشهر ، المقررة من قبل الولادة ، والمدفوعة الاجر كليا لمناسبة الحمل والولادة ، اجازة مدفوعة الاجر جزئيا في صالح الام التي تشتغل حتى بلوغ الطفل سنة واحدة من العمر . وزيدت مقادير المعونات المقطوعة في حالة ولادة طفل ، ومقادير الاعانات للامهات الوحيدات اللواتي يربّين طفلا بدون زوج ، وما الى ذلك .

اعالة الطفل في مؤسسات الاطفال ما قبل المدرسية تكلف بالمتوسط ٦٠٠ روبل في السنة ، و٨٠ بالمئة من هذه النفقات تتحملها الدولة . والعائلة التي تربّي ولدين توفّر بالتالي في ميزانيتها السنوية ٨٠٠ ـ ٩٠٠ روبل . ثم ان " الاشتراك الابوي " ، التافه بحد ذاته بالنسبة للعائلات الكثيرة الاولاد ، تم تخفيضه الى النصف

كبر الطفل وبدأ يتردد على المدرسة .. لا يتعين على الاباء ان يدفعوا تكاليف التعليم ، فان التعليم بجميع انواعه ودرجاته ـ من المدرسة الى الجامعة ـ مجّاني في الاتحاد السوفييتي . والواقع ان نفقات التلميذ في السنة تبلغ في مدارس التعليم العام اكثر من ٢٠٠ روبل في السنة .

يتلقى التلامذة الكتب مجانا . وحين تنتهي الدروس في المدرسة ، ليس جميع التلامذة يعودون الى البيت ، فان ثلث التلامذة من الصف الاول الى الصف الثامن يبقون في المدرسة ، فيما يسمّى بفريق اليوم المطوّل . وتحت رقابة المعلمين المربّين ، يتغذون ، ويتنزهون ويستريحون ويهيئون الواجبات البيتية . ناهيك بأن من الممكن اعفاء الوالدين من دفع بدلات الاكل كليا أو جزئيا ، تبعا لمداخيل العائلة .

في الصيف يقضي التلامذة باغلبيتهم العطلة

Digitized by Birzeit University Library

في أحضان الطبيعة . في السنة الماضية، استراح ١٦ مليون تلميذ في ٧٠ الف مخيم صيفي في ضواحي المدن . واعالة التلميذ في غضون النوبة الصيفيّة (٢٦) يوما) تكلّف زهاء ١٠٠ روبل . وينال الوالدون نصف البطاقات مجانا، والبطاقات الباقية يدفعون ٢٠ بالمئة من ثمنها .

الاضافة " غير المنظورة" الى ميزانية العائلة محسوسة جدا ، ففي سنة ١٩٨٥ تلقت العائلة التي عندها ولدان مدفوعات وتسهيلات وتقديمات مختلفة بمبلغ يربو على الفي روبل .

تنص الخطة الخمسية الثانية عشرة (١٩٨٦-١٩٩٠) التي بدأت في هذه السنة على جملة كبيرة من الفوائد والتقديمات الجديدة. فمن المرسوم ،مثلا، زيادة مدة الاجازة المدفوعة الاجر جزئيا للعناية بالطفل حتى بلوغه من العمر سنة ونصف سنة، وزيادة المساعدة للعائلات القليلة الدخل ،وبناء مؤسسات جديدة للاطفال ما قبل السن المدرسية تتسع لثلاثة ملايين طفل.

برتشينـــــــوك
عن مجلة "الاتحاد السوفييتي"

بالارقـــــــام

==========

يشهد العالم تقدما تقنيا لم يسبق له مثيل ، ولعل ما يلفت الانتباه، ما تشهده بعض الدول الاشتراكية اليوم ، من تقدم في هذا المضمار، فاق في بعض منها الدول الرأسمالية الغربية، ففي الاتحاد السوفييتي على سبيل المثال تبلغ نسبة الحلول التكنيكية الجديدة المسجلة ما نسبته ٢٠٪ من الحلول المشجلة فيمختلف بلدان العالم ، فقد اعطى الاتحاد السوفييتي زهاء ٧٠٠ الف براءة اختراع في السنوات العشر الماضية فقط، وعلى سبيل المقارنة، فقد سجل في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٠ ، ما مجموعه ٨٢٫٦٠٠ اختراع ، بينما تم في نفس الفترة في الولايات المتحدة تسجيل ٨٠ الف اختراع ، وفي اليابان ٥٠ الف ، وفي كل من انجلترا وفرنسا ١٠ الاف ، وفي المانيا الغربية ٨ الاف اختراع .

ويسعى الاتحاد السوفييتي الى الافادة من الاختراعات المسجّلة لديه، حيث باع اكثر من ٧٠٠ اجازة بين السنوات من ١٩٧٦ – ١٩٨٠ ، وازداد الطلب على الاختراعات السوفييتية بنسبة ٥٠٪ في السنوات الخمس الماضية، حيث بلغ عدد الاجازات السوفييتية المباعة في ٦٠ بلداً .ما مجموعه ٢٠٫٠٠٠ براءة اختراعات سوفييتية ، وهي في ازدياد مضّطرد ، حيث بيعت في السنوات الماضية فقط ١٩٠٠ براءة اختراعات، وهناك اتفاقيات بصدد الاجازات السوفييتية معقودة مع الولايات المتحدة ،اليابان، كندا ، فرنسا، انجلترا ، ايطاليا ، المانيا الاتحادية وغيرهـــــا .

Digitized by Birzeit University Library

نظرة على مسرحنا المحلي

ادار الندوة : خالد البطراوى .

الشاركون :
==========
احمد ابو سلعوم
درويش ابو الريش
عادل الترتير
ابراهيم خلايلة
محمد بطراوى

في بداية الندوة، اثير موضوع ارشفة المسرح المحلي، رغم اتفاق الجميع على اهمية الارشفة، الا ان الخلاف ظهر في مجموعة من القضايا المتعلقة بالموضوع ذاته، بين اختلاف في تعريف الارشفة واختلاف على الجهة التي يجب ان تهتم بذلك، وعليه فقد اختتم النقاش حول الموضوع بمتابعته من خلال الحوار بين المسرحيين انفسهم ممثلين في فرقهم المسرحية بالاضافة الى محاولة صياغة رسالة مشتركة تتضمن تصورات محددة تتعلق بهذا الموضوع، وتوجيهها الى مجلس امناء مسرح النزهة ـ الحكواتي ، ولذا ارتأت "الكاتب" عدم نشر الجزء المتعلق بهذا الموضوع اجتهادا منها بامكانية متابعة الموضوع وبلورته بشكل اكثر تحديدا

محمد :

ارغب في الانتقال الى موضوع آخر، يتعلق بنظرية المسرح والاداء المسرحي. الاداء المسرحي ارغب في الحديث عنه لاحقا، ولكنه مميز عن المسرحيين بالخبرة الذاتية الفطرية والتي يغلب الطابع الساذج البسيط عليها، حيث يتخذ بعض المسرحيين شكلا معيّنا ولا يستطيعون الخروج منه . وانا شخصيا اتصور ان العمل المسرحي المحلي مهمة تتلخص في خلق جمهور مسرحي، دائم، خلق فنيين مسرحيين بمعنى الكلمة قادرين على استغلال جسدهم واصواتهم، خلق ثقافة مسرحية للممثلين انفسهم لان فاقد الشيء لا يعطيه ،حيث ان الثقافة هي وجهة نظر متكاملة في الحياة، ثم الاداء المسرحي، واقصد بالاداء المسرحي، الصنعة المسرحية، وفي البداية يطرح السؤال نفسه، ماذا اريد ان اقول عن العمل المسرحي ، ما هي الشواهد التي يجب ان استغلها واوظفها لدعم وجهة النظر التي ارغب في التطرق اليها، وحبذا لو تواجد اكبر عدد ممكن من الشواهد ماهي الاطر العامة التي

Digitized by Birzeit University Library

تجمع هذه الشواهد .

هناك قضية اخرى، الممثل عندنا تأثر بالمسرحيين العرب، والتي تناقلت الاذاعات اعمالهم، والممثل عندنا يجب ان يكون شخصية ما، شوكو له مظهرة الخارجي، اسماعيل ياسين له فم عريض وهكذا، اصبح عندنا الشكل الخلقي هو مصدر الاضحاك او العكس، ولكن لماذا لا نوظف نحن العمل، الفعل لكي يصبح المصدر . واود ان اضيف قضية خطيرة يجب ان نبتعد عنها تتلخص

في مسرح الشعارات، لماذا لانه لا يخدم الا التنفيس، لا اكثر ولا اقل ، وفي نفس الوقت استخدام مسرح الشعار ما هو الا تغطية على النقص الكبير في مقومات العمل المسرحي. المسرح فن والفن بحد ذاته يجب ان يخدم الحياة ويخدم القضية السياسية، المسرح السياسي ليس ان تحمل "كلاشنات" " خشب، المسرح السياسي خلق وابداع، انظروا بريخت وغيره كيف غيروا في المسرح وخدموا رؤياهم من خلاله وبتصوري ان كل سياسي قدير يملك عقلا يتحرك بطريقة فنية معينة، وليس بشكل مجرد، انا بتصوري ان المجرد هو الشعار السياسي على المسرح ، اما ما يخدم الطرح السياسي هو الخلق السياسي، تحريك الناس على المسرح، محاكمتهم سياسيا .

هذا باختصار ما ارغب في ان نوجه عنايتنا له في هذه الندوة .

درويـــش :

ارغب في اضافة قضية اخرى، اغلبية الاعمال المسرحية، وتحت ذريعة الادعاء ـ واؤكد على هذه الكلمة وآسف لها ـ بالحرص على عرض الواقع بمشاكله وكافة قصصه، يتناسون اهم شيء في الثقافة الدرامية في العالم ، نحن نبعد عن شكسبير لكونه لا يقترب مع مسرح الشعارات الذي تحدث عنه ابو خالد، انا ارى ان المسرح العالمي يسلم بقضايا عديدة، نحن بعيدون جدا عن رؤيتها بشمولية. على سبيل المثال انا ارى في مشهد حفار القبور في مسرحية هاملت اقرب ومعبرة بشكل اكثر جمالية من مسرحية تغريب العبيد بأكملها ، قد اكون فعاليا بعض الشيء ولكنها وجهة نظر عندي . يوجد العديد من المسرحيين عندنا غير مطلعين مطلقا على اعمال مسرحية عالمية، وارى ضرورة الاطلاع على هذه الاعمال .

محمـــد :

انا ارى صورة اوسع من ذلك، ارى انه ليس فقط على المسرحيين ان يطلعوا، بل يجب ان يرى الجمهور ذلك .

خالـــد :

ارى ان الموضوع قد تشعب كثيرا، وحيث اننا نتحدث عن الاطلاع وما شابه، دعوني اطرح عليكم سؤالا كيف يمكن ان نخلق جمهورا مسرحيا، وكيف يمكننا ايجاد ممثلين مسرحيين، وكيف يمكننا ايجاد نقاد مسرحيين

احمـــد :

ارى ترابطا في المواضيع المطروحة، لا

Digitized by Birzeit University Library

يمكننا خلق جمهور مسرحي في ظل انعدام مسرحيين. دعونا نقول عبر تجربة منذ مطلع السبعينات، يمكن ان نزعم انه في السنتين الاخيرتين وجد جمهور مسرحي يتردد لحضور المسرحيات، ولذلك اسباب، اهمها وجود مركز يتوافد اليه كل من احب المسرح على الاقل القاطنون في مدينة القدس ومواحيها. فهل ذلك خلال اعوام ١٩٧٠ — ١٩٨٤، وجد جمهور مسرحي، واحيانا باعداد كبيرة، واذكر بهذا الخصوص مهرجانين احدهما في رام الله والثاني في القدس.

وفي تصوري يوجد عدة اسباب لانحسار الجمهور المسرحي، مقارنة بالمسارح العربية والعالمية، اسباب اقتصادية، امنية، عدم الاستقرار، اتضح ذلك في الفترة الاخيرة، عندما تصاعدت الاحداث في عقبة الخالدية وساحة السرايا، كانت القاعة شبه خالية، ايضا المحاولات المسرحية التي تحدث عندنا، احيانا لاتحظى بهذا الاهتمام، بينما تحصل على الطرفات، كمسرحية المتشائل مثلا، المعروفة كقصة لكاتب كبير اضافة الى الدعاية المنطلقة بالمسرح البلدي في حيفا.

وتعاني فرقنا المسرحية من انعدام تغطية اعلامية، وقد نجحت بعض الفرق في اجتذاب جمهور مسرحي كبير، مثلا في مسرحية كلاب وارقام، في البداية كان الحضور قليلا، وقلنا لاحقا شاك تذاكر المركز لا تكفي، ونشره المركز لا تكفي، من المفروض ان نتحرك، ونستطلع في العروض اللاحقة ان نوفر جمهورا، والذي يدعي ان الجمهور المسرحي لا يتواجد لانعدام مستوى مسرحي، في تصوري انه غير صحيح اطلاقا، ولكن توفير جمهور مسرحي لاعداد اكبر يتطلب اضافة الى الاعمال الجيدة لاستقطاب، تغطية اعلامية وحركة نقدية بعيدة عن المديح من ناحية والتجريح من ناحية اخرى واستطيع القول منذ ستة اشهر تواجد اهتمام اعلامي افضل بالمسرح، نرى كتابات نقدية جادة في الكاتب، نرى ايضا تعليقات في الصحف المحلية، حتى جريدة القدس كتبت ومؤخرا للاسف الشديد اوقفت صفحتها الخاصة بالفنون التشكيلية والمسرحية.

خالد:

لغاية الان لم تجبني عن شق من سؤال وكيف بامكاننا خلق مسرحيين، او بدقة اكثر كيف بامكاننا تطوير قدرات المسرحيين لدينا وليس خلق مسرحيين؟.

أحمد:

اذكر في احدى الجلسات، ذكر احد الزملاء المسرحيين ان الجيل المسرحي الحالي جيل ميؤوس منه، وانا ارى ان هذه المقولة تفتقد لقواعد المنطق، يوجد مسرحيين، وتوجد محاولات لاعمال مسرحية، ولكنها ليست ما نطمح اليه، طرحنا وقتها اربعة نقاط منها اقامة مكتبة مسرحية، محاولة جذب فنانين قادرين على اعطاء ما نفتقد او نجهله من دولة صديقة او من دول ليس بالضرورة ان تكون صديقة وانما هم انفسهم اصدقاء، او محاولة ارسال مسرحيين محليين في دراسات ودورات ميدانية الى الخارج للاستفادة من خبرات المسرح العالمي وبالذات في الدول الاشتراكية، ومن ثم الاستفادة من اولئك المبعوثين.

نقطة اخرى، وجود صحافة جريئة ونقاد موضوعيين، بتصوري ستمكن من فرز مسرحيين

Digitized by Birzeit University Library

جيدين ومسرحيات جيدة، وبالتالي من خلال هذا النقد الجاد اتصور ان عملية مراجعة لكافة قدراتنا واعمالنا تكون واردة . جرى ذات يوم ندوة بدعوةمن مجلة العودة، تكلمنا يومها كيف بالامكان ان نخلق مسرحا افضل، وقلت يومها ان الحركة المسرحية عندنا عصامية، تعتمد على نفسها بنفسها ـ لا اقصد الكل في ذلك ـ وتساءلت اين دور الجامعات المحلية لدينا . قضية اخرى يوجد ما استطيع تسميته عروض عائلية، بمعنى يوجد نوع من الحصر، اى من تحضير مسرحيات لاحمد ابو سلعوم لا يحضر لغيره. ونفس الامر مع المسرحيين الاخرين، حيث العلاقات دعوني اسميها المكهربة . كثيرا مانسمع ان فلان قال كذا وغيره قال كذا، ونحن ايضا لانقصد في ذلك .

درويش:

للاسف الشديد لم تقم فرقة مسرحية لغاية الان باجراء بحث ميداني لمعرفة سبب المد والجزر في الحضور. ويلزم الفرق المسرحية تعاون اكثر فيما بينها .

وبتصوري، اننا كمسرحيين لا نرى الجمهور الا من منظار واحد ضيق جدا، من المنظار الايديولوجي مسرحية تتحدث عن الطبقة العاملة يجب ان تحضرها الطبقة العاملة فقط.

عادل :

انا ارى ارتباطا في الموضوعين المسرح والجمهور، كما ان المسرح ما زال في بداياته ،فان الجمهور لم يشعر بعد بعمق ارتباطه بالمسرح . ارغب باضافة قضية هامة وهي ان تسعى الفرق نفسها الى الجمهور وليس بالضرورة فقط ان تعرض المسرحيات في مسرح الحكواتي في القدس؛ ادرك الصعوبات في ذلك ولكن يجب المحاولة. وبخصوص الجمهور ارى ان الجمهور المسرحي يتواجد على العمل ، اما للعلاقات الاجتماعية مع الفرقة المسرحية او دعوني اسميها الجمهور الفئوي. وهذا النوع من الجمهور ليس جمهورا مسرحيا. وبخصوص الاعمال المسرحية العالمية، ارى ان الجمهور المحلي يدخل قلبه اسرع القضايا التي يعاني منها يوميا . ارى ضرورة ان يتعرف المسرحيون على الاعمال المسرحية العالمية ليكتسبوا خبرة ومن ثم يقومون بتوظيفها في مسرحنا المحلي. ارى ايضا ضرورة ان توجه الجامعات عناية اكبر بالمسرح المحلي. ولا اتفق مطلقا مع مقولة ان المسرحيين الحاليين ميؤوس منهم ، هم الموجودون الان ويجب ان نعمل على تطوير قدراتهم ومساعدتهم شيئا فشيئا .

ابراهيم :

ارغب في التطرق الى مواضيع جرى الحديث عنها ، كي نصل الى جمهور النخبة، يجب ان يكون لدينا كمسرحيين القدرة على التوصيل ، والوصول الى الجمهور، ثم يجب اذا ما استطعنا الوصول الى الجمهور ان نقدم له عرضا جيدا ، وايضا ان تقدم مسرحيات جديدة ومجددة، تتطرق الى جوانب اخرى من جوانب الحياة الانسانية . اهم قضية في تصوري لخلق مسرحيين تتلخص في احترام المسرحيين انفسهم للمهنة المسرحية، يتطلب ان نتعب على انفسنا اكثر، احتراما لبعض اكثر ان نتوجه الى الدورات المسرحية المتعددة.

Digitized by Birzeit University Library

ذا حققنا هذه الامور في تصورى مستقبلا يكفي
ن الاعلان عن المسرحية في الجريدة او حتى في
جزء المركز .

خالـــد :

طرحت قضايا عديدة، وبتصورى قبل
التفكير في كيفية خلق جمهور مسرحي ، يجب
ان نقوم بتأصيل بعض العادات المسرحية فيما
بيننا، كيف نتعب على انفسنا كيف نحترم
بعضنا، نحترم جهوده ونقدرها ، معنيون ايضا
بالخروج عن النمط التقليدي في عملنا ،
علاقاتنا مع الفرقة كجمهور يجب ان
لا نقتصر على مشاهدة العمل المسرحي ، بل اذا
امكن حضور البروفة وايضا مناقشة العمل
المسرحي بعد عرضه، حبذا لو تخصص ندوات
حول هذه المواضيع ، وقضية جيدة اود التنويه
اليها، وهي تقديم اعمال مسرحية بتعاون
مشترك بين الفرق او بين اشخاص من الفرق ،
من الضرورى تكريس هذه الامور كنهج في
التعامل فيما بيننا ، كمسرحيين فيما بينهم ،
كمسرحيين مع الجمهور .

والعلاقة مع الجمهور حساسة، اذ ليس
بالضروري ان نقتل ابداعنا الفني لارضاء مزاج
معين، وليس كما قيل سابقا ، ان يرسم الفنان
بيده بالاربعة الوان ليثبت انه فلسطيني .

وبخصوص العروض في مواقع غير المركز ،
انا شخصيا اقدر الظروف الموضوعية والمتمثلة
بشكل اساسي في اجراءات الاحتلال ، ولكن
يجب ان نحاول ، واذا جوبهنا بأمر عسكرى ،
نحول ونثير ضجة حوله كجزء من الممارسات
ضد الحركة الثقافية . بامكاننا التوجه الى
الجامعة في عروضنا المسرحية .

بقلنا هذا الى تساؤل ، ما هو المسرح
الذى نريده، وهل دورنا كمسرح ان نفصل
تفصيل على اهواء المشاهدين .

ابراهيـــم :

ارى ان المسرح الذى نريده هو الذى
يجب ان لا ننافس فيه سياسيو البلد ، بمعنى
ان نقف على خشبة المسرح او تقول عاشت
م.ت.ف نحن كمسرحيين لنا وجهة نظر في
الحياة ، في الحلول للمشاكل التي تواجهنا .
واود ان انوه لقضية هامة الناس هنا واعية
وليس مهمتنا ابدا كما يقول البعض ان
"نوعيهم" ، ارى ايضا الصدق مع النفس
ضرورى جدا لخلق مسرح مناسب ، ارى ايضا ان
نكون واقعيين ، علميين ارجو ان لا يفهم من
حديثي هذا انني لا ادعو لان يكون مسرحنا
ذو صبغة سياسية، ولكن باسلوب بعيد عن
مسرح الشعارات .

عـــادل :

ارى ان مسألة المسرح المناسب مسألة
نسبية، وتختلف من شخص لاخر ، ركزنا كثيرا
على مسرح الشعارات ، انا ارى في السنوات
الاخيرة ان هذه المسألة قد خفت بشكل ملحوظ
وحتى لو وجدت ، ارى ان الجمهور نفسه اصبح
يرفضها ، اقرب ما نستطيع الوصول فيه الى
الجمهور ، هو تناول اعمال لها ابعادها
الانسانية ، ومطالب المسرح ان يعالجها
باسلوب فني يجذب الناس اكثر ويرى فيها
اسلوب غير عن التلفزيون اوالمسرحيات
العربيـــة .

وارى انه من المفيد جدا ، ان تحاول كل
فرقة ان تجد الشكل والنمط المناسب للوصول

Digitized by Birzeit University Library

الى الجمهور، فرق تعرض اعمالا عالمية، فرق تعرض مسرحيات شعبية، يوجد ظاهرة اود الاشارة لها، تحاول الفرق ان تثبت وجودها عن طريق الاكثار من العروض المسرحية لاعمال مختلفة، عن طريق تأليف ارتجالي او نص عالمي، واصبحت العمليةكمية تفتقد احيانا الى النوعية . وجميل جدا ان تضع الفرقة حدا لموعد تقديم المسرحيات ، ولكن ان لا يكون هذا الحد على حساب العمل المسرحي وجودته، وعندما تواجهه الفرق الجمهور والنقاد تتعذر بضيق الوقت. هذا ليس مبرر وليس الذنب هنا ذنب الجمهور، ونحن نعمل بشكل تطوعي ولسنا متفرغين، وان كنت قد سمعت من قال ان المسرح اليوم اصبح مهنة، ولكنني لا اتصور ان المسرح قادر على ان يعتاش منه المسرحي .

في بداية السبعينات، استطيع القول ان العملأخذ حيويةأكثر من اليوم، وجد الحماس ، هذه الايام ،اذا لم يتوفر للفرقة الامكانيات والميزانية للقيام بالعمل لا تستطيع الفرقة العمل. لنفترض ان هذه المصادر المالية توقفت عن التمويل ، ماذا ستفعل الفرق المسرحية .

اذكر كم كنا نعاني لاخراج عمل مسرحي باقل تكاليف ممكنة، الان يسود الاعتقاد ان وجود الانارة المتعددة والاصوات المتنوعة والميكروفونات وماشابه، مفترضين ان هذه العوامل تجذب الجمهور، وحاليا نكتشف ان هذا المسرح ليس بالمسرح المناسب، انا ارى ان الناس معنية اكثر بموضوع العمل المسرحي ضمن وسائل التعبير المتنوعة وبالذات حركة الممثل وكافة امكانياته .

درويـــش :

ارى ان عادل اجمل الموضوع، ولكنني اود التأكيد على الاداء المسرحي، مثلا المسرح اليوناني القديم كان يعتمد على النص المسرحي واداء الممثل ،وبالذات جسم الممثل الاعتماد على الممثل كرأسمال مناسب هو الاساسي. ومن الضروري ان نستفيد من التراث العالمي ،جزء من المسرح المناسب هو الاداء المناسب .

ابراهيـــم :

لدى تعليق بسيط ،ارجو ايضا في المقابل ان لا يبقى تفكيرنا مثيرا، وارى انه يجب باستمرار ان نستخدم ما نحن بحاجة له ، وبالطبع ضمن قدرتنا ، يعني اذا اردنا في عمل مسرحي ما كرسيا من الذهب، ليس بالضرورة ان تحضر كرسيا من الذهب الخالص، تحضر كرسيا وتطليه باللون الذهبي، لكن من المفروض ان نحضر الكرسي .

أحمـــد :

يوجد العديد من الامور تطرق لها عادل انا لست ضد الشعار، لاننى ارى ان الشعار يعني تجنيد طاقات امه لتنفيذه. وانا واحد من ابناء هذا الشعب الذىاشعر اننا نعيش واقعا قاسيا وبالتالي يجب ان اعمل بكل ما في وسعي لاعادة حياة حرة كريمة يجب ان يتمتع بها شعبنا . وجدنا اسهامنا عبر المسرح، وطالما اننا نقول عن انفسنا فرقا ملتزمة، فيجب ان تكون جزءا من اداة التغيير يمضي جزءا من محاولات ازالة البؤس واليأس عن

Digitized by Birzeit University Library

حنا . وانا في ظل الوضع الراهن ضد مسرح
الحنة، لذلك سعيدا انفسنا فرقة المسرح
الحي " سنابل" معنيين بالكادحين بشكل
خاص، ونحاول باستمرار ان نكسرقوقعة المسرح
في مدينة القدس، من الضروري ان نوسع
يلاقاتنا ان نتوجه الى المؤسسات المختلفة
إلى النوادي، القرى والمخيمات .
أي سررت من مسرحية تغريب العبيد، ليس من
المسرحية نفسها، وانما لكوني رأيت حضورا لم
يسبق له ان دخل المسرح، هذا جيد بحد
ذاته، وآمل ان يحصل نوع من التعاون بين
الفرق المسرحية لجذب جمهور اكبر للاعمال
المسرحية بغض النظر عن الفرقة التي ستعرض
هذه الاعمال .

احمـــد :

اود التعقيب على ما قاله احمد هنا،
الشارحيانا يأتي كدعاية لعدم قناعة، اما
المزايا الواضحة حيث يعرف الانسان ما الذي
يريد قوله ولماذا، وماذا يخدم في عملية
التغيير الكلية هذا هو المسرح بحد ذاته .

خالـــد :

ما فهمته من مجمل الحديث ان المسرح
المناسب هو الذي يعبر عن حاجات وطموحات
الجمهور فيما لا يقتل ابداع الفنان، عن
اساس الجمهور، المسرح المناسب هو الذي
ينطلق من قدراتنا، قدرات ممثلينا دون
الاعتماد على مصادر تمويل خارجي لان هذا
يضعف ارتباطنا بالجماهير، المسرح المناسب
ايضا هو الذي ينطلق من الامكانيات المتاحة
لنا والتي نحاول باستمرار ان نزيد من هذه
الامكانيات وان نضع تصورات وطموحات لاحقة
ايضا نحن بحاجة لمسرح تعليمي، ومسرح
اطفال، ايضا نحن بحاجة الى المسرح
الانساني .

أحمـــد :

بخصوص مسرح الاطفال ،بتصوري، انه من
المفروض ان يسبق ذلك عملية تربوية بمعني
كيف يمكنني الطلب من طفل الحضور للمسرح
طالما والده لا يحضر .

خالـــد :

ولكن يوجد قنوات غير الاهل لتوعية
الطفل، الاهل بلا شك يلعبون دورا مميزا،
ولكن يوجد اضافة لذلك المدارس والنوادي
وغيرهـــا .

أحمـــد :

بالضبط ،ولكن بخصوص المدارس،
المدارس في القدس مثلا نوعان، يوجد حوالي
اثنتان وثلاثون مدرسة تابعة للبلدية،تعارض
وصولك كمسرح للمدارس ، وان وصلت
فبالشكل الذي يريدونه .

ابراهيـــم :

هل قمت بالتجربـــة ؟

احمـــد :

في الحقيقة قمنا بتجربة ولكن ليست كاملة

Digitized by Birzeit University Library

خالـــد :

دائما نتحدث عن الظرف الموضوعي والمضايقات، ولكننا لم نسعى لخرق هذا الظرف الموضوعي، كمحاولة على الاقل .

ابراهيـــم :

بتصوري ان من افضل اعمال جورج ابراهيم توجهه الى المدارس في عروض مسرحية، وقد توجه العديد منهم لحضور مسرحيات خارج المدرسة، في المركز عندنا، هذا بتصوري جزء من عملية تربية، عملية خلق جمهور مسرحي .

أحمـــد :

لنا تجربة غيركاملة . ونحاول الوصول الى طلبة المدارس، ولكن حقيقة ليس عبر مسرح الاطفال. التجربة لم تكتمل وبتصوري انهاصعبـــة .

خالـــد :

على ما اذكر ، كان لدى درويش تصور عن مسرح عرائس ما هي الاخبار الان ؟

درويـــش :

واجهت مشاكل كثيرة بهذا الخصوص، الفكرة موجودة ولكن للاسف الذى عهد اليه بكتابة النص لم يكتب صفحة واحدة لغاية الان.

خالـــد :

كما هو معروف، يوجد نوادى للاطفال تنظم نشاطات مختلفة في العطلة الصيفية، ويوجد نواد تستمر ايام العطل الاسبوعية والحقيقة عالم الطفل عالم واسع ، ومن خلال تجارب مخيمات الاطفال يكتسب الفرد خبرات عدة، ولعلكم حضرتم بعض احتفالات هذه النوادى في مركز الحكواتي ،وتجسد في الاحتفال قدرات الاطفال الكبيرة، ولو قمتم بزيارة نادى الجمعة في مدينة رام الله، لامكنكم تلمس هذه القدرات ، الاطفال بحاجة لان تتوجهوا اليهم ، المرشدون انفسهم بحاجة لطاقاتكم ، على سبيل المثال، بحاجة لكم عند رواية قصة للاطفال ، مصحوبة بحركاتكم المعبرة عن اشخاص القصة .

أحمـــد :

الحقيقة لنا بعض العلاقات مع مخيمات الاطفال في جمعية الشباب وايضا مع مركز الارشاد ، وايضا مع لجان الطلبة، توجهنا للجميع ، وعلى استعداد للتوجه مجددا بقدر استطاعتنا ، وللحقيقة ، لغاية الان ، واقولها بكل اسف لا يوجد لدينا اية تصور حول مسرح الاطفـــال .

عـــادل :

اود التنويه الى قضية هامة ، الطفل يتلقى باستمرار ،ومن هنا تنبع ضرورة ان تقدم اعمال مفيدة، كي نساعد في تلقي الطفل لجوانب نافعة، بعيده عن الغيبية. وهذا يحتاج الى اخصائيين في مجال ادب الاطفال ،وفي المسرح بشكل خاص. طالما اننا نتحدث

Digitized by Birzeit University Library

في مسرح الطفال، فليكن النظر اليه بشمولية وبشكل مرتب ومتخصص .

محمـــد :

لقد كانت خطوة جيدة ،عندما قام راضي بتدريب اطفال لمسرحية اطفـــال .

عـــادل :

بحد ذاتها التجربة كانت جيدة، ولكن النتائج لم تكن بالمستوى الذى توخيناه، لانه عندما قام الاطفال بالتمثيل لم نر العرض موجه للاطفال ام للكبار .

خالـــد :

دعونا نقول، ان النوادى، المسرح، الملاعب وما شابه، ما هو الا بديل عن النمط التقليدى لحشو ذهنية الطفل بمعلومات غيبية عن طريق المدارس، حيث تبرمج المدارس عقلية الطفل بشكل يجعله يسلم بأمور وسلطات لاحقا دون التعمق فيها من وجهة نظر علمية. ولعلنا جميعا ضحايا هذا الاسلوب التعليمي . وهنا تكمن مهمتنا في السعي للخروج من هذا الاطار التقليدى المدرسي .

وفي الجانب الاخر، ذكر عن مسرحيين الكبيين، لا اعرف، هل كانوا اضافة نوعية او كمية ، وأحيانا عند دخول الزائر والمشاهد الى المركز، يتناهى الى مسامعه كلمات او اسماء بريخت، ستانيسلافسكي، وغيرهم .

بتصورى من المفروض ان يكون لدى الكلبيين المسرحيين عملا اكثر جدية ، برنامجا واضحا ، ندوات ، دورات تطوير ذاتي لمعلوماتهم ، لان الشهادة في نظرى ليست الطريق لكسب مصداقية معينة .

وكوننا في بداية مسيرتنا المسرحية، يجب ان نسعى دوما، ونطرق كافة الابواب، نتوجه للمؤسسات والنوادى والجمعيات ، وكذلك يجب ان نتوجه الى جامعاتنا المحلية لادخال مساقات مسرحية تعتبر جزءا من ساعات معتمدة ،ولا ينفي ذلك ان يكون لدينا سعي لايجاد كليات تدرس المسرح، يوجد افاق رحبة لعملنا ،ويجب ان لا يقتصر تفكيرنا على ما الذى سوف نعرضه من مسرحيات .

لقد انتهت اسئلتي، وارغب في ان اسمع ماذا لديكم من مشاريع ، كاشخاص ، كفرق مسرحية .

أحمـــد :

حاليا نعمل على مسرحية مأخوذة عن قصة " عائد الى حيفا "المشهورة لغسان كنفاني ،ونأمل اذا ما سارت البروفات حسب ما هو مرسوم لها ، ان تعرض مسرحيتنا في ٢٦ او ٢٧ اذار، والحقيقة انه لدينا طموح لان يكون لدينا رؤية لعملنا خلال فترات لاحقة بعيدة.

درويـــش :

بخصوص مشاريع صندوق العجب، ساترك المجال لعادل للحديث حولها . اعمل حاليا مع شباب هواة في مسرحيات قصيرة، وحاليا ادرس موضوع مسرح العرائـــس .

عـــادل :

الحقيقة لا اعرف ما الذى اريد قوله،

Digitized by Birzeit University Library

لانني لا اريد ان اعد احدا بشيء ، ولا نقوم بتنفيذه، يوجد مشروع لمسرحية مونودراما ترجمت في عام ١٩٦٢ من قبل ابو خالد ، وقام خالد باعداد مسرحي لها ، حاليا يجرى حديث مع الحكواتي للمشاركة في المسرحية.

أحمـــد :

اود الحديث عن نقطة فاتتني ذكرها ، جرى بيننا كفرقةسنابل والمسرح الفلسطيني حديث.وتقريبا يوجد شبه اتفاق على ان نبدأ بعمل مسرحي مشترك في ايار ربما مسرحية " "حفل ارتجال من اجل العمال" ، وبتصورنا سيكون ردا على " تغريب العربيد ".

ابراهيـــم :

اريد في البداية ان اعبر عن عدم ايماني بالكم العددى ، لدينا برنامج لغاية عام ١٩٨٨ ،لدينا تصورات لعرض تغريب العبيد لغاية شهر آب ، واامامنا هدف عرض هذه المسرحية خمسون عرضـــا .

خالـــد :

وماذا بعد تغريب العبيـــد .

ابراهيـــم :

يوجد تصورات لاعمال لاحقة .

خالـــد :

في النهاية ، اشكركم جميعا على تلبيتكم دعوتنا هذه ، آملين ان تكون ندوتنا هذه قد خرجت بما توخيناه ، متطلعين لان نتابع لقاءاتنا مع مسرحيين اخرين لمتابعة هذا الحوار الخلاق .

Digitized by Birzeit University Library

من صفحات مخيم

منصـــور محمـد عكـــاري

.... جالـس في ساحة الحارة في المخيم .. أجـساد اطفال بالية، نصف عارية تلعب امامي ... وتتشاجر على النفايات من وطأة الجوع .. هناك طفل يبول على حائط كتب عليه، لن تركع ما زال في الوطن طفل يرضع، ولما فرغ من ذلك بصق وغادر ليلعب مع باقي الصبية، وجوههم فقدت معنى البراءة واختلطها القبح... لا اعرف من هم .. اين بيوتهم .. من اهلهم ... اعمدة دخان تتصاعد من ذاك البيت ومن ذاك .. طفل يلعب في سيارة انفجرت سابقا .. امهات يتحدثن ... يلبسن جلابيب سود، حداداً على ضحايا افناهم الرصاص .. رجال سكارى على كراسي القهوة .. غير آبهين .. وجوههم محطمة، من حدة الفقر وشراسة الجوع وعود الرصاصة وانفجار القذيفة .. في كل لحظة يترنح احدهم مودعا .. ثم يستقر رأسه على الحصى، بسبب شظية او رصاصة طائشة.. افكار وأفكار تدور في رأس .. لي رغبة بالبكاء، لكني اخرس ... الموت ارحم مما نحن فيه لكننا نطلب الحياة وهذا من حقنا ..

تدور في رأسي ذكريات .. والذكرى ناقوس يدق في سكون الزمان .. جلس أخي على نفس الحجر الذي اجلس عليه الان ... تكلمنا عن الحرب اللعينة ... كان المسكين يمنّي ان تنتهي الحرب ولكن !!! .... رائحة زكية وأنوف لا تشم .. وبينما نحن نتكلم هتفت له المنيّة : .. تعال .. تعال عانقني .. قامت معركة، وبرصاصة طائشة عمياء انطفأ قنديل سعادتي .. ونضب ينبوع جلي ،وانتهى افراد عائلتي واحدا تلو الاخر ... امي .. ابي .. اختاي .. وآخرهم كان اخي .

مرّت سنوات واعوام .. طلبت للتطوع للقتال، فقد فني الجيش النظامي .. غير مبال .. لا احد يسأل عني او يهتم بي ... لا احد يعاتبني على تأخري عن المنزل ..لا احد يقول لي هل انت جائع ؟ او عطشان ؟ ... لا احد يضفعني صفعة ملوءها الحب .. لا احـــد ....

... كان التدريب مضنيا مريرا ..ذقت مُر العلقم هناك... ويبصق الشاويش في

Digitized by Birzeit University Library

وجهي بصقة ملوءها المخاط المقزز مسحتها بأطراف كمي ... اناموني ليلة باردة فوق كومة من الاسلاك الشائكة ، كي يروا مدى تحمل عضلاتي الملتهبة ... كنت مسرحا لبروفات مسرحياتهم المميتة .. .. كان بيني وبين الموت شوق ، اني ابصق على القدر الذي لم يقطعها .. الكل يود ان يحرق نفسه ..

وفي ليلة اخرى .. أمرني الشاويش بقلع ثيابي .. فنظرت اليه نظرة حاقدة او قد تكون مسترحمة .. فقال لي :

ـ نفذ ما قلته لك يا ابن ال ...

ـ ولكن الطقس بارد جدا ..

ـ الا تسمع يا حقير، منذ متى تخالف اوامـري ...

الهي !!!! لا يعقل ان يتحول هذا الانسان الى وحش بهذه الصورة .. انه ابن وطني قسا علينا الزمان معا .. نحارب معا .. لم يعاملني هكذا .. اني انسان يا ناس .. صدقوني اني انسان .. ولكنه لا يبالي ..

وبقيت في الخارج عار .. في طقس يكسر الحديد من شدة ضراوته .. احسست اني قطعة حجر لا روح فيها .. لولا تلك الشعرة لكنت اسبح الان مع أخي في خياله في الحياة الاخرى ... لكن سوء الحظ اعادني للحياة ... تلك ذكريات في معسكر التدريب .. اما على الجبهة .. كنت انام مع القتلى ، ورائحة الموت تقتل الذباب من شدة كراهيتها .. كانوا يزيلون القتلى بالجرافات .. كنت اصطنع الموت لكي لا تقطع تلك الشعرة اللعينة .. بندقيتي تشهد كم عانيت .. كنت صلبا ، قويا اكثر منها .. علاها الصدأ وانكسرت ،وانا مازلت اتسكع على خطوط النار وبين مواقع الجثث ، واتشمم العطور الزكية التي تملأ جو المخيمات ...

...اما في الليل اذا ما شب اطلاق نار ، لم يغمض لي جفن ابدا .. . ربما ثلاث او اربع ليال ... قتال متواصل ... اصبحت على زناد البندقية لا ازيله ، .. عيناي تحولتا الى حصى ، فلا اغمضهما ابدا ، لكي احافظ على تلك الشعرة اللعينة ...

ذهبت ايام وانتهت اخرى .. وها انذا على نفس الحجر الذي ودعني اخي عليه .

... صفعني ابي مرة لرسوبي في الثانوية العامة .. وعندها عرفت معنى الفشل ومعنى المسؤولية ومعنى الحياة ...

الا اني فعلا كنت محقا في فكرة عدم مواصلتي للتعليم وخصوصا في هذه الظروف ، فاليوم لا اسمع سوى زئير الرصاص، وانفجار القنابل .. واليوم اصبح العلم سلاحا باطل المفعول ، اما البندقية فهي الان لغة التفاهم والسلاح الحقيقي .. قتل ابي واختي وامي الحبيبة يوم العيد .. لم يعلم احد من الاخرين ان هناك اناساً يموتون ... او بالاحرى لا يريدون ان يعرفوا ، فكيف لنا ان نعكّر صفو بهجتهم وفرحتهم بأنباء موتنا المزعجة .. فبدلا من التعازي يتبادلون التهاني .. لقد انقلبت الموازين .. فمن كان اسدا اصبح ارنبا ، ومن كان عبدا اصبح سيدا

... لم تعد الاخلاق ميزانا لصحة الامور او لخطئها .. فالكل يزن نفسه .. بميزان منطقه الخاص السائد ، القوي يأكل الضعيف ، لذا ما كان على الضعيف سوى تناول فأسه وتحطيم انياب المفترس لكي يبقى حيا ، هذا هو الزمان الذي نعيشه الان ، وهذه هي عملة هذا السوق ...

كل هذه الافكار ما زالت تعصف بين

Digitized by Birzeit University Library

حدران رأسي، وحلم ذكريات يسترجعه دماغي
،وبطارق آلام ما زالت تقرع في زواياه .. اود
لو ابكي، فالبكاء يخفف من الحزن ولكن !! كلما حاولت سخرت مني عيناى فلا استطيع ..

... ما زال الصبية يلعبون .. القهوة مليئة بالرجال السكارى .. النساء ما زلن يثرثرن في جلابيبهن السوداء .

لكن فجأة !!! .. بطل مفعول الخمر، توقف الصبية عن لعبثهم، توقفت النساء عن حديثهن .. جو ملئ بعلامات الاستفهام .. ملئ بعلامات الفزع.. اصوات منتظمة تقترب مفزعة لطالما سمعا اهل المخيم ثم لم يعودوا يسمعوا .. اصوات طبول الموت . ذعر الجميع وتبلبلت السنتهم .. اخذوا يدورون ويبحثون .. هذا اختبأ في برميل قمامة .. وهذا اختبأ بين ركام بيت منهار .. وهؤلاء اختبأوا في مغارة .. تم القصف الوحشي، لا يسمع سوى صوت انفجار يليه صفير حاد .. اختفى الجناة وبقي المجني عليهم .. مكان مرعب ، ملئ بالقتلى والمشوهين والاشلاء .. كل امرأة احتضنت ابنها، ورجل نقل ولده من ساحة الموت الرهيبة ، هناك رجال يندبون ابناءهم واخوات يبكين اخواتهن ، لكن !! .. هناك البعض لم يذكرهم احد او يبكيهم .. هم مثلي تماما ، لقد نسيت البسمة وودعتني مع أخي وابي وامي واختاي يوم العيد ، كانت اخر بسمة لي ....، والان لقد هدأ الجو كالعادة لعدم وجود شخص نشكي له، ... مشطت ومسحت مستودع بسماتي ركناً ركناً، لاخرج بسمة نخب انقطاع الشعرة اللعينة .. ولكن !! مقدوري ان افنى حزينا كالاخرين .. مهلاً .. فقصتي لم تنته بعد ، فهذه صفحة من صفحات مخيـــم ....

Digitized by Birzeit University Library

دمي فدا خرائبك الباقية

أسعد الأسعد

بين عينك
واكتمال الحلم بارود
وعساك تدرك ما يفعله
هدهدات حمامة قصّوا جناحيها
وبساطير غزاة قتلت سنبلة
وبقايا طفلة
مزّقت جثتها قنبلة
وأسراب جراد زحفت
فلم تترك لطفل
ما يأكله
وسياج بلون الدم
مضغت أطرافه
حين لم تلق طعاماً
قبره
حطّت على عرشتك
الممزقة الشراع تسائله
موت على الطرقات
والمتراس من لحمي

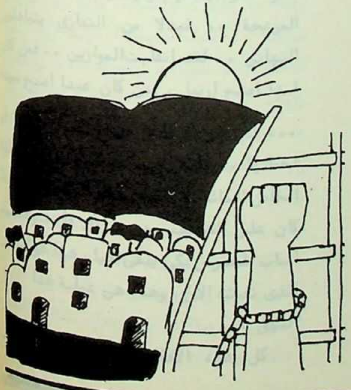

Digitized by Birzeit University Library

ودمي فدا خرائبك الباقية
انتصبي
نعمود خيمتك المدمّاة
بنبض شاهداً
لمعي على الطرقات اضحية
وعمودك الباقي
مفصلة

لا وقت للحزن
للم جراحك
تمتد خارطة للوطن
فالموت يزحف
طالبا دمك الزكيّ
فلا تهن
وتعلق بحبال صوتك
هي خطوة... أو خطوتان
قبل صحو الزلزلة

لا وقت للحلم
الموت يزحف فاقترب
وعد لحلمك أنا شئت
فتلك آخر مرحلة
ما بين حلمك والحقيقة طلقة
وان كان حلمك لم يكتمل
فلم انتظارك، يا رفيقي
.... أكمله.

Digitized by Birzeit University Library

إلى رجاء حسن أبو عماشة

بقلم : شوقي البغدادي

يا رجاء ...

كان في الامكان ان تبقي كالاف النساء
ان تعيشي مئة ملاى .. بيسر .. وعناء
ان تحبّي رجلا .. ان تعرفي معنى الهناء
ان تصيري جدة، ملهمة ذات مساء
كان في الامكان ان يغمض عينيك الحياء
ان تظلي رهن بيت دافئ خلف الخباء
وتظلي عندما يعبر بالبيت النداء
كي تقولي من كوى الشباك : ماذا في الفضاء
كان في الامكان ان ترضي بهذا يا رجاء
وتعيشي وتظلّي امرأة بين النساء

xxxxxxx

يا رجاء ...

ما هو الوجد الذى يملكنا حتى الفداء ؟
ما هو الصوت الذى يحفزنا حتى الفناء ؟
أي اغراء ترى في الموت او أي رواء
ما هو السر ... اذا لم يك في الموت عزاء ؟

xxxxxxx

Digitized by Birzeit University Library

يـــا رجـــاء ...

انا أدري هـذه اللـذة ... هـذى الكبريـــاء
انها انشودتنـا ان سـوف لـن يقـوى الفنـاء
انـنـا ندعـم بالصخـر جـدارا للسمـــاء
ان في رائحـة الـدم جنـون البؤ ســـاء
ان هـذه الغرسـة الحلـوة تزكيهـا الدمـاء
ان فـي التذكـار سوطـا فـي ظهـور الجبنـاء

xxxxxxxx

يـــا رجـــاء ...

ربما لم تدركي هـذا جميعـا في جـــلاء
ربما اعيتـك اشيـاء فظلـت فـي خفـــاء
ظلـة أنـت وان ادركـت سـر الاقويـــاء
انما حدسـك .. هـذا المشعـل العالـي الضيـاء

انما قلبـك ... هـذا المنبـع الملآن مـــاء
فاذا فـاض ... فحـق النبـع ان يسقـي الظمـاء
ثـروة يرفعهـا البـذل .. وينمّيهـا العطـــاء

xxxxxxxx

يـــا رجـــاء ...

ان روح الشعـب .. شعبـي .. فـي صمـود ونمـاء
عـرب لـن يهـدوءوا او تغمـر الارض الخـــلاء
وتعـود الـدر انقـى .. والبـرارى .. والهـــواء
لـم يكـن سـرا ، اذن ،الا تعـودى للـــوراء
فـاذا مـا صعـدت روح ، فهيهـات انكفـــاء
كـان فـي الامكـان ان تبقـي كـالاف النســـاء
انما ، مـن يضـع الرمـز ؟ ومـن يحيـي الرجـاء
غيـر نافـورة هـذا القلـب فينـا .. يـا رجـاء !

٠٥ م ١٩٥٦/٣/٦

Digitized by Birzeit University Library

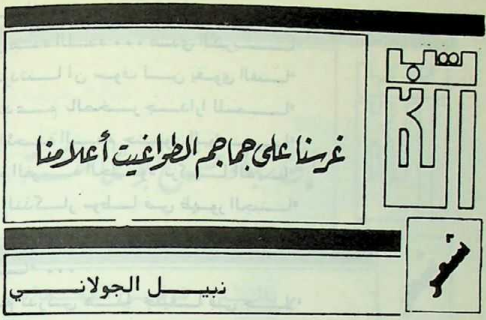

في قبضة الدماء واقفون
على ابواب مدن قريبة
ومدن بعيدة
بالارض راسخون
ازمنة قديمة .. ازمنة جديدة
يا خاطرا يحتل ذاكرة الجزار
تضاعف اليتامى
تحولت حلواهم المصادرة
اسلحة قاتلة مبيدة
فكيف يحلمون ان ينتهي الحصار
(وأمل) هناك
كتيبة من التتار
الا اذا تراكمت دماؤهم
ذخيرة تبعث في فوهة البارودة
مقتول .... مطلوب
في كل جهات الارض
شمالا وجنوب ..
مسجونا او منفيا أو مغتالا في غرف التحقيق
قبل الموت رصاص
بعد الموت رصاص

Digitized by Birzeit University Library

رصاص ما بين رصاص ورصاص ..
.....
لحراب تقتحم الموت بغير حساب
كف بمس ارهابيا ..
من رضع من الثدي حليبا
سيوفا بالارهاب
لماذا لا يتحول من حولي ثوارا
من لا يملك الا ان يطلق
من نوعة الرفض الاحجارا
من بكر قيد الذل
ومن ينثر في رحم الارض بذارا

من يسقي الجرح دماء
ويصوغ تراتيل الحرية
رمزا وشعارا
من يزرع في الارض الجسد
علامات حدود
يا هذا الشعب الثائر
انت الصانع للثورة نصرا
ودماؤك للوطن رصيد
ستظل الناطقة الخرساء
على كتفيك وفي ايامك
وعدا ووعيد

برنامج مسرح النزهة ـ الحكواتي

اصدر مركز النزهة الحكواتي ـ برنامجه الشهري عن شهر آذار الحالي حيث تضمن نشاطات فنية مختلفة وذلك بعد ان كان المركز مغلقا لامور الصيانة .

اذ يفتتح المركز نشاطه في ٣/٥ بمسرحية" الحمار يفكر " الساعة الخامسة بفرقة القدس للفنون المسرحية، تتحدث المسرحية عن سياسة الدول في النصب والاحتيال اتجاه شعوبهم وهي من اخراج " محمود عوض" وتشهد قاعد المركز على مدار اربعة ايام ٦-٧-٨-٣/٩ بين الساعة الثالثة والرابعة احتفالات نسوية بمناسبة الثامن من آذار يوم المرأة العالمي . ويحيي مجموعة شعراء في ٣/١٢ امسية شعرية الساعة الخامسة . وكذلك يقام في ١٣ / ٣ الساعة السادسة ندوة زجلية . ويوم ١٤ /٣ الساعة الرابعة تقيم لجنة العمل التطوعي في القدس امسية فنية ساهرة تشاهدون فيها منوعات مسرحية وموسيقية وزجلية مع الزجال ثائر البرغوثي ويعرض مسرح الشوك الساعة الرابعة ايام ٢٠ – ٢١ / ٣ مسرحية "بنت الطحان" وهي تجسيد للاسطورة العالمية (احد الاقزام يقع في غرام بنت احد الامراء الحاكمين) وهي من اخراج جورج ابراهيم .

ويستهون يوم ٣/٢٥ الساعة السابعة على انغام فرقة " سلفر ستونز" في حفلة غنائية تكريما للحركة المسرحية وبمناسبة يوم المسرح العالمي ويشارك في الحفلة بسام بشارة ورمزى خميس بناءاً على دعوة من مسرح " العبير" وبمناسبة يوم المسرح العالمي الذى يصادف يوم ٢٧ /٣ تحتفل الحركة المسرحية بهذا اليوم على شكل نشاطات مسرحية وعروض فنية مختلفة يتخللها ندوات وعروض موسيقية ، الاحتفالات نهاريّ الخميس والجمعة ٢٦ – ٣/٢٧ طول النهار .

ويختتم المركز برنامجه الحافل لهذا الشهر في يوم ٣/٢٨ الساعة السادسة بأمسية غنائية مع الفنان مصطفى الكرد بمشاركة بعض زملائه تمتزج في هذه الامسية دمعة الكرد وابتسامة زملائه ليغنوا معا .....

Digitized by Birzeit University Library

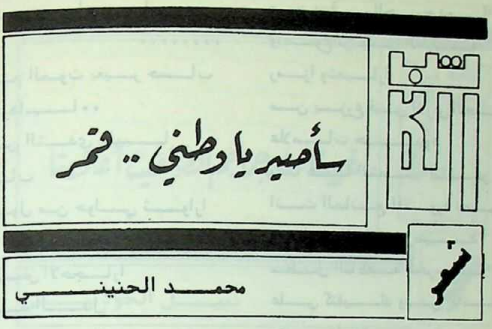

تبكي الربابة والوتر
والطير تبحث عن شجر
والليل أظلم والصراير القميئة
في سهر
والفجر اخفق وانتحر

xxxxx

تبكي الربابة لا غناء ولا نشيد
والعيد اصبح ليس عيد
والقيد اضحى من حديد
وأنا برغم جراح قلبي
املأ الدنيا قصيد
وأنا الوحيد انا الوحيد
ولا ترحل او سفر
والطير تبحث عن شجر
وأنا الشجر
والارض تشتاق المطر
وأنا المطر
وأنا الربابة والوتر

xxxxx

يا . شاربين على المقاهي من عصير البرتقال

Digitized by Birzeit University Library

ردّوا علـيّ ولا تخونـوا البرتقـال
ردوا علـيّ فـان فـي شفتـي سـوءال
ردوا علـي بـلا نقـاش او جـدال
فدمـي علـى الصحـراء سـال
والعهـر طـال
وأنـا انـا لا الـدار دار
والسـوءال ولا سـوءال

يـا شاربيـن علـى المقاهـي مـن عصيـر البرتقـال
ان الكرامـة فـي الجبـال
ان الكرامـة فـي الزنازيـن التـي
ملّـت ومـل الاعتقـال
ان الكرامـة فـي انهيـار السجـن
والسجـان مـن عـزم النضـال
والليـل طـال
وامتـدت الصحـراء وانتحـرت مـن الجـوع الجمـال
ردوا عليّ ولا تخونـوا البرتقـال
فأنـا انـا لا السـوط غيّرنـي ولا زنزانتـي / فأنـا المطـر
وأنـا الربابـة والوتـر : وأنـا القـدر
سأصيـر يـا وطنـي قمـر
فـاذا اذا حـل الظـلام
اصيـر يـا وطنـي قمـر

Digitized by Birzeit University Library

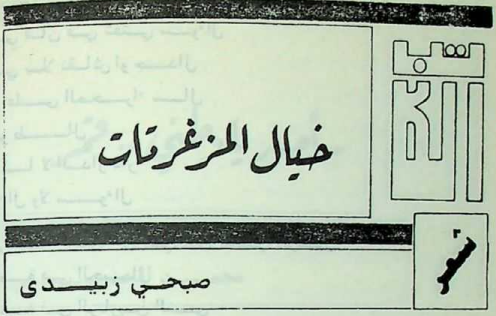

قصيدة باللجهة العامية

طلّت الأصيلة والسّبعْ ماطلْ
فكْركْ إنّه منْخبّي أو دشّرْهَا وْفَلْ
أنَا شفْت السّبع مَرّة
عَ الشّاشة لصْغيْرة
نَصْحَان ومْنهَنّي لا تْخَافِيّ يَا دِيْرة
هَيْ السّبعْ عَايشْ بَاعِتْ تَحيّاتْه
للنّبعَة والتّينة، ولأهْلُه ولخْوَاتُه
بعَتْ لهُمْ سَلامْ
عَ جْنَاح الْحَمَامْ
والسّبعْ تَمام يبشّرنَا بالْحَلْ.

Digitized by Birzeit University Library

كيف الخلاص
وأنت في عيني في اذني
في شفتي
في قولي وصمتي
لا لا شاص
فأنت في رئتي
في صوتي
في صحوي وموتي
.....
فاذا غفوت
واقبلت نحوي
عرائس مهرجان النيل
تزهو
تنطق ابن الفارض المتبول
"اعيش معاك وآكلها بدقه"
فالحب قوتي
واذا غفوت
واقبلت نحوي عرائس قاسيون
تناطح الشمم الرواسي
تشبيح الناسكين
فيفلني رقص السماح
على قدودك يا حلب

يا شام كم صب هلك
واذا غفوت
واقبلت نحوي عرائس بابل
تنشق بغداد لموكبهن
يرشقن القلوب
سهام سحر
فينشد الحلاج
" الله في ثوبي"
ويا جسر المسيّب
أنت بيتي
واذا النجوم تبرّجت
ودنت وقالت
هيت لك
واذا القوافي اينعت
واخضر ذاوي
بعدما اقوى
وصوّح في الحلك
وصحوت
يعصرني واعصره مصيري
وعدوت
اللعنة ويشنقني ضميري
ومضيت

Digitized by Birzeit University Library

اسكبه فيحرقني مدادى
وغدوت
أسرجه فيركلني جوادى
وظللت
اعبده فيلعنني ودادى
وسهرت
ادعوه فيطردني رقادى
فاستسلمت للحب آياتي
وصاح بي المنادى
الحب
هذا المطبق الوحشي
والعذب الفرات
السائغ الطعم الاجاج
المشتهي
سجني
ولكني انا السجان
واغوثاه
من عقل
آفك عقاله
فيشد قيدى
لا لوم لا تثريب
ان الحكم لك
وأرى حوارا قد هلك
ومتيما
درب الغواية قد سلك
الحب سجني
والهوى ربي
فيا درب الهوى المجد لك
حريتي زنزانتي
والحكم طول العمر
منذ اخترت هذا الدرب
طوبى للذى قبلي سلك
وصحا جوادي وانتحى دربا عنيفا

Digitized by Birzeit University Library

ونحـــا مـــدادى في الضحى دينا حنيفا
ومحـــا فـــؤادى جامحـــا صبـــرا سخيفا
يا شام يا بغداد يا مصر الهـوى
اطلقت صوتـي
فأنا المحب وقلعتـي
زنزانتي حريتـي
درب الهوى ما أعدلـك
اطلقت موالـي
يردده بمصر الصادقـون
تهتز قامات النخيـل
ويوقظ الموال مينا

يَا نِيْل يَا بُو الْغَلاَبَا معمّر الْغِيْطَانْ
يِلْدَكْ مَا عادوشْ غَلابَا وَحَطّوا الْحِيْطَانْ
وْلاَفُوا فِي الْمَدْرَسَة والسّجْن والْمَصْنَعْ

الحَقّ مركب وتحقيق العدل قبطان

(تموز ١٩٨٦ م)

Digitized by Birzeit University Library

لـــــــولاك

مالـــك حسيـــن صلالحـــة

لـــو كـان بالامكـــان ؟!؟
ان تطفـئ الشمـــس
ان نوقـــف الارض ؟
عـــن الحركـــة والـــدوران !!
ان نجعـــل الصيـــف شتـــاءاً
ان نجعـــل الليـــل نهـــارا ...
ان نقهـــر الازمـــان !!
ان نوقـــف الزلـــزال ...
ونحـــوّل النـــار مـــاءاً
واليابســـة محيطـــاً ...
ان نجعـــل الصحـــراء جنـــة !!
ان نوقـــف البركـــان !!
لكـــان بالامكـــان ...
يـــا حبيبتـــي ...
ان انســـى يومـــاً حبّـــك ...
يـــا اغلـــى ارض في الدنيـــا ...
لـــولاك انـــت لـــولاك ...
مـــا قيمـــة الانســـان !!!

Digitized by Birzeit University Library

أرسم على قبرى
بعض اشعار نيرودا
وانثر عليها بعض اوراق الشجر
وفي اللحن المسمّى اغنية
باحدى زوايا القبر
.. وقل هل تبقّى الجمر
ام ان روحنا انطفأت
ومضت ؟
ام ان اللهيب خبا ؟
ام تطفى النوم
في عيوننا
وقد فارقتنا مياه البحر
سجّل اذن
لقد مضى ما مضى
والان ترتحل القوافل
والنبع يبقى لنا
والقهوة المرّة
والنخلة التي نطلبها ... انتهينا
حين احرقتنا الشمس
.... انا ذلك الصعلوك
نعم
وسوف ابقى
لان امتعة السفر
قد خاصمتني
منذ الولادة
.. صعلوك أنا
وهذا الشتاء الذى لا ينتهى
والبرد في العظم
يا أيها الصيف
... وهذا الدوار ؟
هل قد تاهت السفن
وأنت الذى كنت تحلم
بالقوافل
كنت تحلم ...
كنت تحلم ...
اذن شدوا لهذا الحلم مجزرة
شدوا لهذا الحلم محبرة
فالدم بالدم يوصف
والدمع .. يا ايها البحر !!
قد فارقتك اذن
كما قد فارقت دمك
وهي لم تكن اصلا
سوى الوهم
يا أيها العدم

Digitized by Birzeit University Library

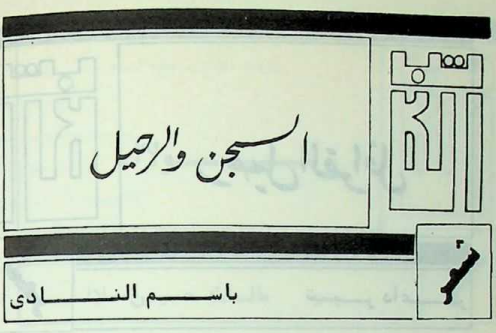

خالدون

==========

السجن
نافذة تطل على حقول الروح
والسجان لا يدري ـ
غدا
قبل الغروب
على حبال المشنقة
سيعلّقون ... ثيابنا !

الوداع

========

وأذكرُ
كيف بكيتِ
وكيف التصقتِ بصدري
كأن فؤادك يدري
بأن الوداع ـ لقاءٌ أخير ..
وأذكر اني ارتشفت سوادَ عيونك
ثم رحلت
وما زلتُ امشي وأمشي
وامشي .

Digitized by Birzeit University Library

اتحاد الكتاب الفلسطينيين يستضيف الكاتب إميل حبيبي

بتاريخ ١٩٨٧/٢/١٩ وفي قاعة مسرح النزهة ـ الحكواتي بالقدس، وبدعوة من اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، عقدت ندوة حول " هل من ازمة في الادب الفلسطيني " ، تحدث فيها الكاتب الفلسطيني اميل حبيبي ، رئيس تحرير جريدة " الاتحاد " الحيفاوية

وفي بداية الندوة، تحدث اسعد الاسعد رئيس اتحاد الكتاب، فاستنكر الجريمة البشعة التي ارتكبتها عصابات امل باغتيال المفكر البارز، والكاتب التقدمي الدكتور حسين مروة ، ودعا الحضور للوقوف دقيقة على روح الفقيد، كما اشار الى ضرورة وقف حصار المخيمات، والتصدى للمجازر التي ترتكبها قطعان امل بحق الفلسطينيين واللبنانيين وفي ختام دعا الاسعد باسم الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب، الزملاء الكتاب في الضفة والقطاع، للالتفاف حول اتحادهم ، من اجل تعزيز الحركة الادبية الفلسطينية، وتطويرها .

في بداية الندوة، استهل اميل حبيبي حديثه بمقدمة سياسية حول الوضع الراهن، متعرضا التطورات المختلفة للقضية الفلسطينية واثر الفكر البرجوازى على هذه التطورات ،حيث نوه بالازمة الحادة التي تعاني منها البرجوازية، فكرا وطبقة، الامر الذى انسحب بدوره على الادب عموما ، وعليه فان الازمة تكمن في فكر البرجوازية الذى عجز عن تحمل اعباء المرحلة، وفشل في تحقيق طموحات الجماهير، اما الطبقة العاملة، فلم يتح لها الفرصة بعد، وان كان البعض يحلو له الاستشهاد بأحداث اليمن الديموقراطية الاخيرة، كدليل على ان الازمة عامة، فهو مخطئ ، ذلك ان ما حدث هو دليل على عكس ذلك ، والا لعصفت الاحداث التي جرت بكل شيء ، ولما استعادت جمهورية اليمن الديموقراطي عافيتها بعد اقل من عام واحد ، رغم ضخامة الحدث ،وعمق المصاب .

وقد جرى نقاش جاد ومسهب، حول عدد من القضايا الثقافية والفكرية الهامة، واستمرت الندوة اكثر من ساعتين ونصف ، وحضرها قرابة المئتين وخمسين شخصا .

Digitized by Birzeit University Library

× الصديق المهندس الزراعي صادق ابو لبن ـ تشيكوسلوفاكيا

موضوعك المتعلق بأهم اسباب الاقصاء عند البقر الحلوب ، لا يدخل ضمن اهتمامات "الكاتب" ، ونظرا لاهمية الموضوع فقد احلناه الى الجهات المعنية للاستفادة منه ، شكرا لاهتمامك ، وتمنياتنا لك بالنجاح والتوفيـــق .

× الصديق رع.أ ـ المزرعـة الشرقيـــة :

قصيدتك رغم مضمونها الجيد ، الا انها تقترب من النثر اكثر من اقترابها من الشعر ، ذلك ان للشعر وزن وموسيقى ، اذا خلت منه فقد الشعر صفته الاساسية ، والتزامك قافية في الجزء الاخير من القصيدة واضطرارك تكلفها ، اضعف بناءها ، وأبعدها عن اهم مقوماتها .

لك تحياتنـا ، والى لقـاء آخـــر .

× الصديق محمود الزغيـر ـ البرازيـل :

شكرا على معايدتك اللطيفة ، وكلنـا ثقة بأن المستقبل هو الاجمل من بين الايام ، وان كانت بعض الغربان نجحت في اطالة عمر الليل ، فان ذلك لن يدوم ، ولا بـــد للنهار ان يطلع ، ولا بد لشمس الشعوب ان تقهر ظلمة الليل ، تحياتنا لك ولاصدقـاء الكاتب اينما كانـوا ، وكل عـام وانتـم بخيـــر .

× الصديـق ح.ع ـ موسكـــو :

موضوعك حول الدبلوماسية من وجهة نظر القانون الدولي المعاصر ، حبذا لو لـــم

Digitized by Birzeit University Library

يكن مختصرا ، فقد جاء على شكل مقالة ، الامر الذى افقده صفة البحث ، فحال دون نشره ، ولا ضير في التوسع ، على ان يتضمن ذلك البحث في المواقف المختلفة وسبل معالجة القضايا الدولية الراهنة ، استنادا الى مراجع ينص عليها القانون في كلا البلدين ، وتصريحات المسؤولين فيهما .

* الصديق الشاعر محمد الحنيني ، كان غادرنا قبل سنوات الى سان باولو بالبرازيل ، وقد وصلتنا منه رسالة ضمنها ارق الكلمات المعبرة عن معاناته في غربته ، بعيدا عن اهله ووطنه ، كما بعث الينا بديوانه " لن نبكي على الشهداء " الذى صدر في عام ١٩٨٦ في البرازيل – انظر قصيدته سأصير يا وطني ... قمر ، في مكان آخر من هذا العدد –

يقول الصديق محمد الحنيني في رسالته :

الى الصديق اسعد الاسعد رئيس تحرير مجلة الكاتب ...

تحية صادقة وبعد ...

بطريق الصدفة ناولني صديق مجلة " الكاتب " في هذه الغربة فقتلت الاغتراب في نفسي وصنعت من اوراقها جناحين وطارت بي الى ازقة القدس وحارات قريتي ومكتبة شروق انقّب في رفوفها عن كلمة شاعرة ،وفكرة ثائرة ،وضربة فأس ، " وقدحة" ازميل، وصرخة عامل،ونقطة عرق على جبين فلاح ... احتضن محراثه،وراح يلقي قمحه في احضان التراب ...

... هكذا ترحلني رائحة الوطن اليه... وكم وددت الرحيل اليه .. فهل تساعدني على الرحيل بالكاتب ....

صديقي أسعد :

اكتب اليك من البرازيل البعيدة . بلغة الكاتب القريبة .. وامد كلماتي شعرة معاوية تجمعنا اطرافها .. هذه الغربة الملعونة .. لم تستطع ان تتقن ضربتها معي ... فأصبحت تخاف على نفسها،يا مغتربا بداخل بيتك هل رأيت غربة تخاف من اغترابك ..

كان صدور مجموعتي الشعرية الاولى " لن نبكي على الشهداء " ٦٣ قصيدة – ١٩٥ صفحة ، عن شركة جريدة " المنارة " " ساومبولو " .

هو اول شعلة فلسطينية تنشر ضوءها على ساحة المهجر .. رغم الزمن الطويل الذى اعتقل جاليتي في هذه البلاد... انه اول شعلة لاول فلسطيني يكتب ويرسم بكلماته قبضة التحدى امام هذا الاغتراب ..

هذا وقد وضعت مجموعتي الثانية تحت الطبع وهي تحت عنوان – " ويمتد جرحي سحابة " سيصدر قريبا ...

Digitized by Birzeit University Library

ولكن .. كيف الوصول اليك ..؟ وعيون الرقيب تحرق الكلمات المسافرة .. والافكار العائدة . كيف اصلك ..؟ .. وكأن الله يكره العشق الفلسطيني ويترصده.. كيف اصلك والجسر القائم على النهر مصيدة للضحك ...

انا لا احاول ان اجمع شملك بي بقدر ما احاول ان تجمع شملي بك .. بتذكرة سفر تعيدني اتنفس الياسمين المعرش على اسوار البيوت، واتظلل الزيتون الرافض في السفوح ..

تذكرة سفر تأخذني رويدا رويدا من اول صفحة حتى آخر قطرة في الكأس .... تذكرة سفر اسمها " الكاتب" اتحسس من خلال حروفها، ضحكة طفل ودمعة خالة، واتنفس منها ما يجود به النرجس البري المنتشر حول رجوم الحجارة ...

محمد الحنيني

نحن واثقون يا صديقي، بأنك مشدود الى هذا الوطن بحبال اقوى من ان يقدر على تقطيعها احد، وان كنت بعيدا عن وطنك ، فان جذوره تمتد في اعماقك ولن تغادرك ابدا، وطننا يا صديقي لا يزال محتلا، لكنه يزداد جمالا رغم الليل المطبق ، ويومابعد يوم يزداد حبنا له وتعلقنا به، وسنظل نحفر اسمه في قلبونا حتى يلتصق بنا ونتوحد في حب ابدي لا ينتهي .

تذكرة السفر التي طلبتها، سوف تصلك في كل شهر ، ونحن حريصون على ان تمتد " الشعرة" وتكبر ، حبالا لا تنقطع.آمل ان تبعث بعنوانك الينا ، فيبدو ان نشوة اللقاء " بالكاتب" انستك ذلك، مع محبتنا الخالصة، وتحياتنا العطرة.

أسعد الاسعد

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

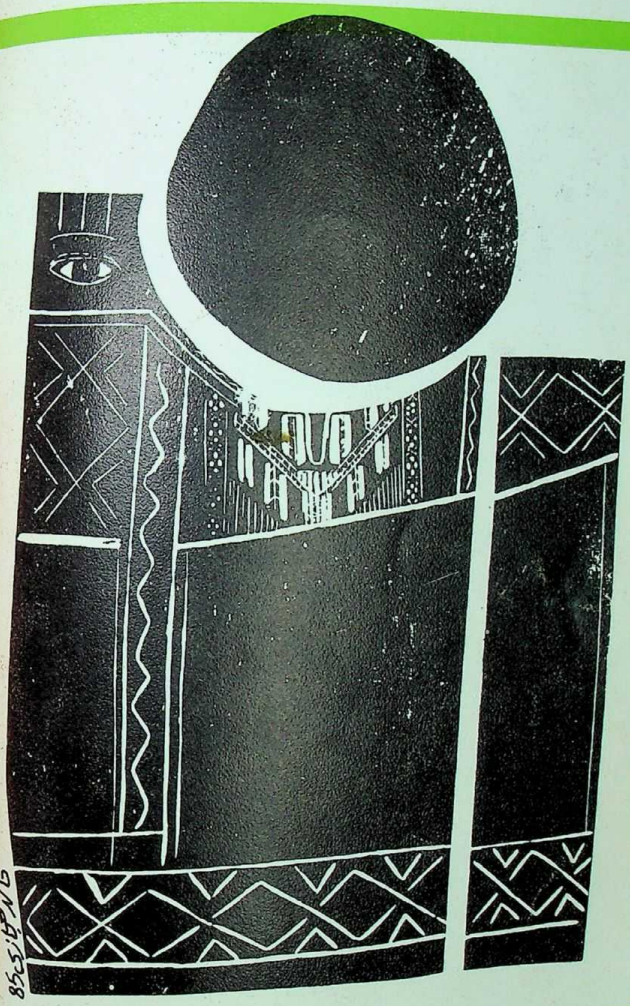

AL-KATEB
For human culture and progress

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel:856931

83

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library